



كباونا

ثلاثية الخطايا المميتة



بدر عماد فخري



" أبطال هذه القصة توردوا على أقدارهم و تجاوز بهم الأمر
للتمادي في أخطائهم، و الاعتزاز بها دون أن يعلموا الطريق
الذي ستؤول إليه حياتهم معاً...أقدارهم مترابطة، و
تكفيرهم واحد."

قبل شهرين من الآن " آخر الآباء "

دخل أحمد ببدلته السوداء و ياقته الرفيعة، حاملا باقة من الورد كهدية لزوجته ياسمين احتفالا بعيد زواجهما الرابع و العشرين، كان الوقت ليلا حوالي الساعة العاشرة في إحدى ليالي يناير الباردة حيث كان الجميع يحتفل ببداية السنة الجديدة و كانت الفرحة تعم جل البيوت المغربية، لأن الاحتفال بالسنة ليس شيئا محرما كما يعتقد البعض لكنه فرصة جميلة لتجتمع فيه العائلة و تنهي سنة بكل ما حملته و تستقبل أخرى بآمالها و مغامراتها، فما دمنا نعيش وفق قوانين هذه السنة فإنه من طبيعة مجرى الأمور أن نحتفل بها، غير أن الاحتفال الذي خصه الزوجان كان ذا طابع خاص و بشكل كبير لأن تأثيره لم يصل فقط إلى قلوبهما بل وصل إلى فؤاد الجميع.

استقبلت ياسمين زوجها بحفاوة بعد يوم عمل متعب في ورشته الخاصة بالهندسة المعمارية، و استطاع بحيله أن يخفي عنها هديته الصغيرة لكنها فاجأته بهدية من طرفها أيضا، حيث لم تترك له مجالا ليحملك في جمالها و تزينها إكراما لذكراهما لكن منظر المنزل و بهجته زاد من تأثيره و دهشته، لقد جعلت من المنزل قاعة أفراح على شاكلتها من زينة الحائط و الموائد و الكعك و مختلف أنواع الحلويات.

قالت بعد أن شعرت أنها جعلته يفقد وعيه : هل أنت مندهش من أن هذا كثير من أجل شخصين فقط، أم مندهش من قدرتي على تحويل بيتنا الحبيب إلى قاعة عرس مغربي محض، أم من جمالي الأخاذ!؟

ضحك بشدة بعد أن عاد إلى وعيه ثم أجاها بكاء : لا شيء يظهر أمام جمالك يا حبيبي.

ثم قدم لها باقة الورود المتعددة الألوان و فرحت طبعاً كعادة أي امرأة أمام هذه المخلوقات الناعمة و قبلت خده بخفة ثم قال لها : أين ذهبت سعادتنا !؟

كان يقصد بذلك ابنتها التي ذهبت عند إحدى صديقاتها بحجة الدراسة لكن والدتها فهمت الأمر برمة عين و أنها كانت تنوي تركها ليستمتعا بوقتها معا.

لكن سؤال الأب أخذ جواباً في حينه و لم يلبث أن يرى من كان خلفه إلى أن تلقى رصاصة صامته مزقت شرايينه و تجاوزت قلبه لتسقطه صريعاً أمام زوجته.

تقدم القاتل بهوية واضحة و ملامح بارزة دون أن يخشى التعرف عليه من طرف الأم لأنه كان ينوي قتل الاثنين معا، و هذا ما فعله بعد أن صوب رصاصة واحدة جعلت من ياسمين ترقد ميتة بجانب زوجها.

بعد جريمته أصدر تهيدة راحة و كأنه تخلص من عبء ثقيل يحمله منذ زمن طويل، خرج خائر القوى و في لمح البصر تغيرت ملامح الثقة لديه ليذرف دموع غزيرة ترمز إلى أن هذا الذي قتل الزوجين الآن لن يكون إلا مريضاً نفسياً و إلا لن يكون قد ارتكب جريمته هذه و أكثر مثلها من قبل.

مسح الدموع عن وجنتيه و تقدم إلى الأمام و قد غاب عن نظره الكاميرا التي كانت تراقب كل شيء و تسجله في ذاكرتها، و كان الوقت الذي قضاه في عراق مع مشاعره هو الدليل القاطع على جريمته و تحديد هويته، غير أن الكاميرا لم تكن المراقب الوحيد لجريمته بل شخص آخر شهد كل جرائمه، كل واحدة على حدة، و هو الآن يحترق بشدة و هو ينظر إلى القاتل بعد ارتكابه خامس خطاياه، ينظر إليه

بجب دفين طمسه حب آخر لكن الهوس إلى القتل و الحب الذي يکنه إلى القتلة
عظى عن هذا الحب.

الفصل ١ :

"أنقذتني من حادث و تسببت لي بحادث أكبر منه "

اسمي سعادة، لكن أظن أن الحياة لم تنصف اسمي و تربط قدري به كما يعتقد الجميع.

بمحاذاة قبر والديها، بعد زوال يوم الأحد، كانت تقبع سعادة برداء أسود يغطي كامل شعرها احتراماً للمكان الذي تتواجد به، لكنه لم يمنع من رؤية خصلات من شعرها البني اللامع الناعم الملمس أو عيونها البنية ذات النظرة النارية، بل زادها جمالا هي في غنى عنه، و لكن حالها البائس لم يفارقها منذ وفاة والديها على يد مجرم سفاح لم يعثر عليه لحد الآن... غطى رداؤها جزءا من فستانها الوردى القصير، حينها للألوان لم يمنعه من ارتدائهم يوما، خاصة و أنها على موعد وشيك مع حدث سعيد " كما كانت تظن."

جلست بهدوء على إحدى الحواف الاسمنتية و بدأت تهمر الدموع بسلاسة من عينها و هي تخاطب روح والديها :

- لم أتحمل فقدانكما، لقد كنتم تتيرون حياتي، كيف سأعيش بدونكم، كيف أتحمل موتكم القاسي على قلبي، لقد حُرمت منكم و كيف أتحمل بعدكم عني، لقد كنتم سندي و حبي الوحيد، موتكم لم يكن بالشيء الهين بالنسبة لي، سيُعثر على قاتلكم و لن أرحمه بدوري، سأعيش لهذا و أسترجع حياتي من أجلكم !

خطوات متباطئة تتقدم نحو سعادة، رجل عريض القوام برداء أسود، هل هو احتراماً لحرمة المكان أم يوحى إلى شيء آخر...وحده **فخر الدين** يعلم ما في جعبته من خبايا.

تقدم أكثر نحوها ثم لمس كتفها مما جعلها تشعر بخوف شديد لأن تركيزها كان غائباً، لكنها ما لبثت أن عادت إلى رشدها عند رؤية حبيبها و خطيبتها، و اطمأنت لوجوده قربها.

فخر الدين : يجب ألا تفعلي بنفسك هذا !

و هي جالسة ظلت تنظر إليه بعين دامعة ثم قالت : ما الذي يجب أن أفعله إذن ؟ هل أنوح و أصرخ ؟ هل أبحث عن قاتل والدي و أقتله بيدي !؟ ماذا يجب أن أفعل ؟ كل ما أستطيع فعله الآن هو الترحم على روحهما و النحيب أمام قبرهما، لقد حرمني منهما و صرت لوحدي، يتيمة.

مع ازدياد حركات يدها تعبيراً عن حزنها و ألمها و انتفاضها من مكانها، سقط الرداء الأسود عن شعرها و أبرز حجم طولها، ليلفت نظر **فخر الدين** إليه و امتناعه عن أن يعيده إلى مكانه استمتاعاً بجمال حبيبته رغماً عن حرمة المكان، و لم يكن هذا حدود رغبته بل أمسك بيدها و ضمها إلى صدره محاولة تهدئتها و مواساتها.

و بينما هو يعانقها، هناك أعين بحاجة إلى أن تشبع حبها و ولعها للحبيب الذي يعانق حبيبته الثانية، أعين **مهجة** المتقدة بالحب و الممتلئة بالغضب و الحسد، حبها لفخر الدين جعلها تترقبه في كل خطواته و أهدافه حتى أصبح هوسها مضاعفاً بعدما تخلى عنها مقابل سعادة، و إلى يومنا هذا لم يكن لها سوى مراقبته و اللحاق به حتى

أخذتها قدمها إلى المقبرة و هناك توقفت خطاها و مُنعت من الدخول بسبب لباسها المثير الذي ارتدته تحضيرا لحفلها الخاص بموسيقى الأوبرا الذي سيقام اليوم الموالي و كانت اليوم حصص البروقات.

قالت بعد رؤيتها معا و هي تحدث نفسها : اليوم أيضا أنت بجانبها و كيف لا و أنت تخليت عني من أجلها، لقد جعلت نار الحب تتقد بداخلك أليس كذلك، حسنا، لن أعيش بهذا العذاب أكثر من هذا، سترون، لا يحق لي أن أوذي نفسي أكثر من هذا، لقد حاولت نسيانك و تقبل قرارك، لكن أن تتركني دون أن تقول كلمة واحدة و تجعلني مهانة و مذلة للجميع و تذهب مع من هي أقل شأنا مني، فأنا لن أتقبل هذا أبدا، و ستدفعان الثمن.

فخر الدين : أنت لست لوحدا، أنا بجانبك و سأبقى بجوارك طوال عمري، و إن ظننت يوما أنني بعيد عنك فسيكون ذلك يوم موتي.

ضحكت بين دموعها و قالت : يجب أن تعدي أنك لن تتركني وحيدة يوما، و لن تفرق بين أقدارنا إلا الموت !

ضمها بشدة إليه و قال لها : بالطبع أعدك، و أنا أحبك جدا ! أنت تعلمين هذا، و غدا ستجتمع أقدارنا إلى الأبد، لا تنسي هذا، و قبل ذلك لدي مفاجأة في انتظارك يا حبيبتي !

أمسكت بيده و ذهبت في طريقها معه، و للحظة من الزمن التفت خلفها و خالجه شعور غريب، أنها بين يدي شخص يختطفها إلى عالمه الخاص بينما كانت تغادر عالمها رغما عنها.

و لم يكن لشعور سعادة يوما طريقه إلى الخطأ.

بعد صباح شاق من التحقيقات و القضايا الإجرامية في مركز الشرطة، اختار خليفة ضابط الشرطة النزيه أخذ استراحة في الحديقة القريبة من المركز التي اعتاد أن يرتاد عليها مع أصدقاء عمله و أخذ رشفة من القهوة و استراق بعض النظرات من فتاة إلى أخرى.

كان هذا روتين يومه مع بعض الاختلافات من القضايا يوما عن يوم، لكن الروتين تغير اليوم لأن الفتاة التي كانت تمشي بخطوات متسارعة لفتت انتباهه من شدة سرعتها المتفاوتة وهي تتحدث على الهاتف مع شخص يبدو من الأهمية الأولى لكونها لم تبالي بالطريق أمامها و السيارات التي تعدو أمامها، لكن هذا كان ملفتا بالنسبة لخليفة الذي لم يزح عينه عنها، هل من جمالها أم من مشيتها الشبيهة بعارضات الأزياء، غير أنها كانت متلخبطة.

فرح تتحدث على الهاتف بلغتها الفرنسية الراقية مع تأكيد واضح : أجل، أجل، يجب أن يتم التبادل اليوم، يجب أن نغير برنامج السفر حسب تطلب الوكلاء،.. سنغير الوجهة من باريس إلى ماليزيا...

كان شعرها الذهبي المموج يتطاير مع الريح الباردة لتزيح النظر عن حلقتي كبيرتي الحجم تزيان أذنيها، بستان وردي قصير و لوك بسيط ناعم المظهر استطاعت أن تثير انتباه الضابط الذي لم يستطع أن يبعد نظره عنها.

كانت أفكارها تعصف بين عملها كمديرة وكالة أسفار في باريس، بين انتقالها من هناك إلى المغرب، و انتظارها قدوم والدتها من رحلة عمل طالت منذ شهر في مصحة خاصة بأمراض القلب و الشرايين خلال حملة القيام بعمليات جراحية مجانية.

لذلك كان تركيزها مشتتاً مما منعها من الانتباه من السيارة التي كانت تسرع وسط الشارع و كانت على مقربة منها و على وشك أن تدهسها لولا تدخل خليفة السريع الذي أنقذها من حادث وشيك و كانت تلك أول نظرة يتبادلانها حين سقطت بين يديه من شدة خوفها و صدمتها.

ظل ينظر إلى عينيها البنيتين و جمال شفاهها باللون الأحمر اللامع، و شعرها الذي تطاول حتى تجراً و وصل إلى ملامسة وجهه، كل هذا جعل من خليفة قطعة ذائبة بين يديها.

بعدها عادت إلى وعيها أفلتت من يده و هي ترتجف بشدة و نبضات قلبها تتسارع، مما جعله يذهب بها إلى المقعد الذي كان يجلس عليه و يجعلها تسترجع أنفاسها بينما يحضر كأساً من الماء... قدمه إليها و ظل واقفاً أمامها ثم قال : آمل أن تكوني بخير الآن، لقد كان ذلك وشيكاً !

أجابته و استطاع أخيراً أن يسمع صوتها العذب : بالفعل، لم أكن منتبهة، أنا المخطئة، شكراً جزيلاً لك، لقد أنقذتني فعلاً، شكراً لك !

خليفة : هذا من واجبي.

لحظتها انتهت إلى زيه الرسمي و بدلة الشرطة و قالت بهدوء : هل أنت شرطي ؟ فأجابها : أنا الضابط خليفة و أنتِ ؟ لا أعتقد أنك من هنا !

فرح : أجل، أنا مغربية لكن أعيش الآن في باريس و أدير وكالة للأسفار هناك...
أراد أن يتعمق في الحديث معها لكنها أحست بشيء غريب و هي تتقاسم معلومات
لا تراها مفيدة لشخص التفقه للتو بسبب حادث فقالت له : اعذرني أرجوك، يجب
أن أذهب، فلدي عمل يجب أن أنهيه.

ذهبت من المقعد و قامت بشكره و هو بدوره لم يزح نظره عن عينيها بحيث سُحِر
بجمالها الخلاب ثم قررت الذهاب في طريقها قبل أن يوقفها بسؤاله : هل من
الممكن أن تخبريني باسمك على الأقل!؟

توقفت لثوانٍ و قالت : اسمي فرح.

تمادى قليلا و تجرأ أن يقول : أريد أن أستضيفك مساء إلى مطعم بالقرب من هنا،
ترحيبا بك و...

التفت و شعرت بغرابة طلبه ثم قال ليستدرك الأمر و يجعله خفيف الوقع :
الطبيعي أنه أنت من يجب أن يعزمني لأنني أنقذتك !

ضحك بخفة ثم أوما لها أنها يمازحها فقط فقالت : حسنا، متى تريد أن نلتقي!؟
اتسعت حدقتا عينيهِ و قال : السابعة!؟

فرح : حسنا، جيد ! إلى اللقاء.

و بحركة من يده عبر عن فرحته و كأنه ربح مليارا في لعبة حظ.

بعيدا عن منزل عائلتها، اختارت سعادة و فخر الدين مسكنهما، بحيث تكمن مفاجأته
اليوم.

دخلت ممسكة بيده و مغمضة العينين، وضعت ثقتها الكاملة به و هو يوجه خطواتها، إلى أن وصلا عند حافة الباب و قام بفتحه فأزال العصبة عن عينيها لتندهش من منظر منزلها المستقبلي و هو مكتمل الفراش و الزينة...فرحت بشدة عندما حقق حلمها فتقدم بها إلى الأمام إلى غرفة النوم بعد أن طلب منها أن تغمض عينيها مجدداً.

وصل الاثنان إلى الغرفة ثم فتحت عيناها و تفاجأت بشدة من جمال المنظر و الزينة المتعددة فوق الفراش و الحائط و لوهلة فهمت المغزى من تزيينه غرفة نومهما و نظرت إليه بنظرة توحى بحديث دفين بينه و بينها تدل على الثقة التي وضعتها به و لذلك سلمت نفسها له دون أدنى تراجع.

و كان هذا كله على مرأى مهجة التي تتقد غيضا و حسدا و هي تنظر إلى الحبيبان كيف يتقربان إلى بعضهما و بذلك ترى أحلامها تندثر بسرعة البرق، و لكنها ظلت على وعدّها و لن تخلف به أبداً.

في مقهي المنظر الجميل، كان موعد خليفة مع فرح، بحيث اختار الجلوس معها على ضفة الهواء و أبعد ما أمكن عن بقية الزبائن.

غيرّ بدلة عمله بمعطف رمادي رفيع الطراز و سروال جينز أزرق غامق و حذاء ذو لمعان حاد لا يضاهي لمعان شعره الأسود.

جاءت فرح أخيراً و انفرجت أساريره من شدة جمالها و كان مظهرها أنيقا بحيث أنها لم تغير كثيراً من لباسها و اكتفت بوضع قطعة بارزة بشدة و هي معطف من وبر الدب من أحدث إصدارات الموضة في باريس، مما جعل مظهرها يتغير بشكل كبير.

تقدمت نحوه ثم أقبل عليها و قدم لها المقعد بجانبه ثم جلست برفق.

خليفة : مرحباً بك، ظننت أنك لن تأتي !

فرح : و لماذا أتخلف عن لقياك، لكن اسمع أريد أن أقول لك شيئاً، أنا هنا من أجل لقاء عمل و وددت أن آتي لرؤيتك و شكرك لإنقاذك حياتي، هذا فقط !
استغرب كثيراً و ظهرت ملامح الغضب على وجهه فقال لها مندفعاً : كيف تقولين هذا، هل أتيت إلى هنا من أجل قول هذا، و أنا الذي ظننت أنك...

قاطعته غاضبة هي أيضا : أنا ماذا ؟ ثم فهمت مقصده و قالت : هل تظن أنني من نوع الفتيات تلك...أعذرني لكن يجب أن أذهب في الحال، أشكرك على كل حال !
نهضت منتفضة من مكانها لكن نار الغيظ اشتدت في قلبه و جعلته يمسك بها بقوة و يقول : أنا أريدك بشدة، لقد أُعجبتُ بك و أريدك مهما كان الثمن، أريدك أن تكوني لي.

قاطعته بعد أن بصقت على وجهه من شدة احتقارها له ثم تركته وحده مهانا أمام الجميع، لكنه لم يتوقف عند هذا الحد و لحق بها و قرر فعل ذلك إلى أن يجعلها تقع في شبابه و ينال مراده منها.

في صباح اليوم الموالي، كانت سعادة تترقد وسط أحضان حبيبها فخر الدين و هي تحاول النهوض و فتح أعينها، ساعدها قرع قوي على الباب على الانتفاض بسرعة من مكانها و جعل فخر الدين يستيقظ من سباته.

سمعت بعد ثلاث طرقات متوالية صوتا قويا يخبرها أن تفتح الباب قبل اقتلاعه، و كان ذلك وصول الشرطة، بعد أن اتصلت بهم مهجة صبيحتها و أبلغت عن العثور على القاتل المتسلسل المطلوب للعدالة منذ شهر و الذي ارتكب جريمة "الآباء" كما سُميت من قبل الجميع.

دخلت الشرطة بعدما اقتلعت الباب و لم تكثرت للحال الذي كان عليه الحبيبان بحيث كان فخر الدين يرتدي رداءه الأسود و سعادة فستانها الوردية القصير... تقدمت الشرطة بسرعة و أمسكت فخر الدين بعدما تأكدت من هويته و طابقتها مع فيديو تسجيل كاميرا منزل عائلة سعادة الذي أرسلته مهجة بعدما أخذته خلسة و هي تلحق بالمجرم.

المحقق : فخر الدين، أنت متهم بارتكاب خمس جرائم قتل خلال فترة وجيزة، أنت القاتل في قضية الآباء، هيا خذوه بسرعة.

كان وقع الخبر قويا على سعادة و لم تتحمل تصديقه و وقعت أرضا من شدة صدمتها، بينما كان فخر الدين في كامل قواه و حنى رأسه بشكل يوحي إلى الندم. استرجعت سعادة قوتها في وقت وجيز و صرخت في وجهه : ماذا يقولون ؟ هل أنت من قتلت والداي، لا تقل لي أنك من فعل بي هذا، لا يمكن...لا يمكن، هيا اعطني جوابا في الحال، أسرع.

لكنه لم يقوى على الهمس بكلمة واحدة، و لم تترك له الشرطة أيضا مجالا للحديث و أخذته و طوقت المكان عن كامله و بدأت تحقيقاتها، بينما ذهبت سعادة إلى غرفة

النوم و ألقى بكل غضبها بكل الأشياء التي جعلها فخر الدين زينة للمكان، و كأنها بذلك تندب حضنها التعيس.

و لم تكن هي الوحيدة التي عانت من حقيقة ما جرى أمامها بل مهجة أيضا قرب المنزل لم تستطع تحمل ما فعلته و ظلت تبكي بحرقة و هي تقول : أنت السبب في ما فعلته الآن، لماذا فعلت بي هذا، لقد دمرت نفسك بيدك، لا أستطيع تحمل بعدك عني، لا أستطيع رؤيتك بجانبها إلى الأبد، أنت ملكي وحدي، و لن أترك لها مهما حصل، و إذ وصل بي الأمر إلى سجنك و فضح أمرك لن أتراجع.

الفصل ٢

" لقاء لم أرغب به "

لقد كنت أحبه بشدة رغم معرفتي أنه قاتل، و ما الضير في ذلك، هل يمنع ذلك
حيي له ؟ لا !

"علاقة مهجة بفخر الدين بدأت خلال المدة التي كانت تدرس فيها القانون رفقة
سعادة في كلية الحقوق و كان مدرسهما هو نفسه فخر الدين.
في بداية السنة بدأت العلاقة و كانت سعادة تتخلف عن دروسها أولها لكن ما إن
قدمت و بدأت محاضراتها، تعلق بها الأستاذ بشدة و تخلى عن مهجة بشكل غير
لائق، لأن حبه لسعادة فاق أية مشاعر يكنها لشخص آخر... لذلك بعد تخليه عنها
ظلت تلاحقه لتعرف السبب و اكتشفت علاقته بصديقتها و كرهتها بشكل كبير و
ملاحظ جعلها تترك الجامعة و تتخلى عن دراستها، لكن لحاقها به جعلها تكتشف
كل جرائمه التي قام بها دون ترك دليل واحد مما زاد من حيرة و تعب المحققين، و
كانت هي وحدها الشاهدة على مآثمه، لكن دليل آخر جريمة ارتكبتها في حق عائلة
سعادة وقع بين يدي مهجة بحيث كانت تعرف جيدا خبايا و أسرار المنزل من
زياراتها المتعددة لصديقتها و مشاركتها تقريبا كل شيء.

تبددت نار الغيرة و الحسد في قلبها لدرجة أنها قررت أن تبعد حبيبها عن سعادة
بصفة نهائية بفضح جرائمه و التسبب في سجنه و جعل سعادة تكرهه كرها شديدا
كحبها له."

استجمعت نفسها بين الحطام الذي تركها فخر الدين تعيشه و ذهبت لتلحق به غير مبالية بحالها و شعرها الأشعث و الأهم أنها كانت حافية القدمين، فخرجت مسرعة تجري وسط الشارع و هي تتذكر وعده لها و كل القصص التي كان يقنعها بها في سبيل ما يسمى الحب...فهل كان يجبها فعلا أم كان مجرد هوس، و كيف له أن يجبها و يقتل والديها في آن واحد؟! و كيف لمهجة أن تزج بحبيبتها في السجن مقابل إخماد نار الحسد في قلبها و إبعاده عن عدوتها التي سرقت منها...هل يجرؤ المرء أن يتماذى في أخطائه إلى درجة الموت و التضحية بحياته في سبيل تحقيق نشوته في ارتكاب هذه الخطايا ؟

بعدها حققت خطواتها الأولى، ذهبت مهجة لتلتحق بالمنصة و تؤذي أغنيتها المفضلة و المحببة لدى جمهورها : **شبح الأوبرا**.

كانت تمارس الغناء و توازي بذلك دراستها في الجامعة، لكن بعد الخيانة التي تعرضت لها، تركت الجامعة على بعد أشهر قليلة من تخرجها و انغمست في حبها للفن و بدأت مسيرتها في غناء الأوبرا.

على المنصة و بعد تصنيفات عديدة عليها و على **المغني كارل الفرنسي** بجانبها، بدأت تُعزف أول نوبات الأغنية بينما في نفس الوقت التي تتمجد به مهجة أمام جمهورها ينقاد فخر الدين حبيبا معتقلا أمام حشد كبير من الناس الذين كانوا ينتظرون إلقاء

القبض على القاتل و التعرف على هويته، و هو الآن يمر أمامهم خافضا رأسه على إيقاع أنغام من زجت به و ألقته به ليدفع ثمن خطاياها.

و لوهلة ووقت سعادة أمامه مواجهة إياه، ووقتها أمامه جعلت الدم يتجمد في قدميه، و يقف من غير وعي، غير أن الشرطة لم تترك له مجالا للتوقف و حاولت الذهاب به قسرا لكن سعادة بدأت تصرخ فيهم و تطلب توجيه حديث سريع خاص له.

بدأت تنظر إليه و الحزن و الألم يطبع وجهها ثم تغيرت نظرتها لتصبح ذات طابع حاد و قوي ثم قالت : أريد فقط أن أعرف لماذا فعلت هذا ! لماذا ؟

وافقت الشرطة على إبقائه لدقيقة واحدة قبل إدخاله إلى المركز فقال برود : أنا أيضا لا أعرف لماذا فعلت هذا ! و بإيماءة من فمه أكد ذلك.

جن جنونها و صرخت بشدة قائلة : هل تدري ماذا تقول ! كيف لا تعلم ؟ لقد قتلت والداي و كنت تنوي الزواج بي اليوم، هل تفقه جيدا هذا ؟! لكن اطمئن، لن يهدئ روع قلبي دخولك السجن، سأنتقم، و أجعلك تدفع ثمن هذه الخطيئة ! سأفني حياتي مقابل ذلك !

فخر الدين : أرجوك، افعلي ما بوسعك و انتقمي، انتقمي، لأرتاح !

أخذته الشرطة بعد انتهاء المهلة و تركت سعادة تتحسر على قدرها و ألمها.

لم تلبث أمام مركز الشرطة لفترة طويلة و احتاجت أن تذهب إلى منزلها، منزل والديها، لكن في طريقها شعرت بتعب شديد لم تتحمل معه التقدم أكثر، جلست

على إحدى المقاعد قرب مبنى سكني مهجور و ظلت تسترجع الأنفاس التي سُرقت منها.

بخطوات متسارعة تمشي فرح باتجاه مكان الموعد الذي خصصته مع زبونها، لكن ما إن خرجت من منزلها حتى رأت خليفة يلحق بها على أحر من الجمر و لا يفوت أي تفصيل تقوم به، لقد لحق بها منذ ليلتها و عرف مكان سكنها، و في الصباح خرجت و رأته و لم يكن لها إلا المشي بسرعة لأنها ابتعدت عن المنزل بنصف المسافة.

تسارعت خطواتها و قررت أخيرا الجري بدون وعي إلى أن وصلت إلى قرب المنزل المهجور و هي تصرخ طالبة النجدة و من حسن حظها سمعتها سعادة و كان وقتها خليفة قد أمسك بها و احتجز جسدها مع الجدار و طبع قبلات قوية على خديها، لذلك هرولت سعادة إليها و أجهزت عليه بإحدى العوامد الخشبية التي جعلته يفقد توازنه و بذلك تتحرر فرح.

أنقذتها و أحست فرح بخوف شديد جعلها تعانق سعادة بشدة ؛ كانت رهيفة الاحساس بحيث أن أصغر مشكل تقع به يؤثر عليها بشكل بليغ.

طمأنتها سعادة و ظلت معانقة إياها بحيث لم تسمح لها بالذهاب و الابتعاد خوفا منه أن يعود إلى وعيه و يمسك بها، لكنه لم يتأخر في فعل ذلك و استرجع توازنه ثم واجهها و أمسك بعنف بيد فرح قائلا : هيا لنذهب، تعالي إلي ! أنتِ لي !

أبعدت سعادة يده بعنف أيضا و قالت بتحدٍ : أبعد يدك عنها، و لا تقترب منها مجددا و سأتصل بالشرطة الآن ! و إياك أن تقترب منا !
تقابل الاثنان و نظرات التحدي بينهما و كانت تلك أول مرة يلتقيان بها و ليست الأخيرة.

ضحك خليفة بشدة وقال : هيا، اتصلي بالشرطة ! لا يهمني، لكن ما دمت تتحديني سأترككما في حالكما ! لقد خفت بشدة، ها و أنتِ انتظري سنلتقي مجددا، و سأخبرك كم أحبك، و أنتِ أيضا !

قال ذلك ثم مضى في طريقه و قالت سعادة بصوت عالٍ : أجل أنا أتحداك، و سأتصل بالشرطة حالا ! فأوقفها فرح و قالت : لا يمكنك فعل شيء فهو ضابط ! فقالت سعادة : و إن يكن، هل مجرد أنه ضابط يسمح له ذلك بارتكاب مثل هذه الخطيئة و التغاضي عنها، لا، يجب أن يكون عبرة لمن سواه !

اتصلت بالشرطة فعلا و قالت : أريد أن أبلغ عن محاولة اغتصاب، إنه ضابط...ثم فوجئت بانقطاع الخط أمامها، فقالت : نذل ! لكن لن أسكت على هذا سوف ترين، لكن لا يجب تركك هكذا، أنتِ في حال صعب، تبدين منهكة، هيا تفضلي معي إلى منزلي إذا أردت !

أمعنت فرح فيها النظر و لمحت قدميها الحافيتين و فهمت أنها كانت في حال أسوأ منها فقبلت أن تذهب معها، في سبيل أن ترد و لو قليلا مسارعتهما لإنقاذها.
و في الطرف الآخر من الشارع كان يقبع خليفة منتظرا تحرك فريسته للانقضاض عليها.

الفصل ٣ :

العقاب الأمثل

" سعادة : كنت أنا و والداي نساfer كثيرا، أتدرين، لقد تجولنا معظم البلدان، لكن لم نذهب قط إلى فرنسا، سيجعلك هذا تضحكين، لكنه صدق، كنا نحاف من متلازمة باريس.

فرح : لا، لا تقولي هذا، أبدا، فهناك العديد لرؤيته، إنه مكان جميل فعلا، لا تخافي، سأتكلف بسفرك أنا شخصياً."

وصلت الفتاتان إلى منزل سعادة، و هو منزل متواضع المظهر، من طابقين، بسيط الأثاث و الزخارف، لكن ما كان يميزه هو الحب و الدفء الذي كان يقبع هناك و الألفة بين سعادة و حب والديها، و الآن و بعد أن حُرمت منها شعرت أن كل ذلك اختفى، لم يعد مكان للحب في منزلها و لا في قلبها.

دخلت فرح و ما إن وطأت قدميها عتبة المنزل شعرت بشيء غريب يلحق بها و ينتبعها، و لاحظت سعادة تغير ملامح وجهها ثم قالت لها : لا تقلقي، ادخلي و ارتاحي، فلا شيء يمكن أن يصيبك هنا !

فرح : حسنا، لقد شعرت فجأة بشيء غريب فقط، أنا بخير الآن.

سعادة : أرجوك أن ترتاحي و تتصرفي كما شئت، اعتبري هذا بيتك، سأعد شيئاً لناأكله.

كانت في غنى عن الترحيب و الاستقبال، لأنها كانت في طريقها لتغمس في أفكارها و تخطط للانتقامها، لكن لقاءها بفرح و خليفة غير مجرى الأمور و جعلها تتوغل في مساعدتها، لكنه لن ينسيها حزنها و غدر حبيبها... وهذا ما كانت تفكر به و هي تعد وجبة اللازانيا المحببة لديها منذ طفولتها، و هي تعدها و تتذكر لحظات جميلة قضتها مع والديها، سواء على مائدة الطعام حيث كان صوت ضحكاتهم يتعالى مع كل نكتة يلقيها أحمد، أو في الصالون حيث يتشاركان الحديث عن أبسط الوقائع مثل دروس سعادة الخاصة بالقانون و مسارها الدراسي و المهني بعد ذلك، و هم يتناولون كؤوس الشاي مع المكسرات أو الحلويات التي تقوم ياسمين بتحضيرها رفقة ابنتها، أو أيام أسفارهم العديدة إلى كل المدن المغربية و خارج البلاد أيضا، أو الجلسة المفضلة لدى سعادة حين تبقى مع أمها و تتكى على حضن والدتها و تسرح شعرها و هي تحكي لها عن قصة حبها مع والدها...كلها ذكريات انبثقت بسرعة منذ وفاة والديها، و كانت منذ ذلك اليوم لا تعيش لحظة هادئة أو سعيدة، لقد خيم الحزن على قلبها، لكن الآن اشتد الحزن و صار كرها و عذابا ينغص عيشها، و ما وجدت إلى أن تتشبث بفرح لتعيد إليها الحياة التي فقدتها لمدة ليست بالطويلة.

و بينما يتم طهي الطبق، ارتأت إلى أن ترى ضيفتها و تطمئن على حالها، دخلت إلى الصالون و لاحظت أن فرح أُعجبت بزهور البنفسج التي كانت سعادة تضعها زينة رئيسية للمائدة فقالت: إنها هدية منه! لا أدري لماذا لم أحرقها لحد الآن!

فأجابتها فرح منتظرة إكمال جوابها: من هو؟

بضحكة خفيفة طبعت شفاهها، ضحكة الحزن الذي يعصر القلب و يجعله يتألم رغما عنه، قالت : حبيبي فخر الدين، حبيبي الذي قتل والداي !

فرح : ماذا تقولين ؟! هل قاتل الآباء هو حبيبيك !؟

بالطبع و كما وصل الخبر إلى الجميع، وصل إلى مرأى فرح عبر الإنترنت.

سعادة : أجل، إنه القاتل في قضية الآباء، أتدرين، إنه حبيبي، لقد قتل والداي بدون رحمة، لقد قتلها و حرمني منها، و ها أنا ذا، أدفع ثمن غباي، أدفع ثمن حبي له، و أتدرين أيضاً، أريد أن أدفع الثمن فعلا، أنا الحمقاء التي وثقت به، لقد كان بقربي طوال الوقت، و لكم أنا غبية، كيف لم أفهم شيئا !؟

فرح : كيف لك أن تفهمي هذا، كيف لك أن تعرفي أن قاتل والديك هو حبيبي، وحده الله من يعلم ذلك، استرخي أرجوك، إنه في السجن الآن و يتلقى عقابه ! انتفضت سعادة و بدأ غضبها يزداد من جديد : السجن ! لن يرتاح قلبي و هو في السجن، السجن أقل ما يمكنه أن يهدئ ناري !

قاطعتها فرح : عقوبة جريمته لا يمكن أن تكون إلى المؤبد !

سعادة : أنا لا أريد هذا العقاب له، السجن لن يجعله يؤذي، أريد موته، أريده أن يموت، و سأفني حياتي مقابل ذلك إن لزم الأمر، لقد تدمر كل شيء، لقد حطم سعادتي، لقد حطمني، ليس لي شيء أعيش من أجله سوى الانتقام و رؤية قبره أمامي، أنا أستحق هذا، أريد أن أحطم قلبي بيدي أيضا، إنه عقابي !

شعرت فرح بخوف غريب منها فقالت : أرجوك سعادة، لقد أخفتني، لا تقولي هذا، إن الغضب يعمي قلبك الآن، أرجوك لا تفعلي شيئا تندمين عليه بعدها !

سعادة : أندم ! الندم الآن يعتصرني و يقتلني ، و لن يزول إلى أن أراه ميتا ! ليس لي هدف بعد الآن سواه، و سوف ترين ماذا سأفعل !
قالت فرح بحزم : لا، لن تفعلي شيئا، عودي إلى رشك الآن.
ثم أمسكت بجسدها و ضمتها إليها بشدة محاولة إقناعها بالعدول عن رأيها.
لكن ما لا تعرفه فرح أن الإنسان بطبيعته ينساق بسهولة لارتكاب خطاياها و يتلذذ بها و لكنها ستفقه ذلك بدورها.

و لوهلة صرخت سعادة بشدة جعلت قلب فرح ينتفض من مكانه فتركت لها العنان لتريح فؤادها، ثم انهمرت بالبكاء على كتف فرح و كأنها تحاول تحرير غضبها و إزالة العبء عن قلبها.
مسحت دموعها بعد فترة من معانقتها ثم نوت الذهاب إلى المطبخ محاولة تغيير جو الحزن الذي خيم من جديد على منزلها لتقاطعها صرخة فرح عندما رأت خليفة خلف الباب.

في مركز الشرطة حيث التحقيق يسري مع فخر الدين بدون اي جدوى أو اعتراف من طرفه...فضل الصمت على الاعتراف بأفعاله المثبتة بالدلائل القاطعة و كان كل ما يكفي لسجنه هو نطقه و إدلاله بأقواله.

الضابط : هيا تحدث، قل شيئا، لماذا قتلت كل هؤلاء الآباء، و لماذا الآباء بالضبط، لماذا فعلت كل ذلك، هيا تحدث ! هل تدري حجم جريمتك، هل تدري

عقابها، إن عقابك هو الموت، أتدري ذلك؟! لكن إذا اعترفت الآن يمكن أن يتغير حكمك! هيا اعترف!

لم ينطق كلمة واحدة و فضل أن يصمت و يجني رأسه بطريقة تدل على ندمه. بعد فشله في محاولة جعله يتحدث خرج الضابط غاضبا لتقطع طريقه مهجة.

عندما دخلت المكان كانت أمام أنظار الجميع من معجبيها من رجال الشرطة و الضباط، لكن لم يؤثر ذلك على تفكيرها العميق و هي في طريقها لرؤية حبيبها السابق الذي تخلى عنها مقابل هوسه و حبه لصديقتها المقربة... و هي تتقدم تذكرت آخر مرة قابلته ووجها لوجه و هو يقول لها : لا أريد رؤيتك بعد الآن!

و بفضل حب الناس لها و اعتزازهم بها قبلوا عرضها بالدخول و رؤية المتهم، خاصة أنه لا زال قيد التحقيق و إمكانية جعله يتحدث معها بشيء.

دخلت إليه و هي على تمام الثقة و نظرت محدقة في عينيه دون أن تخشى ردة فعله عند رؤيتها، بينما كان جالسا على الكرسي و ينظر إلى أسفل قدميه و ما جعل انتباهه يلتفت إليها هو صوت حذاءها ذو الكعب بحيث أثار استغرابه وجود امرأة في الغرفة بعدما تواصل قدوم المحققين الرجال إليه.

نظر إليها و تفاجأ من قدومها فغضب بشدة جعلته ينهض من مكانه و يواجهها.

فخر الدين : مالذي تفعلينه هنا! لماذا قدمت الآن!؟

مهجة : لقد قدمت لرؤيتك يا حبيبي! رأيت كل شيء على التلفاز و جئت مسرعة إليك لأكون بجانبك!

صرخ بشدة و هو يقول : هل جنت ! لا أريد رؤيتك, سبق و أن أخبرتك بهذا، هل تدرين ماذا تفعلين ؟ أنا قاتل ! لماذا تودين رؤيتي و مسانديتي ؟ هل تساندين قاتلا ! أرجوك.

محنة : أجل، فأنت حبيبي ! لماذا لا أفعل ذلك و أنا أعلم أنك ارتكبت كل ذلك بدون وعيك و لا حتى عن طيب خاطر ! لقد أُجبرت على ارتكاب تلك الأمور، أنا وحدي من يفهمك، تقبل قدومي إليك من فضلك !

تركها و جلس على كرسيه ينفذ غضبه مما جعلها تقترب منه و تقول : أعلم جيداً أنك لم تعد تحبني و أنك تحب سعادة، لكن اسمع جيداً، أنا سأكون بجانبك دائماً و سأحرص على أن أكون بقربك و سأعوضك عنها و أنسيك موتها !

اهتزت الأرض أسفل قدميه و هو يسمع خبر موت حبيبته المزيف.

فخر الدين : ماذا تقولين ؟ كيف تتجراي على الكذب في وجهي، كيف تقولين هذا، هل فقدت صوابك، ألهذا الحد وصلت غيرتك !

صرخت في وجهه بثقة واضحة : كيف أغار منها ! أنا لا أكذب، لا أسمح لك بإهانتني مجدداً من أجلها، لا تفعل بي هذا مجدداً، إنها ميتة، لقد تعرضت لحادث بعد لقاءها بك، و ماتت من فورها، أ لم تسمع صراخ الناس بعد ذهابك و دخولك إلى المخفر ؟!

توقف لوهلة و تذكر أنه كان هناك فعلاً حادث سيارة سُمعت أصدائه بعد دخوله إلى مركز الشرطة و بدأ يتيقن فعلاً من كلامها.

فخر الدين : لا يمكن أن تموت، لا يمكن أن يحصل لها هذا، لقد خنتها و ارتكبت جريمة في حقها، لا يجب أن تموت، يجب أن تفي بوعدتها، يجب أن أعاقب على يدها، لا يمكن أن يحصل هذا...

انهمر بالبكاء و النحيب بعد أن انفطر قلبه بالخبر المفجع و ما وجد ليواسيه إلا وجوده في حضن مهجة التي استغلت الفرصة و عانقته بشدة.

صرخ بشدة قائلاً : أنا من يجب أن يموت، لا هي، لماذا حصل هذا، لماذا قدرني بأس هكذا، لماذا يجب أن أعاني طوال حياتي...

مهجة : أرجوك أن تتحمل، اصبر، سيزول كل هذا أعدك !

فخر الدين : سيزول كل هذا بعد موتي !

ترك حضنها و جلس على الأرض متكئاً على الحائط الرمادي و استمرت دموعه في النزول بهدوء.

مهجة : يجب أن أذهب الآن، لقد دخلت فقط طلباً من المحقق، لكن أعدك أنني سأتي لزيارتك مرارا و سأكون بجانبك.

لم يجيبها فذهبت و في طريقها قالت : هذه الكذبة لا بد لها يوماً ما أن تتحقق، و أنا حققتها اليوم و استبقت زمنها.

عندما رآته جاثماً أمامها غيرت من وضعها و استعدت للدفاع عن نفسها و عن فرح.

كسر الباب الخشبي بكل ما يملكه من قوة و دخل عنوة على الفتاتين في ظلام الليل و ما إن دخل حتى بدأ يضحك بطريقته الخاصة التي توحى على شر كبير يضمه في قلبه و قال : قلت لك أنك ملكي و لن أتركك حتى أحصل على ما أريد !

وقفت سعادة أمام فرح على وضعية الحامي و قالت : إياك و الاقتراب منا، و إلا اتصلت بالشرطة و لن يخيفني كونك ضابطا !

قال بكل ثقة : الشرطة أمامك ! اتصلي إن أردت، لكن أنا أريد فتاتي الآن !

أكد قراره و تقدم بسرعة نحو سعادة و أمسك بشعرها و حاول إبعادها عن فرح، و في المقابل قاومته بكل جهدها رغم قوته لكنه أجهز عليها و قاومها فضرب رأسها مع الحائط لتسقط فاقدة الوعي، تاركة فرح بين يديه، التي لم تحرك ساكنا و ظلت ترتجف أمامها من حقيقة ما سيحصل لها، فما إن تمكن خليفة من سعادة و رآته ينوي الاقتراب منها حتى هربت بسرعة في المنحى الخاطئ، لأن طريق الأمان نحو الباب كان يسده في وجهها.

سارع للإمساك بها فتمكن منها في غرفة نوم سعادة و هناك قام بفعلته و جردها من براءتها و اغتصب رقتها.

بعدهما انتهى من تحقيق خطيئته الفضلى ترك جسد فرح على النار و خرج من الغرفة بعد أن عدل من وضعية ملابسه، نزل إلى الأسفل و اقترب من جسد سعادة و لوهلة تمنع في ملامحها جيدا و لفت انتباهه جمالها الأخاذ، لم تسنح له الفرصة في شجارهما من تجرع حقيقة جمالها... اقترب منها أكثر و أزال خصلة شعرها

البنى الطويل عن وجهها و شعر بىريان مفعول الجرعة داخل جسده...ثم تركها و
خرج من البيت. و التحق بظلام الليل.

مر الليل على فرح و هي منكسرة الجسد، و هي أصلا قطعة هشة من الزجاج و
ما كان ينقصها إلا ضربة برد خفيفة لتكسرهما، لكن خليفة كان بمثابة قطعة حديدية
صلبة تطايرت و ضربت على جسدها من شدة الرياح و حطمتها إلى أشلاء
يصعب تلاؤمها من جديد.

حملت نفسها بعد تقبل هزيمتها و انكسارها و نهضت من وسخ الفراش التي كانت
تقع فيه فسقط منها ملقطا كانت تجمع به خصلات شعرها البنى القوي المموج الذي
يسبح الآن في الهواء بعدما حرره مغتصبها.

نزلت إلى أسفل و رأت سعادة في وضع مزري، اقتربت منها و فهمت أنها غابت
عن الوعي طوال الليل، بقيت تنظر إليها و الحزن و الألم يعتصر قلبها ثم تركتها و
ذهبت في سبيلها و هي ترتعد خوفا، لقد أصبحت كالمجنونة تنتقل بين الأزقة بلا
هدف، مشتتة الذهن، خائبة الأمل، حافية القدمين، أصبحت ببساطة عارية
الروح.

لم تستطع التقدم أكثر في خطوها و أخذت من الأرض مجلسها و هناك بقيت تنتظر
الفراغ.

استرجعت سعادة و عيها، و بعد أن تحققت جيدا من ذلك و أنها في منزلها و بعد أن
تذكرت كل ما حصل، نهضت بسرعة و بدأت تبحث عن فرح و هي تنادي اسمها

و تبحث في جميع أرجاء البيت دون أن تجد أثرا لها سوى الملقط الملقى فوق السرير
و هناك فهمت أن خليفة تمكن منها.

صرخت من شدة غضبها و حنقها : لا، لا، لا، لقد فعلها، الحيوان، سأقتله !
أمسكت الملقط بين يديها و خرجت من المنزل باحثة عن فرح، و كان هذا ما
منعها من حضور جلسة الحكم على فخر الدين التي أقيمت وقتها.

الفصل ٤

" لقد كانت هذه بداية خطيئتي و لم أكن أنوي التلاذ بها. "

داخل معرض الأزياء، تواجد خليفة بعدما عاد من منزل سعادة و التحق مباشرة بمقر عرض الأزياء.

بعدما حضر جميع المدعوين من أشهر المصممين و النقاد و الفوتوغرافيين، بدأ العرض و تقدمت أول العارضات في الدخول ثم توالوا في التقدم بمشيتهم المتباهية و الموحية إلى همة عالية، مرتدين فستان المصمم الذي خص الاحتفال باللونين الأسود و الأبيض.

وصل الدور على العارضة الرئيسية و التي تقوم بتأديته أول مرة بعد معاناة طويلة لتحقق حلمها...دخلت بثقة واضحة و رأس عالٍ ينظر إلى أقصى أحلامها و هي في ريعان شبابها، تقدمت بخطوات ثابتة مرتدية فستانا أبيض طويل بلمس حريري مزين بأشجار على طوله باللون الأسود و مرصع بالألماس.

واصلت مسيرها و للحظة نظرت إلى زوجها و تفاجأت بشدة من وجوده فلم تحاول إظهار دهشتها لكي لا تعيق نمط تقدمها و اكتفت بغمزه بعينها اليمنى و هو كذلك بادلها نفس الإيماءة.

انتهى العرض مع تقديم جليلة لأجمل ما قام به المصمم و الذي ميزها بارتدائه كونها قاتلت بشدة لتصبح عارضة مميزة، و هي الآن ترى حلمها يتحقق و هي بجانب المصمم أمام تصفيقات الجميع و أضواء الكاميرات و الصحافة.

بعد انتهاء العرض، اختلست جليلة وهلة من الزمن و ذهبت لتقابل زوجها خليفة. جليلة: هل أنت هنا فعلا؟! سألته بفرح عامر و بهجة واضحة من شدة سرورها.

خليفة: و هل أضيع علي فرصة كهذه، لقد وعدتك أنني سأفعل أي شيء من أجلك، لن أتركك تفرحين لوحده في يومك هذا، أردت بشدة أن أقاسمك شعورك هذا.

جليلة: أووه حبيبي، أنا أحبك جدا.

تبادلا العناق و القبل بشدة فقال لها: لقد بدوت رائعة بشكل لافت، حتى أنني انتظرت دورك بلهفة شرسة.

أجابته بهمة: و بالطبع، هل ترى هنا شخصا أفضل مني، فأنا من أستحق أن أكون هنا، أليس كذلك!

ضحكا معا فأجابها: يا لتكبرك هذا!

جليلة: و لم ترى نفسك!

خليفة: حسنا، فزت مجددا!

جليلة: كما العادة، حسنا انظر يجب أن أذهب الآن لأغير ملابسي و ألحق بك إلى المنزل.

خليفة : و كيف عرفت أنني سأذهب و لن انتظر لآخذك معي !

جلیلة : لأنك دائما ما تمل من انتظاري و تتركني ثم تذهب!

ضحك و قال لها : فعلا أصبت، لكن اليوم سأنتظر لنذهب معاً، لقد اشتقت إليك!

كانت تنوي الذهاب بعدما أنهت مهلتها لكن خطر لها سؤال حير بالها فقالت : ما

سر هذا النشاط اليوم، اراك على غير عادتك !

و سألت هكذا لأنها ما مر عليها يوم معه إلا و العبوس و الغضب يطغيان على

وجهه و ظنت دائما أن عمله الصعب سبب ذلك.

خليفة : و كيف لا أكون سعيدا و أنا أرى زوجتي الحبيبة و هي تحقق أكبر أحلامها

و أنا بجانبها !

اطمأنت لإجابته الكاذبة و قالت : هذا ليس فقط أكبر أحلامي، هناك المزيد، و

المزيد الذي أطمح أن أحققه معك، اأأأ رأيت لقد أخذت من وقتي كثيرا، لقد

تأخرت، انتظرنى هنا حتى أغير و ألحق بك !

ودعها و ابتسم بمكر لا يظهر عليه إلا الحب و السلام.

جلسة حكم فخر الدين

المحكمة الابتدائية

بعدها انشغلت سعادة عن الحضور إلى الجلسة و محاولة إطفاء نار الغضب بداخلها وإخماد خطيئتها المرتقبة، تمكنت صديقتها مهيجة من الحضور بدلها و لعب الدور بإتقان.

دخلت إلى القاعة بعد أن انتهت من عرضها الموسيقي و اكتفت بارتداء فستان أسود قصير و حذاء كعب عال مع تسريحة مريجة لشعرها الأسود المسدل على كتفها...تقدمت و جلست مع الحضور لتشهد قدوم فخر الدين المكبل بأصفاد خطيئته و المتقدم برأس منحني كعادته منذ اعتقاله، مظهرها ندمه الشديد و تحسرا على فقدان حبيبته.

القاضي : السلام عليكم و رحمة الله، نحن اليوم بصدد الحكم في جريمة قتل و التي سميت عبر الدولة بقضية قتل الآباء، المتهم فخر الدين، أنت متهم بارتكابك سلسلة من جرائم القتل المتوالية و المتشابهة الأهداف، لقد قتلت أربع عشرة والدا و والدة، ماذا تقول في المنسوب إليك !؟

ظل فخر الدين صامتا لبرهة من الزمن و اكتفى بالنظر إلى أسفل قدميه إلى أن قطع صمته المدعي العام ناويا بدأ مرافعته لكنه قاطع حديثه و قال أخيراً و هو يتحدث ببرود تام و يقين واضح :

- عندما كنت طفلاً، فقدت والداي في حادث سير، مات الاثنان معا في يوم واحد، أصبحت وقتها يتيماً، تكفل بي عمي و أخذني إلى منزله، كان ضابطاً متزوجاً و ليس لديه أبناء، كنت محروماً من الحب في بيت عمي، لم يعاملني بحب و حنان طوال فترة مكوثي معه، لم يعرني اهتماماً قط، لقد كان يراني كحشرة لا أكثر، و لا ادري الى حد الآن، لماذا أخذني ليربيني في بيته و هو لا يحبني، لذلك أحسست بشدة وقتها أنني كنت محروماً من حنان والدي، و كنت كلما أرى شخصاً برفقتها ينتابني شعور عامر بالحزن و الألم، كتبت ذلك الحزن في قلبي طوال حياتي و عندما صار عمري حوالي الثانية عشرة استللت سلاح عمي و تسببت بسجنه و حرمانه من وظيفته و طلاقه و قمت حينها بأول جريمة لي حين رأيت شاباً يحتفل رفقة والديه بعيد ميلاده و لم أشعر بنفسي حتى وجدت جثتها أمامي هادمة و الشاب مغمى عليه، و كانت آخر جريمة ارتكبتها في حق خطيبتي سعادة، لقد حرمتها من والديها هي الأخرى بنفس الطريقة و لكن حرمانها منها و موتها جعلني يائساً، لم أعد أتحمل شيئاً بعد ذلك، لقد كانت بصيص النور في حياتي و الآن لم يعد لدي شيء سوى الموت لأكفر عن خطيئتي، لقد تهاديت حقاً في لنتها و أستحق الموت.

عند كلمته الأخيرة اهتز قلب مهجة و شعرت بأنها أقدمت على أكبر خطأ في حياتها بإلقاءه بين يدي العدالة دون أن تدري أن حكم جرائمه قد يصل إلى الإعدام.

لذلك ازداد معدل ضربات قلبها و أوشك على الوقوف لولا تدخل القاضي بعد مداولاته و النطق بالحكم النهائي الذي لن يرضي مسامع سعادة لو حضرت يومها.

القاضي : النطق بالحكم، بعد الاستماع إلى أقوال المتهم و مرافعة المدعي العام و دفاع المتهم و الأخذ بعين الاعتبار الحالة النفسية للمتهم و تصريحه و اعترافه التام بكل جرائمه، حكمت المحكمة بإدائته مدى الحياة، و حكمت عليه بالسجن المؤبد، رُفعت الجلسة.

لم يتقبل فخر الدين الحكم على تلك الطريقة و لكنه بعد وهلة من زمن الصدمة، فهم أنه لكي يكفر عن خطاياها يجب أن يعانى الأمرين و هو بين أربعة جدران يتحسر على ما فعله و من فقده، و كان هذا ثمن خطيئته.

و على عكسه شعرت مهجة بفرح كبير رغم أن حبيبها لم يذكر وجودها و لا تحدث عنها و لم ينظر إليها أصلاً، و لكن ارتاح بالها لأنها وثقت بشدة أنه سيأتي يوم ما و تنال مرادها منه.

بحثت في جميع أنحاء الشوارع بدون أن يخطر لها بال أن جلسة عدوها أقيمت اليوم، لم تدري إلى حد الآن أن مرادها تحقق، و لم يمت على يد العدالة، لكن ما شغل بالها الآن هو اغتصاب فرح و هتك عرضها، لقد أحست كأنه تم غدرها، أحست أنها فشلت في معركتها ضد المتسلط بوجه القانون، أرادت أن تجد وجه فرح أمامها من جديد و تمسك بيدها و تواسيها، لقد اقتربت منها فعلاً، لامست شيئاً عميقاً في قلبها، كان الأمل الوحيد لإبقاء سبب و جيد لسعادة و تحارب لتعود إلى شخصها الطبيعي و تكبح جماح خطاياها و التلذذ بارتكابها، لكن ضاع الأمل بسبب شخص

تحدى كبريائها وواجه ألمها، و لم يكن الحل إلا إطلاق العنان لأولى الخطايا :
الجشع.

و بينما كانت سعادة تبحث كالمجنونة حافية القدمين بين الشوارع، وصلت فرح إلى منزلها مع غروب شمس حياتها، تقدمت بخطوات متثاقلة، أخذت الهاتف و طلبت رقم والدتها، لكن لسوء الحظ كان مشغولا لسبب قوي، عاودت الاتصال لكن بدون جدوى، ألقت بالهاتف أرضا و اتجهت مباشرة إلى الحمام و ما إن دخلت حتى أطلقت الصبيب إلى أعلى مستوى على جسدها لعله يذهب القليل من وسخ من كسر جسدها.

تقول و الدمع يسيل من عينيها بهدوء : أنا متسخة، لقد تلطخ جسدي، أنا متسخة، أنا أحتاجك الآن بجاني، هيا... اذهب عني، ابتعد عني.

تقول ذلك و هي تحاول مسح جميع الاثار و الأماكن التي أمسك بها خليفة، و كان الوسخ الذي تتحدث عنه هو المناطق التي لمسها بيده دون أن تنتبه للدماء التي نزلت بسلاسة مع مياه الحوض بعد أن فض عذريتها.

خرجت من الحمام بعد أن حاولت أن تطهر نفسها، لكنها لم تستطع الصمود أكثر و نزلت على الأرض و تكورت على جسمها و هي تبكي بحرقة على انكسارها و انهزامها أمامه، و على وحدتها و غربة أمها التي احتاجت بشدة إلى أن تكون بجانيها حينها و تمسك بيدها و تعانقها.

فرح : أريدك الآن هنا، أحتاجك بشدة، أنا متسخة، لم يكفيني ذلك لإزالته، يجب أن ازيل الوسخ....

و بقيت على ذلك الحال حتى تمكن منها النوم على أرضية الحمام.

و ما حلا الإمساك باليدين و الحب إلا للضابط خليفة و زوجته التي التحقت به في سريرهما و نية تدبير خطتها على بالها.

الفصل ٥

" لقد كنت أنوي فقط أن أنظف وسمح جسدي و تحقيق طلب سعادة حول أزهار
حبيبها."

صباح أكبر خطيئة

لم تتمكن سعادة من النوم هائلة إلا بعد حلول الساعة الرابعة صباحا و لم تستيقظ إلا
على صوت رسالة إشعار كانت قد قامت بتفعيلها ليلتها على صفحة الأخبار الرئيسية
لكي يصلها كل جديد متعلق بأحدث القضايا و لعل كثرة الإشعارات هي ما جعلتها
تغفل عن نومها، و ترقبها الشديد لسماع خبر إعدام فخر الدين زاد من حماسها... لكن
عندما أمسكت الهاتف و قرأت الخبر، كانت الصدمة قوية عليها.

سعادة : كيف، كيف حُكِم عليه بالمؤبد، إنه قاتل، كيف يفعلون ذلك، لقد...كيف....
صرخت بشدة جعلت المنزل يهتز حولها، فحملت نفسها و خرجت و أمام عينها لا
يوجد سوى هدف واحد، هو الانتقام.

مرتدية فستانا أبيض طويل، شعرها منسدل بشكل حريري على طول جسمها و
ترينه ياقة بيضاء ملائكية اللون، هكذا اختارت فرح مظهرها اليوم بعد أن
استيقظت و وجدت نفسها على أرضية الحمام و ارتأت أن تغير من حالها و تحاول
تطهير جسمها مما تركه خليفة عليها، لذلك استحمت و صفت شعرها المموج ثم

ارتدت الفستان و اتصلت بوالدتها نورسين مرات عديدة دون أي رد، و كانت محاولتها الأخيرة فاشلة أيضا.

فرح : أريدك بجانبني يا والدتي، أريد أن أعانقك و تعينيني على تحمل هذا القدر، لا أستطيع حمل هذا الوزر على قلبي، أنا متسخة بشدة...لقد انتظرتك طويلا، يجب أن أذهب الآن و أبعد العار عن جسدي، يجب أن أنظفه !

أمسكت الهاتف مجددا و بعثت رسالة الى والدتها تحمل عنوان منزل سعادة بينما وصلت سعادة إلى مقر الشرطة و بدأت تصرخ بجنون غير مبالية بالعواقب.

•

سعادة : لماذا ما زال حيا، لماذا تركتموه يعيش، لقد قتل والداي، ، لقد قتل آباءكم، لقد قتلتني أيضا، لماذا يعيش بينما دفنت والداي و يدخل الأسي إلى قلبي، لماذا يعيش و يتركني أتألم هكذا،...

تدخل أحد الشرطيين و أوقفها و منعها من الدخول أكثر و قال لها : هل جنت، مالذي تفعلينه هنا، إنك دائما ما تعيقين عملنا، إذا حاولت فعل ذلك مجددا سأعتقلك !

سعادة : و إن كنت تقوم بعملك أصلاً، حسنا، لك ذلك، سأرحل...لكن بما أنكم لم تقوموا بعملكم، سأقتله أنا بيدي.

قالت هذا في قرارة نفسها ثم رحلت غاضبة من المركز متجهة إلى منزلها.

و لم تكن هي الوحيدة التي أخذت طريق المنزل، بل اتخذته فرح أيضا طريقا لها و هي عازمة على تحقيق وعدها.

~

عندما اقتربت من منزل سعادة، ثققلت خطواتها و استرجعت ذكرى اغتصابها، تذكرت العنف الذي تعرضت له على يد الضابط، تذكرت إهاناته لها و كيف احتقرها و أدمى جسدها، ازدادت غريزة الخطيئة في قلبها، تقدمت بسرعة و الفستان يتبع خطواتها، فتحت الباب و من سوء حظها وجدته مفتوحا بعد أن نسيت سعادة إغلاقه من شدة غضبها فتقدمت و صعدت إلى أعلى حيث توجد الغرفة التي بدأت فيها بوادر الخطيئة، و بدأت تفرغ علب البنزين التي كانت تحملها بين يديها، بدأت بالفراش ثم الأرضية و تابعت إلى أن وصلت إلى أزهار البنفسج بحيث لم تستطع حرمانها من تذوق البنزين و لا جسمها أيضا.

قذفت العلبتين خارج المنزل و ذهبت إلى المطبخ و أفرغت قنينة الغاز من محتواها. لقد كانت تتصرف كالمجنونة، لقد تمادت في غوصها في خطيئتها لدرجة جعلتها تحرق نفسها و تزيل أي أثر لما حل بها، لقد كانت ضعيفة جداً لدرجة مكنتها من ذلك.

فرح : لا أستطيع تحمل ضعفي، لذلك سأنهيه، و أنهي مأساتي معه، هذا ما سيجعلني نظيفة إلى الأبد.

قالت آخر كلماتها ثم ألقت بورقة ملتهبة و شب الحريق بسرعة الضوء داخل كل أرجاء المنزل و تمكنت النيران منها و ازالته كل شيء من ماضيها و حاضرها و مستقبلها المنعدم.

•

داخل السجن، دخلت مهجة بعد أن تعاملت مع أحد الحراس و سمح لها بزيارة فخر الدين مقابل ثمن باهض.

دخل منك القوى إلى قاعة الزوار الخالية، لأن الوقت ليس قانونيا لزيارة أحد فوجد حبيبته السابقة بداخلها.

صرخ في وجهها و كأنه يفرغ غضبه داخلها : مالذي تفعلينه هنا، قلت لك أنني لا أريد رؤيتك هنا، ماذا تفعلين قربي !؟

اقتربت منه مهجة و قالت له بهدوء : لقد أخبرتك مسبقا أنني لن أبتعد عنك، أنت ملكي و أنا لك، أنت حبيبي و لن أتخلي عنك.

زادت حدة غضبه و انفجر في وجهها : قلت لك أن تبتعدي مني، أنا قاتل، لقد قتلها مرارا، لقد أحببت فتاة واحدة، هي سعادة و الآن ماتت، لذلك لا أريد رؤية أحد، خاصة أنت.

صرخت في وجهه أيضا : لا تذكر اسمها أمامي، أنا الآن التي بجانبك، أنا أفهمك و أنا أحبك، سأزورك كل يوم، سأجعلك تحبني من جديد، أتفهم، سأحبي علاقتنا، لن

أترك هنا وحدك، ساكون دوما بجانبك يا حبيبي، و صدقتي سأجعل زواجنا يتحقق هنا، أعدك.

قالت كل ذلك ضاربة عرض الحائط كل غضبه و كلامه، ثم ذهبت في سبيلها و الابتسامة قرينها، بينما ظل العبوس و الغضب يعتليان وجهه.

كانت تمسك الهاتف بيدها و تقرأ رسالة ابنتها فرح و تبتسم، كان في نيتها ألا ترد عليها و تفاجئها بقدمها، لكن ما رآته امامها عند وقوفها أمام المنزل جمد قلبها و جعل نيرانه تكتسح قلبها.

تقدمت خطوتين إلى الأمام، دفعت الرياح عقدها الطويل المزين على شكل قلب في اخره، و كان ذلك هدية من ابنتها لها.

أرعبها منظر المنزل و هو يحترق، تأكدت جيدا من العنوان ثم هرولت مسرعة لتلحق ابنتها لعلها تنقذها لكن ما إن لبثت حتى جاءت سعادة مرتعبة من هول المنظر و هلعه، لقد كان حجما آخر تعيشه في حياتها، سارعت للإمساك بنورسين و منعها من الدخول لأن النيران كانت تشب داخل المنزل و خارجه، و ما زاد الأمر هولاً هو انفجار قنينة الغاز مما جعل كل شيء يتطاير داخل البيت و من ثم ظهر جسد فرح و هو يحترق و صراخها جعل المكان مدويا مما جعل كل الجيران يتركون بيوتهم و يخرجوا خوفا من عواقب الانفجار.

صرخت نورسين بأعلى صوتها، لقد رأت جثة ابنتها تحترق أمامها، سمعت تألمها و هي تفارق الحياة، تمزق قلبها و هي بين يدي سعادة التي أمسكت بها بقوة حماية لها

من أي تهور بينما لم تتحمل ذلك و هي تقول : اتركيني، إن ابنتي هناك، ابتعدي عني، إنها تموت، يجب أن أنقذها، ابتعدي.

سعادة : ابنتك ! لن أتركك تلقين بنفسك هناك، لن أتركك !

ظلت تصرخ بكامل قوتها إلى أن فقدت الوعي و سقطت أرضا بحيث لم تتحمل سعادة حملها أكثر، ثم وقع منها العقد.

سعادة : مالذي فعلته بنفسك فرح !

الفصل ٦

" لماذا يأخذون مني ابنتي هكذا، لن أتركها تذهب، سترون ما الذي سأفعله، و لا تلوموني ! "

طوقت الشرطة المكان بينما سيطرت الصدمة على نورسين و طال إغماؤها و دموع الألم لم تفارق وجه سعادة.

تمكن رجال الإطفاء من القدوم في وقت يمكن القول أنه مناسب لأنهم استطاعوا إيقاف النيران قليلا و منعها من تهشيم البيت بأكمله أما الشرطة العلمية فكان هدفها هو تجميع أية أدلة قرب الضحية أو على جسمها المتفحم الذي قاموا بتغطيته بعد أخذ الصور اللازمة و العينات المطلوبة.

استرجعت نورسين وعيها بالكاد و كان أول ما رأته من بعيد هو جثة ابنتها مغطاة برداء بالٍ فأسرعت الخطى و هي تتمايل، أمسكتها سعادة محاولة منعها فانفجرت في وجهها :

نورسين : ابتعدي عني، لا تمسكيني، من أنت أصلاً، لا تحاولي إمساكي مجدداً، ابتعدي عن طريقي.

سعادة : لا يمكنك الدخول هناك، إن الشرطة تقوم بعملها.

نورسين : و من أنت لتتدخل بيني و بين ابنتي !

أطلقت سعادة يدها بعدما شهد الكل صراعها فاتجهت مباشرة إلى أمام البيت و هي تصرخ مسرعة : ابنتي، فرح، ابنتي...

أوقفها الشرطي أمام الباب قائلاً : لا يسمح لك بالدخول يا سيدتي، المكان مطوق.

نورسين : أريد رؤية ابنتي، لن تمنعني من ذلك، أريد رؤية ابنتي، الآن !

صرخت بأعلى صوتها و هي تناشدهم رغبة منها في رؤية ابنتها رغم أنه لم يعد هناك ما يمكن رؤيته، فسمح لها الشرطي بالدخول، اقتربت أكثر وسط الحطام و الأعمدة المتفحمة ليظهر لها جسد ابنتها ملقى وسط المطبخ، يظهر فقط جزء من شعرها و الإكسسوار الذي كانت تزينه به، أسرعت إليها و انحنت مقتربة منها ليلا مس عقدها الطويل جثة ابنتها، أزال الغطاء عن وجهها و ما كان لها إلا صرخة مدوية تطلقها من شدة ألمها وصل صيتها إلى كل من حضر ليشهد الكارثة قرب المنزل، و من بينهم سعادة التي اهتز قلبها عند سماعها و التي كانت قريبة نوعا ما من المنزل.

نورسين : آه يا ابنتي، آه يا حبيبي و من فعل بك هذا، من، آه، لماذا، لماذا تموتين هكذا، لماذا يحصل هذا، لماذا !؟

كان نحيبها يعتصر بالألم و الغضب الذي أعمى قلبها و جعلها تنتفض لتواجه سعادة. نورسين : هيا قولي، كيف حصل هذا، هذا منزلك أليس كذلك، كيف تموت ابنتي بداخله بهذه الطريقة الوحشية، من فعل هذا، من المسؤول، هيا قولي شيئاً، هيا ! كانت تمسك يدها بعنف ظاهر جعل الشرطة تتحرك من مكانها و توقفها ليكمل المحقق عمله.

المحقق : هيا، نعلم الآن أن المنزل لك، كيف حصل هذا، هل تعلمين شيئاً، ما علاقتك بفرح، من فعل بها هذا، كيف تموت بداخل منزلك ؟

استجمعت سعادة أنفاسها و قالت : سأعترف بكل شيء كما سبق و فعلت.
أخذ بيدها المحقق ثم قال : سنذهب الآن إلى المخفر، هناك سنأخذ أقوالك و نعرف
الطريق إلى حل القضية !

ذهبت مع الشرطة بسرعة جعلت من نورسين تقف واهنة غير مبالية إلا بموت ابنتها
و الحسرة التي تعتلي قلبها لدرجة لم تستطع اللحاق بهم و معرفة الحقيقة ؛ بحيث
عادت قرب ابنتها و بعد موافقة الشرطي أخذت الإكسوار من شعرها و الذي لم
يسلم هو الآخر من نيران الخطيئة.

أمسكت به بين يديها و الغضب يشتاظ من عينها و هي تقول :
أنا السبب، كان يجب أن أكون معك، لقد تركتك لوحدي، أنا السبب في هذا، لقد
انشغلت بعلمي و تركت ابنتي وحيدة، كيف فعلت ذلك، لقد رأيت كل اتصالاتك و
لم أخصص لك و لا ثانية واحدة، لقد تخليت عنك، كيف سأعيش بهذا الذنب.

تذكرت ليلتها حين كانت منهمة في إتمام عملية زرع قلب لمريض على فراش الموت،
رن هاتفها أثناء ذلك و لم تستطع الرد و حين انتهائها آثرت ألا ترد عليها أو تتصل
بها و أن تأتي بدل ذلك لتعانق أحضان ابنتها و تفاجئها، لكن فات الأوان.

نورسين : كيف سأعيش بعدك يا ابنتي، أنا أتألم بشدة، الحسرة تقتلني، لقد كنت
أريد فقط أن أمسك يدك بدل الحديث بعيدا عنك، كيف سأتحمل هذا، حياتي
انتهت اليوم يا حبيبتي، ليست لي حياة بعدك.

في مخفر الشرطة و في مكتب التحقيق بدأ استجواب سعادة.

المحقق : هيا قولي ما لديك !

سعادة : التقيت بفرح صدفة عندما حاول أحدهم اغتصابها في الشارع فأخذتها معي و حاولت حمايتها منه، اتصلت لأبلغكم بالذي حاول فعله، لكنه عاد بعد ذلك و، و تمكن منها في بيتي، في غرفتي، و بعد ذلك لم أعثر لها على أي أثر، اختفت، و بينما كنت بالخارج اليوم حصل ما حصل، و الذي اغتصبها هو الضابط خليفة، و أنا أتحمل مسؤولية أقوالي، خليفة هو من اغتصب فرح و من الممكن جدا أن يكون السبب في قتلها.

المحقق : إنك تتهمين ضابطا يا آنسة، هل أنت متأكدة من قولك، ما دليلك !؟

سعادة : ليس معي دليل قاطع، لكن اظن أن اتصالي بكم يومها سيكون كافيا لو انه يتواجد في سجلاتكم، و هناك كاميرا أمام باب منزلي، أظن أن هذا كافيا،... لماذا لا يقوم الضابط بذلك، هل هو ملاك، أتعلم أن قاتل الآباء يكون خطيبي و هو مدرسي في كلية القانون، إنها مفارقة عجيبة أليس كذلك، لذا الدافع الذي يجعل أستاذ القانون يقتل صحاياه بدم بارد هو نفسه السبب في جعل ضابط الشرطة يغتصب فتاةً و يتسبب في قتلها، و بهذا أرجوا أن تتحقق العدالة.

في استوديو التدريبات، التقت مهجة بصديقتها إريك مغني الأوبرا الباريسي برفقتها.

اقتربت منه و قالت بشغف و عين متقدة : كيف الحال عندك !
اقترب منها هو الآخر و أمسك بخصرها بطريقة مثيرة و الذي جعل لقاؤهما مريحا هو
تواجههما لوحدهما داخل الاستوديو : و كيف ساكون و أنا بقرب حبيبتي ، أحبك
بشدة. ثم قبل شفيتها و داعبته هي الأخرى و قالت : أحبك أكثر.

استمرت قبلاتهما الحارة لدقائق متواصلة و جسديهما يتقدان حبا و شغفا ثم تذكرت
مهمة موعد زيارة حبيبها فخر الدين الذي أوشك على الوصول فقالت : هل
استعددت بشكل لائق من أجل الحفلة غدا !؟

إريك : أنا في أتم الاستعداد، و ما يسهل أمره هو وجودك بجانبني ، وجودك في
حياتي جعل طعمها حلوا يا حبيبتي.

مهمة : أنا مرتعبة قليلا ، فغدا لدينا حفلة من الطراز الرفيع ، عالية المقامات يا
حبيبي ، لقد استعددت جيدا لكن الرهبة لا تفارقني.

إريك : ثقي بي ، سيمر كل شيء على ما يرام ، أنا أحبك و سأجعل هذه الرهبة
تزول الآن ، سوف نكون في أهبى مقامنا غدا و نحن بجانب بعض.
طبع قبلة خفيفة على شفيتها ثم تركها تذهب دون أن يعلم وجهتها.

انتهى استجواب سعادة و همت بالخروج من المكتب، و لحظتها وصلت مهمة و
تناهى إلى مسامعها ما قالته سعادة إلى المحقق : أريده أن يأخذ عقابه، يجب أن
تطبق العدالة في حقه، لن يضيع دم فرح هباء.

استدارت و التقى وجهها بوجه مهجة مباشرة أمامها، فانطبعت على وجه سعادة الحيرة بينما اعتلى وجه مهجة التكبر و التهمك فقالت :

مهجة : ما الذي أتى بك هنا ! هل جئت لتري حبيبك الذي قتل والديك !
سعادة : و ما الذي أتى بك هنا، هل جئت لتري حبيبك السابق الذي تخلى عنك من أجلي.

مهجة : لقد تخلى عني من أجلك فعلا، لذلك تعلقت به أكثر، ا و تدرين ماذا، لقد أخذته منك و استرجعته لأحضاني إلى الأبد، لقد قمت بزجه في السجن من أجل ابعادك عنه، ذلك الرجل ملكي لوحدى، و لن أتركه لك.

قالت سعادة بتهكم : يا للعجب، هل وصل بك الأمر إلى هذا الحد، فعلا إنك محاربة من الدرجة الأولى ! تستحقين التشجيع، لقد بلغت بحبيبك و أدخلته السجن فقط لتبعدينه عني، فعلا إنه لحسد متهور، و ماذا استفدت الآن !

أجابت مهجة بتهكم : و إن يكن، سأجعله يعود إلى أحضاني، فقط كفالة خفيفة كفيلا بأن تجمعني بحبيبي، آه نسيت، إنه يظن أنك ميتة.

استغربت سعادة و تهكمت قائلة : أووه، هل فعلت هذا أيضاً، فعلا أنت تحزين تقدا مالموسا،...اسمعي جيدا، أنا لا يهمني أمرك و لا أمره، هو لك و أنت له، أنتما من نفس الطينة، تليقان ببعضكما، أدرين ماذا أيضا، ما خلفته يناسبك تماما.

قالت كلمتها ثم ذهبت و الخطة بدأت تحاك في ذهنها، خطة إخراجها من السجن و قتله، بدأ دماغها يعصف بالأحداث من جديد ؛ انتقامها من فخر الدين الذي بدأت تتضح بوادره بفضل مهجة.

سعادة : لم أكن أظن أنك غبية لتلك الدرجة، سوف يخرج من السجن و أجعل قبره في حديقة منزلي.

ثم تذكرت أنه لم يعد لها منزل تسكن فيه، و لا تحمل إلا فستانها و الحذاء العالي على جلدها، كل ذكرياتها احترقت، لا مال لها الآن و لا وجهة تذهب إليها،... تذكرت تحدي خليفة لها و اغتصابه لفرح، موتها البشع، خطة مهجة و فرحها العارم ظنا منها أنها انتقمت و سترجع حبيبها إلى أحضانها.

سعادة : فعلا حياتي أصبحت معقدة و تزداد تعقيدا أكثر فأكثر !

كان الصباح على هذا التعقيد من الحياة، و لم يسلم منه مؤقتا إلا خليفة و زوجته على فراش الحب.

كانت بين أحضانها و هي شبه عارية و كانت تجمع خصلات شعرها بطريقة مثيرة إلى أعلى بينما كان خليفة يرتدي معطفه الرمادي الخفيف الملمس و صدره العاري يبرز عضلاته القوية...قبلها بشغف و حرارة ليقطع تواصل حبهما إيقاع طرقات الباب و صوت الشرطة مناديا باسمه.

فزع بشكل جلي و نهض مسرعا من فراشه، الأمر الذي حير جليلة و جعلها تنتفض قائلة : ماذا بك، لماذا أنت خائف !؟

ما جعلها تؤكد كلامها هو رجفته و اتساع عينيه و دهشته الواضحة فأجابها : لا، لا، لست خائفا !

جليلة : و لماذا أنت مرتبك، لن يكونوا إلا أصدقاؤك في العمل.

خليفة : لا، لا يمكن، لم يسبق لهم أن أتوا لزيارتي في منزلي، سأذهب لأرى !
خرج من الغرفة مهرولاً فلحقت به بعد أن ارتدت معطفها الحريري و تركت شعرها
على شاكلته.

فتح الباب و إذ برجال الشرطة يطوقون المكان، تقدم المحقق و قال : الضابط
خليفة، أنت متهم في قضية اغتصاب، الضحية وجدت اليوم مقتولة حرقاً في منزل
إحدى صديقاتها، و هي من شهدت ضدك.

اهتز قلبه و اقشعر بدنه عند سماع خبر موتها، بينما لم تتقبل جليلة الصدمة فقال هو
بثبات و تكبر نوعاً ما : ماذا تقول يا حضرة المحقق، هل أنت واع لما تقوله، هل
تتهمني أنا، أنا، الضابط خليفة، هل تدري جيداً من أنا !؟

المحقق : أدري جيداً من أنت و ما الذي فعلته، لدينا شهادة الفتاة و الدلائل، و إن
احتجت إلى دلائل أخرى، سوف نقوم بتشريح الجثة و نتحقق من قضية
الاغتصاب و نتأكد منك أنت الفاعل ! هل تريد هذا أم ستقر بذنبك !؟ حسناً
تفضل معي أرجوك بدون إثارة مشاكل.

خليفة : لن أبرح مكاني، أنا لم أفعل شيئاً و افعل ما شئت، لم أفعل شيئاً.
أخذاه الشرطيان و كبلا يديه بالأصفاد رغم مقاومته الشرسة، و صراخ جليلة الذي
ظلت مصدومة من التهمة الموجهة إلى زوجها و هي تنظر إليه و هو يبتعد داخل
سيارة الشرطة.

الفصل ٧

"أرى كل شيء يهترق أمامي و ما لي إلا التمتع بخطيئتي."

دخلت سعادة المركز بعدما تم استدعاؤها لمواجهة المتهم و التعرف عليه عن قرب و
تأكيد شهادتها ؛ فالتقت به و كانت صدمته متوقعة و كان على يقين منها أنها من
شهدت ضده فقال لها : إذن لم يكن سوى أنت، كنت أعلم ذلك!

سعادة : و من سيكون غيري، هل سأدعك تسعد بما فعلته، لن يرتاح لي بال حتى
أراك تتعفن في سجنك.

خليفة : فعلا أنت تعيسة، أتعلمين لماذا، لأنتي تحديتيك و أنت تحديتني دون أن
تعلمي حقيقة شخصيتي، فعلا أنت تعيسة، لكن ترقبي الجديد قريباً سنلتقي.

سعادة بتهكم : و من قال أنتي سعيدة !

حل الصباح على سعادة و هي نائمة بجوار منزلها المحترق، نامت الليل بأكمله قرب
منزلها الممنوع عليها دخوله، نامت عند باب منزلها المحاط بأشرطة الحماية الأمنية
المتعلقة بالجريمة، لم تأبه للوضع الكارثي الذي آلت إليه حياتها، و لكن ما يشفي
غليلها هو العقاب الذي سيحصل عليه خليفة بعد الإمساك به بعدما قدمت
شكواها و تأكدها من القبض عليه.

استيقظت بعد بزوغ الفجر بقليل و كان البرد القارس يعانق جسدها الهزيل و لم
يكن كافيا الفستان القصير لمنعه من أذيتها... نظرت داخل البيت عبر النافذة الكبيرة
المجاورة للبوابة و رأت من بعيد صور عائلتها المعلقة على الحائط الذي تمكنت منها
النيران هي الأخرى و تركت فقط أجزاءً متفحمة ماحية بذلك كل ذكرى تم توثيقها
إلى الأبد.

في مركز الشرطة، بعدما تم التحقيق مع خليفة و بعد نكرانه كل ما نسب إليه و ما جاء على لسان سعادة، لم يتمكن المحققون من تسجيل أي اعتراف من لدنه و ارتأوا سجنه في المراقبة انتظارا لتشريح الجثة، و هو الآن بين يدي الشرطة مقتاد إلى مكانه إلى أن اعترضت جليلة طريقهم.

جليلة بقلب متقد و أعصاب باردة : قل لي أنك لم تفعل شيئاً، ليس لك دخل في هذا، أليس كذلك !؟

أجابها بهدوء و الأصفاد بيديه : أنا لم أفعل شيئاً، هل صدقت فعلا هذا !؟ أنا بريء من هذا، كيف يمكنني فعل ذلك !؟...

فقاطعت كلامه نورسين و هي قادمة لتوها من المقبرة، مرتدية وشاحا و غطاء أسود يغطي كامل شعرها الذهبي، تقدمت بثقة واضحة و شجاعة كبيرة ثم وقفت أمامه و واجهته :

- لقد اغتصبت ابنتي و قمت بقتلها حرقا، أنت من فعل ذلك، لقد تواجمنا أخيراً، اسمع، لن أرحمك، لن أسمح لك أن تعيش بعد ابنتي، و إن عشت فسنعيش معا، و سيكون كل يوم يمر عليك و أنت تنغمس في أكثر و أكبر خطاياك و أنا سأدعمك، أنت ارتكبت الخطيئة و أنا من سيعاقبك.

ظل ينظر إليها دون أن يلفظ كلمة و كانت عيناه تتقدان و قلبه يخفق بقوة، كانت وقع كلماتها قويا و قاسيا عليه، لكن لم تسنح له الفرصة في مواجهتها و تبرئة نفسه

امامها أو الدفاع عن قضيته أو قول أي كلمة، و لم تسمح له الشرطة بقضاء وقت أطول في الحديث و أخذته بسرعة إلى المراقبة.

بعد ذهابه تقابلت جليلة مع نورسين وجها لوجه دون أن تحكي الواحدة للأخرى أية كلمة، كان فقط عقلها و قلبها يتصارعان فيما بينهما...حيث شعرت جليلة أن نورسين ستتسبب لها و لزوجها في الكثير من المتاعب، بينما تفكر نورسين في شيء واحد فقط هو الانتقام، و يقينها التام أن خليفة من قتل ابنتها و أنهى حياتها معا.

حفل الأوبرا الثاني للمغنية مهجة و المغني الباريسي إريك.

هكذا كان عنوان أول صفحة في جريدة الأخبار الفنية ظاهرا بوضوح و مرفقا بصور المغنيين معا.

تحت هتافات و تصفيقات الجمهور بدأ العرض الموسيقي الراقى و تقدم إريك أولا ثم لحقت به مهجة على المنصة بفستان أسود حريري قصير و تصفيقة كلاسيكية لشعرها، تقدمت فأمسك بها من خصرها و بدأوا رقصتهما و هما يغنيان أغنيتهما الشهيرة : شبح الأوبرا، و كان التركيز اليوم أكثر على فنها في الرقص.

كانت مهجة تتمايل بشكل مثير بين أحضان إريك و مع كل خطوة تتذكر خيانة فخر الدين لها و كيف تسببت بسجنه، حبها القديم له و كرهها له في نفس الوقت، اختلطت المشاعر و زادت حدة تمازجها و لم تجد إلا أحضان إريك لتتبع بينها عند انتهاء الحفل.

في مركز الشرطة مجددا

كانت تنتظر جليلة بفارغ الصبر أمام المقر، و لم يبرد نار اشتياقها إلا قدوم خليفة و
خروجه أمامها عبر البوابة.

سارعت و ألقَت بنفسها بين أحضانه و عانقته بشدة و هو كذلك ثم قالت له : الحمد
لله، لم يتأخر هذا كثيرا، أنا سعيدة جدا، عانقني !

عانقها بشدة و قال لها : أنا أيضا فرح جدا بما فعلته لأجلي، أحبك بشدة.

الفصل ٨

"نورسين: إن لزم الأمر سأضحى بحياتي كلها من أجل الانتقام."

داخل منزل الضابط خليفة حيث حكم عليه بسراح مشروط.

عبر نافذة غرفته، كان يتأمل بعمق و يتذكر فعلته و كيف أطلقت الشرطة سراحه في لمح البصر، قطعت تأمله جليلة التي دخلت بهدوء تام و هي تحمل هاتفها بعدما قرأت خبرا أزعج يومها.

جليلة : لقد نشروا الأخبار بسرعة، لم يتركوا شيئاً إلا و كُتِبَ على الصفحة الأولى ؛

"الضابط خليفة يغتصب فتاة شابة و يقتلها ثم يشوه جثتها

حرقاً"

"خروج الضابط خليفة بسراح مشروط لعدم توفر أدلة

كافية لإدائته"

- قل لي يا حبيبي، أخبرني أرجوك، قل لي أنك لم تفعل شيئاً، لم تفعل، أليس كذلك !؟

خليفة : قلت لك أنني لم أفعل شيئاً، يجب أن تثقي بي بشكل كامل، أنا لم أفعل شيئاً !

جليلة : أنا أثق بك لذلك اهتز خاطري عندما سمعت هذا الخبر، و هذا ما جعلني أقوم بدفع كفالتك لأنني على علم واثق أنك بريء، لم أرد ان أتركك لدقيقة في السجن.

خليفة : أحبك بشدة...

قطع كلامها صوت القرع على الباب فارتأت جليلة أن تذهب و ترى بنفسها، تركته و ذهبت خارجا و هي تقول بتكبر عال : لا أدري لماذا لا أستطيع تصديقك !
التفت خليفة و استكمل حديثه مع نفسه ليفضي أخيرا عن نيته : لقد جنيت على نفسك، لقد تحديت الشخص الخطأ، انتظريني، سأخرج و تعرفين جيدا مع من ابتلاك قدرك.

التحقت جليلة بالطارق فإذا بها **مهجة**.

استغربت جليلة منها فطلبت أن تعرف بنفسها.

مهجة : أعلم أنك لا تعرفيني، لكن أنا أعرفك جيدا، أنت زوجة الضابط خليفة المتهم ب...بتلك القضية،...

جليلة : انتظري قليلا، من أنت و من أين لك هذه الجرأة ؟

مهجة : أنا لن أطيل حديثي، جئت فقط لأساعدك في قضية زوجك !

جليلة : و من أخبرك أنني في حاجة لمساعدة أحد !

مهجة : أنا أعلم من اشتكى على زوجك و قدم اعترافا كاذبا في حقه.

أجابت بهدوء بعدما اثار الكلام انتباهها : من، هيا قولي ؟

مهجة : لقد كانت صديقتي، خانت ثقتي و أخذت حبيبي، إنها خائنة و كاذبة، لذلك من الواضح جدا أنها لفقت التهمة إلى زوجك و مرادها شيء آخر.

جلیلة : لا یهمنی كونها صدیقتك أو غیر ذلك !

مہجة : سأعطیک عنوانها إن أردت و اسمها، كل شیء موجود علی هاته الورقة.
و قدمت الورقة إليها ثم قالت جلیلة : و ماذا تريدین مقابل هذا، فعلا لن تقومي بشيء كهذا من دون مقابل !

مہجة : لا أريد شیئا ! طبعت ابتسامة خفیفة ثم تركت المنزل عند بوابته.

خبر حرية خلیفة المشروطة انتشر بسرعة علی كل المواقع و المجلات و هو ما كان ینتظر نورسین داخل بیتها.

دخلت بشكل هادی بعدما زارت قبر ابنتها صباحا، فتحت الباب و تقدمت برداءها الأسود الذي یغطي كامل شعرها و حاملة العقد التي أهدتها ابنتها بین یدیها، تقدمت و الدموع لم تفارق عینها ثم رأت الجریدة علی الأرض ؛ تلك العادة التي لم تنزعها داخل بیتها رغم ذهابها خارج البلاد... رأت الجریدة و أمعنت النظر جيدا لتتأكد من الذي لفت انتباهها أولا ؛ صورة خلیفة.

أمسكتها بین یدیها و بدأت ترتعد بشكل هستیري و هي تقول :

- کیف ؟ کیف یحصل هذا ! کیف یخرج ! لماذا ؟ لماذا ! تريدون حریته !
سأقتله، سأقتله و أدفنه كما دفنت ابنتي، خرج من السجن لیموت بین یدی.

سقط الرداء من علی رأسها من شدة ارتباكها و صراخها، و سقط العقد من بین یدیها لیرتطم قلبه أرضا، ثم خرجت مہرولة إلى مركز الشرطة.

وصلت إلى مركز الشرطة و هناك بدأت تصرخ بشكل هستيري غير مبالية بالعواقب، تجندت الشرطة أمام صراخها و هي تحاول الدخول إلى المركز.

نورسين : كيف تطلقون سراحه، لقد قتل ابنتي، لقد اغتصب ابنتي و أحرق جثتها، و ماذا تفعلون أتم بالمقابل، تطلقون سراحه بعد ليلة واحدة يقضيها، أهذا لأنه ضابط،...

قطع الضابط صوت صراخها و قال : سيدتي، أنت تثيرين فوضى كبيرة هنا، إنك في مركز الشرطة، اعرف حجم خسارتك في ابنتك، لكن اسمعي، لا يوجد لدينا أي دليل قاطع لإدانته، لقد احترقت الجثة بالكامل، لم يعد بإمكاننا أخذ و لا عينة للفحص، و لا الكاميرا تثبت شيئاً لأنها تظهر فقط دخول خليفة عبر الباب، توجد كاميرا واحدة فقط، عند البوابة، هذا ما جعلنا نطلقه بسراح مشروط بالإضافة إلى شهادة سعادة !

كانت كل كلمة يذكرها بشأن ابنتها تمزق قلبها و تزيد من حالتها سوءاً.

نورسين : لا يهمني شيء مما تقوله، هو من اغتصب ابنتي و هو من قتلها، لن أسمح بتركه هكذا، أريد أن اراه ميتاً أسمع، أريد أن أراه ميتاً أممي، هذا ما سيجعل بالي مرتاحاً، إن لم تعيدوه إلى السجن سأقتله بنفسي، و أنا لن أبرح مكاني هذا، إلا عند رؤيته، سأظل هنا و لو قتلني الظمأ، سأبقى هنا.

جلست على الأرض و كأن جبلا اهتد على الأرض بصوت مدوي جعل الكل يهتز
عند جلوسه، فلم يستطع الضابط و لا رجال الشرطة منعها فذهبوا تاركين إياها
على الأرض وحيدة و الناس مجمعة حولها يتأسفون لحالها.

وصلت جلييلة الى منزل سعادة و كانت تلك أول مرة ترى فيها من كانت ستدمر
حياتها و تأخذ حب حياتها منها.

كانت سعادة متكئة على أحد الأعمدة و هي تنظر بعيدا و تتأمل حياتها التي تنهار
شيئا فشيئا غير مبالية بالضيفة التي التحقت بها.

بدأت جلييلة تمعن النظر في المنزل باحتقار و أخذ تركيزها الفراش الذي كانت سعادة
تتوسد قرب عتبة بابها لأنه لم يكن يسمح لها بدخول بيتها و هو على قيد التحقيق و
تم إغلاقه لحين انتهاء القضية.

جلييلة : لم أكن أتوقع أن أراك هكذا ! خلت أنك ستكونين في حال مترف بعد أن
شهدت ضد زوجي !

التفتت سعادة ببرود واضح و قالت : إذن أنت زوجة الضابط !

اقتربت جلييلة و ظهرت عليها ملامح الحيرة و الحقد في آن واحد و قالت : نعم أنا
زوجته، و أنا هنا من أجله ! أرى أنك في حال مزرية فعلا، أفهم الآن أن فرح
مات هنا، إذن أنت أصبحت بلا مأوى و لا شيء، اسمعي، زوجي لم يفعل شيئا،

لا يعرف تلك الفتاة و لم يقترب منها، لم يفعل شيئاً، إنه لا يستطيع فعل هذا، إنه ضابط.

بقيت سعادة واقفة بجانب العمود و هي تجيب ببرود حاد : زوجك اغتصب فرح و من قتلها لن يكون غيره، هذا ما أعلمه أنا و ما سبق و أخبرت الشرطة به، لقد رأيت كل شيء أمام عيني، لقد تمكن مني و لم أستطع إنقاذها، و هددني أنا أيضاً، زوجك الضابط مجرم.

جلييلة : اسمعيني، لقد اعترف بشكل واضح أنه لم يفعل شيئاً، لا يوجد دليل، ماذا تريدان أكثر من هذا، اسمعي أنا أحب زوجي بشدة و لا أريد لعائلي أن تتحطم بسبب شهادة صغيرة منك، لن أسمح لك بذلك، ستسحبين شهادتك و تحررين زوجي، **يجب أن يعود إلي حراً و إلى ابنة.**

قالت ذلك و هي تداعب بطنها لتثير اهتمام سعادة إلى حملها و تجعل قلبها يرا أف تجاهه.

سعادة : زوجك ارتكب جرماً خطيراً و يجب أن يأخذ عقابه !

طال صبر جلييلة و كظم غيظها و لم تتحمل إخفاء شخصها فقررت الانسحاب و رمي الطعم أخيراً.

جلييلة : لن أكرر كلامي، ستسحبين شهادتك ضد زوجي و يتحرر و لك هذا، املائي هذا الشيك بالمبلغ الذي تريدينه... أنا واثقة أنك لن تكوني غبية و ترفض عرضي في ظل ظروفك هذه !

بقيت تنظر إليها بثبات و إلى دفتر الشيكات بتمعن و تذكرت لوهلة كفالة فخر الدين...هل ستقبل أن تبيع دم فرح مقابل انتقامها ؟

كان كل هذا على مرأى من مهجة بعدما لحقت بجليلة لتعرف مالذي فعلته مع سعادة
و بعد نجاح خطتها ذهبت لتتم خطة أخرى داخل السجن.

•

فخر الدين : ماذا تفعلين هنا مجددا؟! قلت لك لا أريد رؤيتك مرة أخرى! و
داخل دماغه تعصف الكثير من الأسئلة ؛ كيف تأتي كل يوم، لا يصيبها ملل، كيف
يُسمح لها بزيارته يوميا!؟

مهجة : لقد أخبرتك سابقا أنني لن أتركك وحيدا يا حبيبي، أنت لي و لن أتركك
تعاني هنا وحدك!

فخر الدين : لن أحبك أبداً، و لن أكون لك مهما حييت، و لن يجمع بيننا شيء، أنا
سأموت هنا، و أفضل الموت ألف مرة على أن أكون معك...

تراجعت كلماته و فقد الوعي فجأة أمامها و بقيت تنظر إليه و هو يسقط أرضاً ثم
نادت الحارس.

مهجة : فعلا، لقد قمت بعمل رائع، لقد أغمى عليه في الوقت المحدد، تستحق نفودك
عن جدارة.

الحارس : لقد أعطيت المخدر الذي أحضرته إلى نزيل معه و هو من تكلف بإعطائه
إياه في كأس الشاي.

مهجة : لقد اعجبني عملك، حسنا الآن أتم ما اتفقنا عليه.

خرج الحارس من القاعة التي كانت فارغة بأمر من مهجة بعدما تواطئت مع حارس السجن لكي توقع بفخر الدين و تأخذ مبتغاهَا منه...كان يأخذ النقود مقابل السماح لها بزيارته يومياً خفية عن الكل، حتى السجناء لم يترك لهم مجالاً للشك، مرة فحص طبي، مرة أمر إداري، مرة أخرى تحقيق...و هكذا كان يُجَدَع يومياً و الآن وقت الخطة الكبرى التي انتظرتها مهجة طويلاً، فرصة الحمل من حبيبها ؛

ارتمت في حضنه و هو غائب نوعاً ما عن الوعي و اقتربت منه و جعلته يفعل ما يريد به.

بعد علاقتها التحقت بالحارس خارجاً و قالت له : هل قمت بتصوير كل شيء !
فأجابها : نعم، بالطبع.

خرجت من القاعة و هي تنظر إليه و الحارس يمسك به بعنف و هو يقول : هل جنت، أتدري ما الذي فعلته، فوق عقوبتك ستنال عقوبة أكبر ! بينما لم يكن هو في حال يسمح له بفهم ما حصل أو الدفاع عن نفسه.

مهجة : أنت السبب في الذي سيحصل، لقد دفعتني إلى فعل كل هذا، لن أرحمك، أنت من دمرني، و أنا سأدمرك أكثر، ادفع ثمن خطيئتك.

الفصل ٩ :

" حمل هنا و هناك "

" بينما أنت تقصين علي سيرة حياتك السوداء كنت أمتع نظري بجمال جسدك و ما أستحقه هدية لي."

داخل زنزانه السجن استرجع فخر الدين كامل وعيه و مقابله كان يتواجد الحارس الذي تواطى مع مهبجة للإيقاع به.

فخر الدين : مالذي حصل، لماذا تعاملني هكذا؟! و كان يقصد بذلك تعنيف الحارس له.

الحارس : هل تعلم ماذا فعلت، لقد اغتصبت زائرتك ! اكتفى بذلك و لم ينطق بكلمة أخرى خوفا من تعقيد الخطة، و ارتأى أن يريه شريط الفيديو لاحقا.

كان الخبر قاسي الوقع على مسامعه مما جعله ينتفض أمام سبَّانه و يصرخ في وجهه : أنا لم أفعل لها شيئا، لم اقترب منها، لا أتذكر شيئا من هذا الذي تقوله، كيف اقترب منها، كيف أفعل ذلك، لا يمكن،...

بدأ يصرخ أمام باب زنزانه التي تضم حوالي عشر سجناء، فرد عليه الحارس : زيادة على جرائمك، ارتكبت إثما آخر، هل ظننت أنه بمجرد أنك مسجون بالمؤبد فستستطيع فعل ما تريده، ستزداد عقوبتك أكثر من هذا و يزداد عذابك هنا، ستوصم حياتك بالعار من جديد ! هيا ادخل.

أدخله بعنف و أغلق الباب ليظهر وجهه المتجهم وراء النافذة الصغيرة التي تُركت مفتوحة و هو يصرخ : أنا لم أفعل شيئا، لم اقترب منها.

و كان ذلك هو أكبر ما يمكن أن يحطم حياته، هو الاقتراب من عدوته من دون أن يعلم بعد أنها هي من زجت به في السجن و أكبر من ذلك خيانة حبيبته الميتة.

ذهب الحارس بعد ذلك للقاء مهجة التي كانت تنتظره في غرفته الخاصة. التقى بها، كانت يومها في وضع و حال جيد، كانت سعيدة جداً، فرحة بشكل غير مألوف، و على وجهها تظهر تقاسيم الانتصار، كانت مرتدية فستانا عتيقا قصير الطول و حلق دائري كبير الحجم مرصع بالألماس بينما تركت شعرها الأسود ينسدل بطوله بحرية متجاوزا حدود الرقبة.

الحارس : لقد انطلت عليه الحيلة، و تصدقين أنني أنا أيضا ظننت أنه اغتصب...

مهجة : ليس لدي وقت أهدره معك، هيا أرني الشريط!

باستغراب من تصرفها القاسي أظهر لها شريك الفيديو الذي وثق بدقة كل خطتها و اغتصاب فخر الدين **المفبرك** لها، و بعد أن اقتنعت من جودة التصوير و التقاط كل اللحظات الضرورية التي أصرت من بداية الخطة أن تراها على الشريط، أخذته أخيرا و أمرت الحارس بإظهاره إلى الشرطة ليتخذ القانون مجراه و ليوصم اسم فخر الدين بالعار من كل الجوانب.

خرجت من مركز الشرطة و رمقت عينها **قدوم سعادة** فاخبتأت و تابعت خطواتها إلى أن رأت قدمها تطأ المركز ففهمت شيئا واحدا ؛ هو أن **القدر** ابتسم لها **يومها** بشكل واضح.

تقدمت سعادة بخطوات ثابتة و هي تفكر في عرض جليلة، تذكرت ما قالته مهجة حول كفالة فخر الدين، حجم الأموال التي تلزمها لإخراجه من السجن و تحريره ثم الانتقام منه و تحرير حياتها، تذكرت موت فرح و العذاب الذي لحق بها بسبب

خليفة الذي سيتحرر الآن بكلمة منها و تهدر دمها و ترتكب خطيئة في حق حياتها...إذن ماذا ستفعل ؟

بعد أن أبلغت الشرطي عن سبب قدومها، سمح لها بالدخول إلى مكتب المحقق الذي تكفل بقضية موت فرح.

الشرطي : سيدي، الشاهدة سعادة في قضية فرح هنا، إن لديها شيء مهم لقوله !
أزال المحقق النظارة عن عينه بحيث كان يتفحص بدقة كل ما كتبه عبر الجدار عن قضية موت فرح بداية من قدومها إلى المغرب و عملها مرورا بلقاءها بخليفة في منزل سعادة الذي وثقته الكاميرا و وصولا إلى موتها حرقا، و قطع سير تفكيره و ربطه للأحداث الطرق على الباب و قدوم الشرطي و ما جعله يسمح بدخولها هو رؤيته للشاهدة الوحيدة التي يمكن أن تدين خليفة و تحقق العدالة بعد أن تمت تبرئته جزئيا جراء انعدام الأدلة.

دخلت سعادة و أغلق الشرطي الباب عليهما.

المحقق : هيا تفضلي، هل لديك من جديد ينفع قضيتنا !؟

تقدمت سعادة و هي ترتجف أمامه و الخوف يطبع وجهها، و لم يستغرب المحقق كثيرا من مظهرها الذي لم يتغير و ملابسها أيضا التي لم تفارق جسدها منذ وفاة فرح، و فهم من الوهلة الأولى أنه ليس لها مكان آخر غير منزلها، المحترق و المغلق مؤقتا في انتظار انتهاء التحقيق و فك لغز القضية.

سعادة : أجل، أريد... أريد أن أسحب شهادتي.

قالت ذلك بعد أن أخذت الكلمات موقعها و اقتنعت بقرارها النهائي.

اندهش المحقق بشدة من كلامها و كرر كلامها مؤكدا لما قالته : تريدن سحب
شهادتك ! هل سمعتك جيدا، هل من تقولينه فعلا عن حق !؟

اتخذت سعادة وضعية واثقة جدا من كلامها و من نفسها و من قرارها ثم قالت
مؤكددة : أجل ! أريد سحب شهادتي، فعلا قَدِمِ إلينا الضابط خليفة يومها، لأنه سبق
و اتصلنا بالشرطة عندما حاول أحدهم اغتصاب فرح و لم أكن قد رأيته حينها، لكن
الشرطة لم تثق بما أخبرناهم به، صدمتنا ردة فعلهم ثم بعد ذلك جاء خليفة و من تم
أغمي علي، لم أدري ما حصل بعدها، و لم أر فرح من بعد ذلك، و عند موتها
ازدادت نار الغضب في قلبي و لم أدري حقيقة ما جرى و لم أجد أمامي إلا خليفة
لاتهامه، لكن بعد رؤيتي للتسجيلات و بعد مواجهته، تأكدت من أنه ليس الفاعل
بل كان هو من حاول مساعدتنا !

كان الضابط ينصت بدماع مفتوح مركزا في كل ما قالته سعادة، و اتضح له أخيرا
أن عقلها كان مشوشا بفعل الصدمة فقال لها : هل تدرين الآن أنك قمت بعرقلة
سير القانون، و جعلت من عملنا أضحوكة، لقد أتيت و اتهمت بكل ثقة الضابط
خليفة و قمنا باعتقاله، و لم يثبت أي شيء ضده سوى اعترافك، و الآن لم يبقى
شيء، لقد أهدرت وقتنا فعلا يا آنسة، هل تدرين أنه يمكن اتهامك بشهادة الزور !

انتهت مهمة سعادة داخل المركز ثم خرجت منه و لحقت بها محجة.

اليوم الموالي

" اتصال على هاتف جليلة "

جلیلة : فعلا، هل ما تقوله صدق، و أخیرا.

شعرت بغمرة من السعادة عند سماع خبر حرية خليفة بعد سحب شهادة سعادة و انعدام الأدلة فقالت : عاد إلي حبيبي، لن أخسره، عادت إلي حياتي أخیرا.

أطلقت صرخة طفيفة من شدة فرحها جعلت من خليفة القادم إليها يندهش و يسألها : ما بك يا حبيبي، ما سر سعادتك !؟

عانقته بشدة و قالت بين ذراعيه : لقد أفرجوا عنك يا حبيبي، لقد أصبحت حرا !

تفاجئ بشكل كبير و أفلت من حضنها قائلا : كيف ؟ كيف ذلك !؟

استغربت من ردة فعله و قالت : ما بك، لماذا تصرف هكذا، هل شككت في حريتك !؟

استدرك موقفه ثم قال : لا يا حبيبي، فقط استغربت من سرعة جريان الأمور على غير عاداتها، كيف حصل هذا ؟

جلیلة : ليس هناك دليل ضدك، و سعادة سحبت شهادتها.

صدمته بقولها عن سعادة فأجاب مخاطبا نفسه بتهمك : و كيف ذلك، لقد واجهتني و تحديتني فقط مقابل هذا، لم أظن أنك ستستلمين ببساطة، فعلا خبيت أملي فيك ! ثم أجاب جلیلة لكي يزيج شكها عن سهوه : لماذا تتهمني ثم تسحب شهادتها، أمر غريب !

اعترفت له جلیلة بما قامت به : لقد ذهبت إليها و قمت بشراء ثمن شهادتها.

ضحك خليفة بتهمك و قال : فعلا، ذلك ما كنت أنتظره من أشكالها، الطمع فقط.

جلیلة : بالفعل ، حسنا انظر دعنا من هذا الموضوع ، لقد ظهرت براءتك بشكل واضح أمام الجميع ، لذلك تستحق هدية من أجل ما عانيته لحد الآن...نستحق نحن الاثنين هدية ، ليس أنت فقط ، سيصبح لدينا طفل أو طفلة.

خرج عقله و طار من الفرح ، إنها أول مرة بعد مدى طويلة يحظى بها بخبر جيد في حياته منذ تعيينه كضابط ، عانق زوجته و لامس بطنها ثم قال لها : لقد جعلتني أسعد شخص في الدنيا ، تستحقين هدية أنت أيضا ، و الآن و على الفور ، لن تبرحي مكانك حتى أعود إليك بهديتك.

وافقت مبتسمة و خرج متحررا من بيته متجها إلى حيث تكمن هديته التالية و ليس في نيته أن يعود دون أن يكمل مهمته.

بعد أن سحبت شهادتها اتجهت مباشرة إلى منزلها و انتظرت يوما كاملا لتسمح لها الشرطة بولوجه.

حل مساء اليوم الموالي بعد غروب الشمس على الساعة 19س45 و فُتحت أبواب المنزل.

تقدمت سعادة داخل بيتها و لفتح وجهها غبار الحريق ، رائحة غيرت كل ما كانت تشعر به عند دخول منزلها ، غير عبق الأزهار البنفسج و عطر العود الذي تميزت به والدتها ، أحرقت النيران فعلا كل ذكرياتها و تمكنت أيضا من آخر نسمة هواء تخص المنزل ، كان الحريق قويا لدرجة ترك عطره في كل أرجاء البيت.

مع كل خطوة تقوم بها تحاول استرجاع و لو ذكرى واحدة عاشتها في بيتها ، لكن النيران مسحت كل شيء ، الصور ، الأثاث ، الملابس ، الجدران ، كله أسود في

أسود...دخلت في متاهة مظلمة، و كانت تحمل بين يديها الشيك الذي تركته جليلة بعد أن ملأته بمبلغ يضاهاى الملايين لتستطيع دفع كفالة فخر الدين دون أن تعلم أنها فقط خطة مدبرة من طرف مهجة للإيقاع بها، لأنه لا يوجد هناك ما يمكن أن يدفع مقابل جرائمه المتعددة.

أمسكت الشيك ثم رمته أرضا و أدارت وجهها عنه و بدأت تتفحص من جديد **سوداوية حياتها المتمثلة أمامها**، و هناك وصل خليفة إلى داخل المنزل، كان يترىص بها معلنا قدومه بصوت حذائه البرودكان المثير للجلبة.

وطأت قدماه بركة من الماء الذي أطفئ به الحريق، و كان دخوله حينها مختلف عن الذي سبق، بحيث دخل بهدوء و أحست سعادة بوجوده فضلت موازية وجهها عنه و هي تنظر إلى السواد أمامها و هو خلفها فقالت ببرود :

- أطلقوا سراحك بهذه السرعة، أ هذا لأنك ضابط، واحد منهم، قاموا بتسريحك بكلمة مني، أتدري هذا !

ظل واقفا في مكانه و هو يحدثها : أجل، أتعلمين لماذا، لأنني أتحرق شوقا للقائك، لهذا لم يطاوعني قلبي أن أتركك وحيدة هنا في هذا الحال، لكن لم أكن أظن أنك ضعيفة لهذا الحد، كنت تعجبيني فعلا بقوتك و تحديك لي، أين ذهب كل ذلك ؟!

كان يتهم بها بشكل واضح فضحكت و قالت : هل تظن فعلا أنني سأتحارب معك، إنك لا تستحق ذلك، فعلا حياتي محطمة، أحببت قاتل والداي، حررت مغتصب و قاتل صديقتي، و لكن أتدري ماذا، أنا من حطمت حياتي، و يكفي هذا، لقد

اشتريت ثمن قدري، و أنا من أتحمم به الآن، حررتك لتدفع ثمن خطيئتك في الحياة
و ليس في السجن، لأن السجن يعد رحمة لأمثالك، لذلك أريد رؤيتك في أسوء
أحوالك هنا أمامي و ليس هنالك، لقد اشتريت ثمن خطيئتك و سأنتظر لأراك تدفع
لي !

استدارت بجسدها لتواجهه فوجدته أمامها مباشرة فأمسك بخصرها بشدة جعلت
قبضته محكمة عليها فتمكن منها.

خليفة : بينما أنت تقصين علي سيرة حياتك السوداء كنت أمتع نظري بجمال جسديك
و ما أستحقه هدية لي.

لم تستطع الإفلات من جسده الضخم و ازدادت شراسته نحوها و تضاعفت قوته
لأن نقطة خطيئته السوداء تمركزت داخل قلبه و لن تفارقه أبداً... ثم أخذها بعنف
أكثر إلى داخل البيت.

• يومها تمركزت نقاط الخطايا و كانت علامة تبصم حياة كل واحد منهم على رأسه،
نقطة سوداء كبرت اليوم و طغت على حياتهم : سعادة بغضبها و تكريس حياتها
لانتقامها، فخر الدين بجزئه و وحدته الذي تحول إلى شره للقتل، مهجة بجسدها الذي
دفعها إلى تدمير حياة شخصين كانت تظن أنهم دمروا حياتها، خليفة بشهوته
اللامتناهية و شرهه نحوها، جلياة بتكبرها و نرجسيتها، نورسين بغضبها و حزنها
الدائم الذي سيبعدها عن معنى الحياة بصفة نهائية.

كلهم اختاروا اتباع طريق خطاياهم و زُينت لهم حلاوتها دون معرفة نهايتها المميتة.

بينما تمكن خليفة من اغتصاب سعادة، كانت مهجة تنظر من بعيد إلى منظرهم الذي أهبج قلبها، أطلقت تهديدات راحة و هي تنظر إليه و هو يمزق لحمها بينما تحاول الإفلات من دون جدوى.

مهجة : هكذا أردت رؤيتك، تنتهكين و تتمزقين أمامي، أنت من تسبب بهذا لنفسك، طمعك و جبروتك هما من اقتاداك إلى هنا، كنت تنوين إخراجه من السجن لقتله، و لكم أنت غبية، لم أكن أعلم أنني أواجه غبية مثلك، لقد دمرتما حياتي أتم الاثنتين، لكن الآن لم تعد لكما حياة تذكر، أنا الآن أبني حياتي الجديدة التي حلمت بها، حياتي التي فيها أتما مدمران بهذا الشكل أمامي بينما نصرني الزمن، إن هذه قصتي و ليست قصتكما، أتم الأشرار في حياتي، سأعيش الآن بطولة حياتي، و قتي بدأ الآن، أنا و طفلي.

اقتربت يدها من بطنها و تحسست وجوده فاقشعر بدننها و عمت قلبها فرحة عارمة ثم قالت : أين تريد أن نذهب يا حبيبي، أو حبيبتي،...أمم... باريس...كنت أنوي الذهاب إلى هناك أيضا...حسنا لنذهب هناك، لكن قبل ذلك يلزمنا الكثير من المال و لن يدفعه إلا زوجة أبوك...

قالت ذلك ثم ضحكت بروح شيطانية متقدمة إلى داخل المنزل دون إثارة جلبلة و لم يكن يسمع إلا صراخ سعادة... أمسكت الشيك بين يديها و خرجت مسرعة ثم نظرت إليه و أصابتها دهشة كبيرة تلتها ضحكة متهمكة : فعلا، لست بالشخص السهل، طماعة من الطراز الراقى.

وضعت الشيك داخل جيبتها و توجهت إلى المطار لتحجز أول رحلة إلى باريس.

انتهت خطتها بنجاح بعد أن زجت بفخر الدين في السجن و أوهمته أن سعادة ماتت و لفقت إليه تهمة اغتصابها لتجعله يحس بالذنب طوال حياته و جعلت من الأمر حقيقة مؤكدة دفعت بالقضاء أن يزيد من عقوبته بالأشغال الشاقة، أم عن سعادة فكان أكبر انتقام لها هو فضح حقيقة حبسها و توجيهها إلى طريق الجشع و الانتقام منه بقتله و تدمير حياتها، و كانت تلك الطريق مفروشا بالورود التي زرعها جليلة و أسقاها زوجها الضابط خليفة.

• الفصل الأخير •

"لقد ملأت ثمن قدرتي بيدي و لن أدفعه إلا بحياتي"

سعادة : " لقد ضعفت بين يديه، أجل، أنا من ضعفت أمام عدوي، لقد تمكن مني و سلب جسدي قوته، لقد سلبنى عنفواني، سلبنى تمردني، لكن خطيئتي هي من تسببت بشكل كبير في ذلك، خطيئتي أضعفتني أمام عدوي، يا لها من خطيئة، و

لم يكن بوسعي محاولة نسيانها لأن نورسين كانت دائما ما تأتي و تذكرني لتقتل نفسي
و تبحث بأية طريقة للانتقام مني...

مرت أيامي داخل بيتي المحترق أقتات من الذي يهبه لي جيراني، قلت وجباتي، و
قل احترامي لنفسي و أنا انتظر شخصا يقدم لي ما أكله، رغم أن خالتي شافعة الجارة
الحنون لم تبخل علي بأي شيء و كانت تداوم على زيارتي و مواساتي بعد كل ما
عانته دون أن تعلم الكل طبعا، لم تؤاخذني على فعلتي بعدما أخذت ثمن اعترافي و
وصلت أخباري إلى مسامع العالم...لم أستطع مواصلة الحياة هكذا، و اضطرت
للعمل مساعدة في البيوت، و كان بينهم من يعاملني باحترام و آخر من يحتقرني و
يديقني أقصى درجات الذل، لكن هذا لم يكن الشيء المهم في حياتي و لم يؤثر علي،
لأن هذا مستهلك بيننا و ليس بالشيء الجديد، بل ما زاد الأمر سوءا هو اتساع
بطني و ظهورها أكثر فأكثر، يوما بعد يوم، إلى أن صارت صعبة الإخفاء مما دفعني
إلى ترك عملي قبل أسبوعين."

عشية الأحد 6 ماي 2000

مرتدية فستانا أيضا قصيرا واسعا من القطن الحريري، شعرها متمسك على كتفيها،
عيناها دامعتين، و جسدها منهك... كانت تتحرك بصعوبة و هي مثقلة بحملها الذي
أكمل اليوم الأشهر التسعة.

أمسكت بطنها و داعبته ثم نزعته من جديد، في حال مشوش منها، فنزع تفكيرها
قدوم نورسين مجددا.

كانت سعادة تفكر بشكل عميق و تسترجع كل لحظة من ماضيها و هي تنظر إلى الحائط المسود أمامها إلى أن باغتها نورسين بعد أن دخلت البيت عنوة، مرتدية فستانا أسود و رداء حريريا بنفس اللون و قد عهدت على حدادها ذاك منذ وفاة ابنتها.

نورسين : ما زلت على حالك هذا، أ لم تذهبي إلى عملك اليوم، أ لم تذهبي للعمل عند أسيادك، إنك تستحقين أكثر من هذا فعلا، هذا قليل جدا مقابل ما فعلته، لقد بعث حياة ابنتي و حررت قاتلها، لن أسمح لك ما حييت، ما علاقتك به، ماذا يقربك، لماذا كذبت و حررته، لماذا أفرجت عنه أمام عيني، أ تدرين لقد اعتصمت لأسبوع كامل و كنت سأطيل المدة لولا فعلتك، أريد قتله بيدي، لكن أريد تعذيبك بشدة، لا أريد موتك...

كانت سعادة تنصت بتمعن و الدموع تسيل بغزارة مستمرة في النظر إلى حائط حياتها، إلى أن سمعت كلمة نورسين الأخيرة القاسية فالتفتت إليها و كان أول ما رآته هو بطنها المنتفخ.

صدمها منظرها و قالت متهمكة بها : هكذا إذن، أنت حامل، كيف حصل ذلك، من أبوه، هل هو أحد أرباب عملك، حبيبك القديم، إذا كان لديك أصلا، أم هو خليفة ؟ لذلك أفرجت عنه ! لا لا يمكنني التصديق !

سعادة : اخرجي من بيتي رجاء، لقد مزقت قلبي في كل فرصة تسنح لك أن تأتي إلى هنا، ماذا تريد أكثر ؟

اقتربت أكثر و قالت : أريد أن أعرف لماذا حررت خليفة و غيرت شهادتك، بكل بساطة، لماذا غيرت موقفك فجأة، هل بينكما علاقة ما، هل تحببته !؟

سعادة : لا أسمح لك بتجاوز حدك معي، ليس لك دخل في حملي و لا في حياتي كلها ! هيا اخرجي.

نورسين : لا، بل لدي دخل كبير، أنت من قمتي بإدخالك إلى حياتك و الآن لي كامل الحق في التصرف فيها كما أشاء، سوف أفضح عرضك، سأفضح شرفك الرخيص ليعلم الجميع حقيقة من غيرت شهادتها في قضية كهذه، و يا لشهرتك، ستزداد أكثر فأكثر، انتظري فقط !

اهتز جسدها عند تهديدها و قالت : أرجوك لا تفعلني، لا تقومي بشيء كهذا !

نورسين : إذن أخبريني لماذا قمت بذلك، و سأعفو عنك !

سعادة : لا أستطيع قول شيء، فقط لا تنتقمي مني هكذا، لا يجب أن يعلم.

نورسين : إذن تحملي عاقبتك !

ذهبت و حاولت سعادة منعها فسقطت أرضا بجسدها و لامست قدمها متوسلة إليها من دون جدوى.

بقيت سعادة جاثمة على الأرض و هي تتحسر و تصرخ الألم الذي يعتصر قلبها و من شدة خوفها أن يعرف خليفة خبر حملها زاد ألمها و باغتها المخاض فحملت نفسها بكامل ما تبقى من قوتها و خرجت من البيت و هي تتمزق من الألم، الأمر البديهي أثناء الولادة، خرجت تتأوه إلى أن لمحها بعض جيرانها فهرعوا إلى مساعدتها، حاول

بعضهم الاتصال بالإسعاف لكن رأس الجنين بدأ في الخروج فسارعت شافعة إلى مساعدتها على إخراجها حالا دون انتظار شخص آخر.

بفستان أرجواني، حريري الملمس، عقد من الألماس، شعر مموج، مكياج خفيف لامع، اختارت جليلة أن يكون مظهرها أثناء جلسة تصويرها و هي في تاسع شهر حملها، و ليس بسبب شهرتها أن اضطرت إلى القيام بالجلسة، بل رغبة منها لتوثيق أهم لحظات حياتها المترفة، أرادت لطفلها أن ينعم بحياة خلافة منذ أول يوم له داخل رحمها، و لما لا أن يعيش أفضل منها...تعددت الوضعيات بين الجالسة على شكل أم حنون، بين العارضة جليلة بهمتها و هي حامل، و بين نظرة الحب الذي كانت بصدق متناه عندما رأت زوجها خليفة ينظر إليها و هي تأخذ صورها منتظرا دوره لتكتمل صورة العائلة السعيدة، غير أن الخبر الذي تلقاه على شاشة هاتفه بين يديه و الذي نشرته نورسين بهوية مجهولة قبل خمس دقائق جعله يفقد صوابه و يرتجف بشدة مما جعل جليلة تلمح ردة فعله و تعيق التقاطها للصورة ما قبل الأخيرة ثم قامت من مقعدها و اتجهت نحوه.

كان وجهه متجهما و هو يقرأ الخبر الذي سيغير حياته : " الشاهدة في قضية

قتل فرح التي غيرت اعترافها لسبب مجهول، حامل الآن

بشكل غير شرعي، هل لها علاقة بالضابط الذي حررته ؟

هل الضابط هو قاتل فرح ؟ "

خليفة : إنها حامل، إنه طفلي، كيف ؟ إنه طفلي، لن أتركه لها، طفلي !

خرج مهرولاً دون أن يعير اهتماماً لكلام جلييلة التي تحدثه و لم يسمع شيئاً مما قالتها، كانت آذانه صماء و كأن ضباباً كثيفاً حل عليهما، فقررت اللحاق به دون أن يشعر بها بعد أن تأكدت أن الوضع خطير و لم يرتاح قلبها لما رأته أمامها.

فرنسا، باريس، الساعة 20س مساء

أوبرا باريس، أهم دار للأوبرا في فرنسا، في قصر غارنييه (**palais Garnier**) (الذي يحتضن باليه أوبرا باريس الوطنية) وأوبرا الباستيل (**Bastille**)، اختارت مهجة أن يكون عرضها الغنائي رفقة مجموعتها للغناء الكلاسيكي.

كان مظهرها مثيراً للاهتمام و حظيت بأكثر من جلسة تصوير خاصة مع مظهر حملها ؛ فستان وردي طويل مزركش بورود كبيرة الحجم، عقد أسود حول العنق و تسريحة عالية لشعرها الأسود... قامت بتأدية **Casta Diva** ل **Maria callas** و كان أداؤها رائعاً جداً و صوتها أكثر دفئاً، فظن الجميع أن حملها أثر عليها بشكل كبير، على غير عادة بعض الفنانين الذي يفضلون الاحتياط خلال تلك المرحلة، لكن هي كانت مهووسة بمسارها الفني و تسعى دائماً إلى صقله و إيصاله لأقصى حد... و بينما كانت تؤدي وحيدة هذه المرة في غياب إريك و تحت أضواء المسرح و أمام أضواء الكاميرات، كانت سعادة تتألم و تعتصر لتساعد ابنها في رؤية نور العالم الذي لم ترغب أن يحضره أبداً، لكن مالذي غير رأيها ؟ انتهى العرض و على مقربة من مغادرتها المسرح تقدم وكيل أعمالها ألفريد حاملاً التابليت بين يديه على صفحة اخبار اليوم و أظهر لها العنوان الذي جعلها تمسكها بين يديها بقوة دون أن تكثرت للجمهور أمامها، قرأت الخبر و اتسعت حدقتا عينيها ثم قالت : أنت حامل، حامل

من فخر الدين، من حبيبك، بينكما طفل، إنه لي، إنه طفلي، لن أتركك ترين وجهه،
القدر يقودني إلى انتقامي من جديد، يا له من حظ.

ازداد الطفل و كان ذكرا، جميلا أبيض اللون، مجعد الشعر، ذا عيون زرقاء غامق
لونها، مبطبط و مدور الشكل، أعجبت به النساء من حوله و خاصة شافعة التي
ساعدت في ولادته، حيث أثناء وقت خروجه تكلفت النساء الأخريات بإحضار
اللوازم من أجل قطع الحبل السري و استخراج المشيمة و هذا ما حصل بكل
عناية، و من حسن حظ سعادة هو معرفة شافعة المتواضعة في تقبيل النساء منذ
زمن طويل...غير أن سعادة تصرفت على نحو غير لائق بحيث أخذت الطفل بعد
أن أمعنت النظر إليه و أمسكته بين يديها ثم توجهت به إلى داخل منزلها فلحقت
بها شافعة.

شافعة : أين تذهبين لوحدهك ؟ إنك ما زلت متعبة، يجب أن نأخذك إلى المشفى
حالا !

بخطوات متثاقلة تقدمت سعادة حاملة طفلها بعدما لفته النساء في رداء أبيض،
أخذت مكانا في سريرها ثم وضعت الطفل بجانبها و قالت و الرعشة لم تفارق
جسدها : أنا بخير، لا أريد الذهاب إلى المشفى ! أريد أن أبقى لوحدي من فضلك !
استغربت من ردها فقالت : هل جنت ؟ كيف ذلك، يجب أن تذهبي إلى
المشفى، أنا قلقة عليك، هل تدرين ماذا حصل للتو، لقد أنجبت طفلك في الشارع
و على يدي، أنا لست بطبيبة توليد أو قابلة، أنا مجرد امرأة عادية، لقد ساعدتك
فقط و فعلت ما بوسعي لإنقاذك، أرجوك أن تذهبي !

بقيت سعادة تنظر إليها فقالت : حسنا سأذهب، أريد أن أبقى لوحدي من فضلك
الآن !

فاطمة : حسنا، إذا احتجت لشيء اتصل بي.

غادرت شافعة المنزل و تركت سعادة ملقاة على السرير و بجانبها طفلها الذي لم يفارق صراخه، الشيء الطبيعي، لكن سعادة لم تقترب صوبه أو تحاول إسكاته، بل أدارت وجهها عنه و استمر في صراخه و كأنه شعر أن أمه غير راغبة فيه أو في وجوده، و ما ستفعله بعد ذلك سيؤكد إحساسه.

لم تستحمل سماع صوته طويلا و نهضت من مكانها و نظرت إليه و قالت : أرجوك اصمت، أرجوك ! لا أتحمل ذلك.

شهقت في بكائها و استرجعت كل ما مرت به محاولة فهم ما يلزم بها ؛ تذكرت علاقتها بفخر الدين ليلة خطبتها، اغتصاب خليفة، تفكيرها في إجهاض طفلها و عدولها عن ذلك لسبب لم تفقهه، ولادته و رؤيته ضوء العالم، و ما مصيره بين يديها ! هويته، من والده، من بين الاثنين، الاثنين اللذان دمرا حياتها، و هو في الأخير ابن أحدهما.

سعادة : لا أستطيع تحمل هذا، لا يمكن، لا يمكن أن أستمع هكذا، ماذا سأفعل
الآن ! لا يمكنك أن تعيش معي هكذا !

انتظرت هبوط الليل بعد ساعتين من ولادتها، لم تغير ملابسها بحكم أن الدم لم يلامس ثيابها و حالتها لم تسمح لها بالتفكير في ذلك،... أخذت الطفل بين يديها فشعر بالأمان بينهما و اقتراه من قلب أمه فسكت عن البكاء و سلم أمره إليها.

ذهبت به خلسة خلف مجتمعهم السكني الهادئ ليلا و تركته بين خبايا أحد الأزقة، هناك شعر بخيانة أمه و لم يستطع التعبير عن ألمه سوى بالبكاء، تركته على الأرض و انهمرت بالبكاء متكئة على الحائط بجانبها ثم هرولت إلى منزلها و الصقيع يتطاير مع جسدها و شعرها يصارع الريح طالبا منها أن تعود لنجدة ابنها.

لم تستطع سعادة أن تلمي نداء الريح فوصلت إلى بيتها و أغلقت عليها الباب بشدة ثم استمرت في ألمها و بكائها و هي تندب حظها الأليم، ثم لوهلة لامست يدها بطنها و أحست بفراغه، عندها شعرت بثغرة عميقة في قلبها و فهمت لحظتها سبب عدم إجهاضه و تركه يعيش داخلها، إنها الأمومة، إنه حب الآباء الطبيعي لأبنائهم، فهمت أنها لم تستطع تركه لأنه بكل بساطة ابنها، هي أمه، و ليس ممها من يكون والده، إنها أمه و هو ابنها، لن تستطيع التخلي عنه أبدا، لكن هل فات الأوان، هل ستجده في مكانه عند عودتها، هل ستحظى بفرصة أخرى في قدرها ؟

فتحت الباب و خرجت مسرعة ليحتضنها الريح من جديد، لقد لبت ندائه، هل حافظ على ابنها، هل كان رحيا به من صقيعه،... أخذت تسارع الزمن و هي تتأمل أن تجده هناك، كان قلبها يرتجف و الخوف يتملكها، هل ستسترجع ابنها الذي تخلت عنه لخمس دقائق، هل سيعفو عنها؟! وصلت إلى المكان حيث تركته، هناك وقفت جامدة و أدارت وجهها خوفا من الحقيقة التي من الممكن أن تجدها و لن تستطيع تقبلها، خوفا من أن يكون شخص ما أخذه أو أن يؤكل من طرف كلاب الشارع، مخاوف أملت ألا تتحقق يومها و تذرعت إلى خالقها أن يعفو عنها و ينير طريقها و يترك لها طفلها بصيص الأمل في حياتها.

سعادة : إلهي، لم أعد أستطيع التحمل، لقد صبرت على كل شيء، لا أريد فقدانه !

اقتربت من الفجوة فوجدته سالماً معافى و الرداء الأبيض يحضنه و يحميه من قساوة الجوى، فسارعت إليه و حملته بين يديها و هي تبكي بشدة، و هو الآخر استرجع بكائه، لكن هل من فرحة لعودة أمه أو خيبة أمله تجاهها !؟

لم تكن وجهة نظره مهمة لها حينها، بل سعادتها حين لقيته، فرحت كثيراً و خاطبته : طفلي الحبيب، سامحني، أرجوك، سامحني، لقد اخطأت في حقك، سامحني ! لم أرد أن تعيش معي في عذابي، لوهلة كنت غبية و اتبعت أفكارى الفارغة، أنت طفلي و سأعيش من أجلك، سأفعل كل شيء من أجلك، لن أتخلى عنك أبداً.

حضنته إليها بشدة ثم قبلت خديه الورديتين بعد أن سكت قليلاً عن البكاء و غفا قليلاً و من ثم أخذته إلى منزلها و وضعتة في سريرها و أحاطت به المساند ثم تركته نائماً مرتاحاً بعدما اطمأن لوجوده بين أحضان أمه ، لامست وجهه الملائكي و ابتسمت لرقته و جماله و داعبت شعره الذهبي اللامع، و عند وصولها إلى باب الغرفة نظرت إليه بعذوبة و حب ثم ذهبت إلى المطبخ في الطابق السفلي لتحضر شيئاً تأكله من أجل إرضاعه...لكن من خلفها فُتح باب المنزل و ظهر من خلاله حذاء أسود سميك طويل، و سلاح بين يدي صاحبه، سمعت فتحة الباب و خطوات الزائر فاهتز قلبها عند التأكد من نفس خطواته، لقد عاد مجدداً و فهمت بسرعة أنه عاد ليأخذ طفلها.

خليفة : هل اشتقت إلي !... أنا اشتقت إليك فعلاً، لقد طال غيابي، عدت الآن و أريد رؤية طفلي !

صوب السلاح نحوها فاستدارت لجهته ليندهش أمامها من فراغ بطنها ثم قال : إذن هل أنجبتته ؟ أين طفلي، أريد رؤيته الآن !

تجمدت مكانها من السلاح بين يديه فحاولت أن تستجمع قوتها و طلبت الرجاء من خالقها ألا يستيقظ طفلها. و بينما كانت تواجه خليفة للمرة الأخيرة التحقت جليلة بالمنزل بعد أن لحقت بزوجها و لحظته يلتحق بالمخفر بعد أن توصل بنداء بسبب الخبر المنتشر، لكن استمرت في اللحاق بعد ذلك و هي الآن متواجدة خلسة خلف البوابة و تسترق السمع.

سعادة : مالذي تريده الآن، أنت في منزلي و ترفع سلاحا في وجهي، أتريد قتلي، مالذي ستفعله ؟

أجابها غاضبا : أريد طفلي !

اهتز قلب جليلة عند سماع الحقيقة و حاولت كبت مشاعرها محاولة سماع الحقيقة كاملة.

سعادة : أي طفل، هل جننت ؟ أنت اغتصبتي، اعتديت على شرفي في قلب بيتي و الآن تعود بوجهك هذا، حسنا، لم أبلغ عنك، أتدري لماذا، لأنه مثل قضية فرح، لا يوجد دليل ضدك ! أنت تفعل، تغتصب، تعتدي، تقتل، و أنا أتحمل، و الآن اغرب عن وجهي !

صدمة جليلة كانت ظاهرة عليها، ابيض وجهها بعدما تأكدت من حقيقة شكوكها حول زوجها، لاحظت منذ زواجهما هوسه القاتل بالنساء، فحاولت أن تخفي غضبها

فقررت أن تنجب منه لكي يهتدي قليلا، لكنه زاد من الأمر سوءا، و عندما اشتد حالها اتصلت بالشرطة دون أن تفكر لماذا.

خليفة : لقد تحدثت كثيرا، قلت لك أريد طفلي و لن أتركه معك، لن أتركه مع شخص مثلك، إنه طفلي، ملكي و يعود إلي !

سعادة : أنت لا تملك شيئا !

ازداد غضبه و هجم عليها بجسده الضخم، تعارك الاثنان و سُمع صراخهما بين الجيران، جليلة ترتجف أمام منظرهما و يزداد قتالهما لتهيئه طلقتان من المسدس الذي أمسكه خليفة بين يديه.

عم صمت رهيب على الأجواء و تواصلت السكينة لثوان، بقيت جليلة واقفة بجمود أمام جسديهما الواقفين بثبات، توقف دماغها عن التحليل و التفكير و تماثلتها رعشة غريبة ليسقط أمامها جسد زوجها فاقتدا الوعي غارقا في دمائه بعد أن أصيب على يد سعادة نحو قلبه.

صرخت بشدة و سارعت نحوه، ارتمت على جسده و ارتطمت بطنها به بشدة، كانت تصرخ بعنف و هي ترجو أن يستيقظ بينما بقيت سعادة جاثمة مكانها و الخوف يعتصر قلبها.

سمعت صوت سيارة الشرطة فهرعت إلى ابنها لكن جليلة أوقفتها و قالت لها و هي تمسكها بقوة : لقد قتلته، قتلت زوجي، لقد قتلته !

لم تصدق سعادة ما فعلته للتو و على مسامعها اقتراب الشرطة فهرعت إلى طفلها بحيث تركتها جليلة بعد أن باغتها المخاض هي الأخرى و سقطت تتلوى ألما بجانب جسد خليفة.

صعدت السلم بسرعة قبل وصول الشرطة محاولة الهرب مع طفلها عبر الباب الخلفي لمنزلها، لكن عند وصولها إلى الغرفة لم تجد له أثرا، بحثت بجنون كامل أرجاء الغرفة تحسبا لأن يكون سقط أثناء نومه، الشيء المستحيل حدوثه، لم تستطع تقبل فكرة فقدانه، جن جنونها و بدأت تصرخ و هي تبعثر كل ما تواجد أمامها، اشتدت نيران الغضب و الألم داخل قلبها، زاد جنونها من حدته و لم تجد أثرا لابنها أو من يكون قد أخذه منها ؛

منزل سعادة يحتوي على بايين و هو من تصميم والدها بحيث كان الباب الخلفي متصلا بالبيت بتشابه تام للباب الرئيسي و من تم تسللت مهجة بعد أن وضعت رداء يغطي كامل وجهها، دخلت البيت و اتجهت إلى الطابق العلوي، بحثت في غرف النوم، وجدت الطفل ثم أخذته.

اقتحمت الشرطة المنزل و بدأ بعضهم البحث عن القاتل بعدما أخبرتهم جليلة و هي تتمزق أن سعادة من أطلقت النار على زوجها، و البعض الآخر سارع إلى إنقاذه و إنقاذها معه.

صعد فريق البحث إلى الأعلى و وجدوا سعادة أمام فوضى كبيرة داخل البيت و هي تصرخ ثم أمسكوا بها و هي تتلوى بين أيديهم بجنون...نزلوا بها إلى الأسفل و هي تحاول الإفلات من يدهم، وقفت لبرهة من الزمن و اتجهت بنظرها إلى غرفة طفلها

ثم صرخت بقوة منادية له، اقتادوها بعنف و عند وصولها إلى الأسفل، هدأت من روعها و تأملت المنظر أمامها : جسد خليفة الملقى و الغارق بدمائه و السلاح بين يديه، جليلة تتلوى ألم المخاض. اختنقت من منظرهما و مما آلت إليه و لم يبق لها سوى الصراخ و التمرد لإخماد النار في قلبها التي لن تنطفئ أبدا.

سعادة

" و هكذا خرجت من منزلي المحترق بقلب محترق، اختطفوا طفلي، دمروا حياتي،... تم سجنني ل 15 سنة بتهمة طرقت بابي، سنوات و قلبي يحترق يوما بعد يوم، أتألم في كل يوم تشرق شمسهُ بدون طفلي، بدون حياتي، بدون هدف، و أعدائي يتمتعون بتلك الإشراقة، طالت مدة سجنني، أكثر من ذلك، طالت معاناتي،

طال انتظاري للحظة خروجي، لم ينفذ أمني و لم تنطفئ ناري، بل ازدادت اتقادا،
اليوم انتهت مدة حكمي و تم العفو عن جرائمي التي لُقِّت إلي، سأترك السجن،
سأترك القضبان، و حيطانه المتسخة، لقد اشتقت إلى حائطي الأسود، اشتقت إلى
الظلام الذي كان يعم حياتي، الذي كنت أنا من يتحكم به، سأسترجع قدري الذي
اشترت ثمنه، سأخرج اليوم و لا تلوموني على الذي سأفعله."

بعد 23 سنة...

الجزء الثاني:

"اعتز بخطاياك"

الفصل ١

"كنت أحترق طوال تلك المدة، أصبحت جحيا يتمشى."

أمام أبواب السجن وُجِدَت حدائق مزهرة من شتى أنواع الورد و الأزهار ؛ زهرة القلب الدامي، زهرة التفاح، Dandelion ندى الهندباء، الأكاسيا، الأستر...و

من خلالها فُتحت بوابته العالية لتسمح بخروج سعادة و تحررها من سجنها العتيق الذي دام أكثر من عشرين سنة.

مرتدية بدلة رمادية طويلة تغطي أسفل قدميها و كامل عنقها، بدلة قامت بجياكتها إحدى صديقاتها و تمت إحدى عدواتها أخذها بالقوة، الأمر المعهود به داخل السجون،... شعرها البني مصفوف إلى أعلى رأسها و خصلة سوداء التحقت بالموكب، بينما كان وجهها ينم عن قساوة و تعاسة واضحة و هي تنظر إلى نور السماء أمامها و عينيها يتوهجان و رموشها تتطاير بفعل رياح يونيو الدافئة و الباردة في آن واحد.

ظلت تنظر بحدة و الشرارة تقذف من عينيها و انطلقت كلمات من فمها : كنت أنتظر لحظتي هذه كل يوم، كل دقيقة و أنا أحترق انتظارا،... أنتظر أن أطأ بقدمي هذه الأرض الضعيفة التي فقدت فيها كل شيء، عليها فقدت والدي، عليها انتهك عرضي، عليها أنجبت طفلي و أحبته و عليها فقدته، كله بسببكم، لن أفني حياتي فقط مقابل الانتقام بل سأنهي حياة الجميع، واحد تلو الآخر، خليفة، زوجته الحبيبة، نورسين، أنت السبب الحقيقي في الذي حصل الآن، و من أخذ طفلي، سأجده و لن يسلم مني أبدا، فخر الدين، أتظن أنني نسيت، لا بالطبع، سأسترجع حياتي، سأكمل ما بدأته...أمامي الكثير لفعله.

تقدمت إلى الأمام و لفت انتباهها وجود الأزهار و تباين ألوانها إلى أن لمحت أزهار الأستر التي جمعت بينها و حبيبها فخر الدين و التي ارتبطت بقصة حبهما، فقالت : لقد لحقتم بي إلى هنا طوال هذه المدة، أزهار أمام السجن يا للعبث ! و عند ابتعادها قليلا رأت وردة ذابلة، لونها أحمر غامق مهترئة فبقيت تنظر إليها بتمعن و

النار تلهب عينيها و كأنها تنظر إلى نفسها من خلالها فابتعدت عنها و داعبها الريح إلى أن سقطت بتلة منها في نية أنها لن تكون مثلها أبداً.

داخل منزل الضابط سابقاً، أتمت جلييلة استعدادها للذهاب إلى مكتب عملها في دار الأزياء الألمانية التي أنشأتها بشراكة مع مصممة ألمانية شهيرة بعد أن راقبتها كل الصور و التصاميم التي أبدعت فيها جلييلة قبل عشرين سنة من الآن، و بعدها صقلت موهبتها و تدرست و تعلمت تصميم الأزياء و هي الآن أشهر مصممة ازياء عصرية تقليدية في بلدها المغرب...و كان فستانها الأزرق اللامع المرصع بأقراط ذهبية هو ما ارتدته اليوم مما أظهر بوضوح شعرها الذي حافظت على طوله و لونه البني، عند خروجها حولت نظرها إلى الصالون و نظرت باحتقار إلى خليفة القابع هناك و التفكير المشوش يأكل دماغه لذلك حاول طلب مساعدتها.

انتبه لمرورها بجانبه فقال مناديا لها : جلييلة، انتظري من فضلك، هناك أمر أريد التحدث إليه بشأن !...

قاطعته مسرعة الخطى : مالذي تريده، ليس هناك شيء نتحدث به معا ! لم تنظر إليه و لم تعطه دقيقة واحدة فأسرع إليها و أمسك بها بقوة.

حاول أن يتحدث بلطف معها فقال : قلت لك توقفي، هناك موضوع مهم يجب التحدث فيه ! انظري إلي أرجوك !

بقي ممسكا يدها و هي تدير وجهها عنه فقالت : هيا تحدث بسرعة، ليس لدي النهار بأكمله، أسرع.

أفلت يدها و قال : حسنا، تدرين أنني متوقف عن العمل منذ مدة طويلة...

ضحكت بتهكم فاستدرك حديثه : العميد معترزا اقترح علي عرضا، أن... أن أعود لأعمل كمحقق على الأقل.

هنا ضحكت بشدة و استدارت نحوه قائلة و هي تشير إلى يده اليسرى : أحقا سيجعلونك تعمل محققا بيدك المشلولة هذه، يا لهذا العميد، ماذا يأكل في يومه؟!

خليفة : أجل، لقد سمح لي بالعودة إلى العمل، لكن بشرط واحد هو...هو...

جليلة : هيا انطق بسرعة، لقد أخذت من وقتي الكثير !

خليفة : شرطه هو أن أزوج ابنتنا غرام بابنه خليل !

تجمد وجهها و اتسعت عيناها فقالت له بصوت عالٍ : ماذا هل جنت ؟ أنت مجنون، هل ستزوج ابنتك مقابل حياتك أنت، هل جنت ؟ لن أسمح بهذا أبدا !

خليفة : لماذا لا أفعل، لقد كنت على وشك الترقى إلى ذلك المنصب لولا...كنت أستحقه و ها أنا ذا، أترين حالتي ! أتريدين أن أظل هكذا طوال حياتي، عالة !

جليلة : لا يهمني ما ستؤول إليه، لن أضع حياة ابنتي بين يديك، لا يهمني وضعك و لا حياتك و لا أنت، أنت مجرد شخص نذل و أناني، لن أسمح لك بالعبث بحياة

ابنتي، إنها ابنتي ! ثم لاذت بالرحيل فازداد غضبه و أجابها : إذن لن توافقي،

فسأزوجها بنفسي، لن أنتظر موافقتك و ابنتي ستزوج خليل و سأترقى إلى مناصبي

رغما عنك، إنها ابنتي كذلك و أفعل بها ما شئت، ما شئت و لن آبه إلى كلامك

الفارغ، سأحضرها هنا و أجعل تررع أمام قدمي و أنت تنظرين !

اشتد الغيض في قلبها فقالت له منية حوارهما : سنرى إذن، افعل ما شئت ! ثم ذهبت و تركته لوحده مصمما على قراره.

جلس على المقعد الخشبي و استدرك حديثه مع نفسه ثم وضع يده المشلولة على ركبتيه و بدأ يفكر في الذي سيفعله بعد ترقيه : ستوافق، رغما عنها ستوافق !

باريس، 14س30، منزل مهجة

منزل مكون من طابقين ؛ الطابق السفلي يضم المطبخ، صالونين، حمام، الطابق العلوي يضم غرفة نوم مهجة، غرفة نوم مراد و غرفة نوم عهد ابنتها بقرب غرفتها، تضم غرفتها العديد من الجوائز التي سبق و حازت عليها طوال السنوات الثلاثة و العشرين من حياتها جراء غنائها الكلاسيكي سائرة على نهج والديها، و بجوارها العديد من الدبة الدمى.

عهد : لا أرجوك، يجب أن يتم كل شيء على ما يرام، أريد أن أراك معي غدا، أنت وكيل أعماله، لا يجب أن تغيب،... أعرف أنني سأيسر كل شيء لكن أريد وجودك جانبي، أنت أيضا تعبت معي بشدة لإنجاح هذا العرض و تستحق أن تظهر جهودك و تثن أمام الجميع...حسنا هل تعديني ؟...هذا رائع.

فرحت بشدة ثم عانقت الدب الأسود الكبير الحجم بجانبها الذي أهدها لها أخوها مراد و هنا دخلت مهجة بفستانها الأبيض اللامع الطويل، تقدمت بخطوات واثقة و قالت : ابنتي الحبيبة،... أراك متوترة،... ما بالك ؟ هل هو العرض !؟

استدارت نحوها و تمايل شعرها الذهبي اللون الطويل المظهر و انساب على كتفها و على جبينها مما أظهر جمال أزرق عينيها و أحمر الشفاه الذي اعتادت أن تضعه فأجابت أمها البالغة من العمر ستة و أربعين سنة تماما مثل عمر سعادة، لكن العمر لم يأخذ من جمالهن شيئا بل زادهن تألقا و وقارا جميلين.

عهد : لست متوترة بشكل بليغ و لكنه أمر طبيعي، إن العرض غدا و هذا ما يجعلني متحمسة بشكل جنوني حتى سار أسفل بطني يؤلمني!

مهجة : لا تقلقي يا ابنتي، سيمر كل شيء على ما يرام إنه مجرد عرض بسيط، لكن ما أريده منك هو **النيل بجائزة السوبرانو**، لن أقبل أن يأخذها شخص غيرك، أسمعيني ! إنها لك من الآن.

أمسكت عهد بيد أمها و قالت : سأقوم بكل ما بوسعي و سأظفر بها، لكن اعلمي إن أمامي العديد من المنافسين من مختلف المواهب، هناك الأوبرا، البوب، الكلاسيكيات...و من كل فن لدي صديق، و المواجهة صعبة، سيغمي علي..إن صديقتي غرام ستدخل المسابقة بدورها، لقد انتهيت، سيسحقونني !

ضحكت بين يدي والدتها فقابلتها بنظرة حادة و قالت : لا يهمني ستفوزين، و غدا أريد أن أراك أجمل شخص بين الكل ! ارتدي أجمل فساتينك و صففي شعرك بطريقة راقية، أريد الجميع أن يعرف من هي **TULIPE**، من هي ابنة المغنية



الكلاسيكية الشهيرة مهجة، **LA STAAR TULIPE**.

أجابتها بتهم : هل متأكدة أنك تريدين أن تريني في أجمل حلة، السيدة مهجة المغنية الكلاسيكية الشهيرة التي ترى الكل أسفل قدميها، المتكبرة المغرورة تريد أن ترى ابنتها أحسن منها، لا أظن ذلك!

ضحكت الاثنتان فأجابت مهجة : حمدا لله أنك تعرفين جيدا والدتك، لا يوجد شخص أفضل مني طبعاً، و لن تكوني أنت أيضاً، أيتها الصفراء !

عهد : و لكم هي متكبرة،...ثم انفجرت ضاحكة في وجهها فتذكرت لوهلة أمرا صعب عليها تقبله : أخبريني، هل فعلا لن يأتي مراد إلى العرض، إني أريد أن أراه بجانبني !

مهجة : أظن ذلك، أظنه لن يتراجع، لديه حراسة ليلية، لن يستطيع التغيب عنها و هو في أتم تحضيراته لسنته الثانية ! لا تلحي عليه دعيه ينتبه لعمله !

عهد : حسنا سيحضر رغما عنه إلى مسابقة السوبرانو، لن أرحمه في ذلك أيضا.

مستشفى الدولة الفرنسي

فُتحت بوابة غرفة العمليات على مصراعها على يد الطبيب الجراح الشاب مراد ببدلته الزرقاء التي ميزته عن جميع الطاقم الطبي بارتدائهم البدلة الخضراء، لكونه الهدف خلال العملية الجراحية حيث يخوض آخر امتحاناته لاستكمال سنته الأولى.

ترك الغرفة مرهقا و استقبله صديقه دانيال في السنة الثانية من تخصص الجراحة ممسكا بيده ظرفا.

مراد : أترك هنا ! مالذي جاء بك ؟

و كان سؤاله هكذا لأن دانيال قرر ترك تخصص الجراحة و استبداله بتخصص الطب النفسي بعد أن أرهقه التخصص الأول منذ بداية السنة الأولى.

أجاب دانيال و هو يضحك : أهكذا ترحب بي يا صديق، فعلت إنك متعجرف !

استطرد مراد طريقة كلامه فقال : و كيف تريدني أن أكلمك، لقد غبت طويلا و باتت أخبارك تصلني إلى مسامع أذني من شخص لآخر، يا لها من صداقة !

دانيال : حسنا كفاك مزاحا، خذ هذا الظرف، إنه يحوي تحاليل ADN التي سبق و قمنا بها منذ شهور أتذكر !؟

أمسك مراد الظرف و ضحك قائلا : أجل أذكر هذه التفاهة بشدة، لا أدري وقتها كيف كنت أفكر ! كنا أغبياء بشدة...لكن لم تحمل الظرف أنت إلي، هناك عامل التوصيل !

بدأ يتضايق من طريقة كلامه فقال : لقد لمحته قادمًا إليك عندما انتهيت من عملي في الإدارة و إنه صديقي فقال لي أنه لك فأخذته فرصة منها لأراك...فقام بحركة من عينه برفعها إلى الأعلى تدمرا من وقاحة صديقه.

مراد : حسنا، شكرا جزيلا لك، إنها فرصة رائعة للقياك، مع السلامة لدي دخول آخر بعد نصف ساعة، يجي أن أجهز نفسي، مع السلامة.

بقي ينظر إليه بتعجب فألقى عليه التحية و ترك المكان ليسمح لمراد أن يفتح الظرف و يطالع محتواه ؛

خلال فترة دراستهم في كلية الطب اجتمع الأصدقاء و اتفقوا أن يقوموا بتطبيق أخذ التحاليل الدموية واحدا من الآخر ليتدربوا بشكل واقعي، و كان المزاح بينهم في درجة عالية حيث قرروا أن يقوموا بتحليل الأبوة لعل شخصا منهم قد عُثر عليه في حاوية قمامة أو قرب كنيسة، راقى الفكرة إليهم و قاموا بالتحليل و زاد تحفيزهم توفر المال الكافي فقاموا بذلك خلصة عن آباءهم بحيث أخذ مراد خصلة من شعر مهجة و خصلة من شعره.

فتح الظرف و أخذ النتيجة بين يديه لتظهر نسبة توافق تصل إلى 0%.
اهتز تفكيره و تشوش دماغه، بدأ جسده يرتجف و العالم يدور أمامه...تأكد مجددا
من قيمة الصفر أمامه فتذكر أن تلك النتائج لا يمكن أن تخطئ أبدا من شدة دقتها،
فأمسك طرف الورقة بين يديه و عصره جيدا و أطلق صرخة مدوية غير مباليا
بالمرضى أمامه أو الطاقم الطبي الذي يذهب و يجيء بخطوة تلو الأخرى.
مراد : إذن فهمي ليست والدتي، ليست أمي، مهجة ليست والدتي، كذبت علي،
ليست أمي،...ابن من أنا، ابن من !؟

✨ Discothèque la rencontre de l'amour

Musique sur le champ : DIAMONDS-RIHANNA

بين أصداء الموسيقى الصاخبة و الرقصات المتحررة و صراخ الفتيات من شدة
حماسهن من إطلاق أغنيتهن المفضلة، حررت غرام سراح شعرها البني الطويل و
جعلته ينسدل ليصل إلى أسفل ظهرها ليتجاوز بطوله فستانا الأصفر المخملي،
تعالَت أصداء الموسيقى و تناغم جسدها مع جميع ألحان الأغنية، و فضلت أن
تقضي يومها في الديسكو و الاستمتاع بالأغاني التي تتقنها و التي تتمناها هي الأخرى،
أغاني البوب... تمايلت أطرافها و بدأت تدور على أرضها و هي تسمح لكل نغمة أن
تخترق قلبها بكل حماس و نشوة، هذا ما كانت تفعله الموسيقى بها في كل مرة.

هنا فُتِح باب الديسكو و تخلله مراد مرتديا سروال جينز غامق اللون و
Maillot أبيض خشن الملمس و عقدا من الفضة يزينه، دخل إلى عمق المكان و

لفت انتباهه رقص الفتاة أمامه المتناغم مع الموسيقى و التي تدور و تتلوى على كامل راحتها، تقدم نحوها أكثر و عند دورتها التفتت نحوه و التصقت بجسده القوي البنيان و أمسكت شعره الاسود و نظرت إلى عينيه الزرق و شفثيه الساحرتين لتتعرف إليه و تدخله معها في إيقاع رقصها.

تماسك الاثنان بشدة و تمايلا على نغمات الأغنية الرائعة و بدأ حديثها أخيرا.

مراد : و لكم أنت مسرعة في قرارك !

غرام : و ماذا تعرف عني، أو بالأحرى ماذا أخبرتك به عهد !؟

مراد : و هل أحتاج أن تخبرني عليك شيئا، إنني أعرف كل شيء، كم أنت متكبرة و مغرورة،...

ضحكت و قالت : و ماذا تريدني أن أكون سهلة مثل الأخريات ؟ أو مثلك أنت الذي أدخلتك معي في رقصي رغما عنك !

ضحك بشدة و أجاها بتهكم : و ماذا يفعلون الناس هنا غير الرقص، مالذي جئت لفعله في نظرك، و من أخبرك أنني أرقص معك رغما عني، يا لذكائك، و كيف تعلمين أنني لا أنوي فعل شيء آخر هنا ! ها.

أزاحت بنظرها عن وجهه و ابتسمت و استكملوا رقصتهم مع النغمة الأخيرة.

انتهت الأغنية العاشرة لتلك الليلة و جلس الاثنان ليأخذوا أنفاسهم أمام البارمان جاستر الذي قدم إلى غرام مشروبها الكحولي المفضل و الذي قدمته إلى مراد أيضا.

مراد : لم تنسي إعجابي بهذا المشروب !

غرام : و بالطبع، هل أنسى أتفه أشياءك، إنك لا تستغني عنه أبداً و هو ما يريح أعصابك الحائرة المتعجرفة.

مراد : لن يريح أعصابي مجرد مشروب تقديمه إلي، يا حمقاء ! إنني طبيب جراح و من البديهي أن أكون هنا رفقتك !

ظل الاثنان يتحدثان بتعجرف و هما في قمة سعادتهما و ضحكهم فقالت غرام :
طبيب جراح ! إنك في السنة الأولى ليس إلا ! من المتسرع الآن ؟! قهقهت في وجهه فقال لها : و هل تنوين الفوز بالسوبرانو بضحكتك هذه، هل يكون المشروب الذي أثر على صوتك هكذا و جعله مثل مذياع جدتي التي لم أراها طوال حياتي !
غرام : هل أسكب لك كأساً آخر ليصبح صوتك أكثر وضوحاً لأن أذني لن تتحمل عناء سماعك !

ازداد استهلاكهما للمشروب و لم يستطيعا التحكم في أفعالهما فآثرا أن يكملوا الحديث في غرفة النوم التي حجزتها غرام مسبقاً لتحضر عرض صديقتها المحدد موعده غدا... و هناك دخل الاثنان و حركتهما شبه مشلولة و تائهة فسقطا معا على فراش النوم و خفق قلبيهما نحو بعض،... و من بعيد سقط حذاء غرام الطالون الأسود بعدما أزاله مراد بشراهة و هو يقبلها.

الفصل ٢

"بينما كنت أستمع بحياتي، كان هو يجهز قدرتي على نار حامية"

مسرح الأوبرا الباريسي - مساء السبت 17 يونيو 2023

مساحة كبيرة تضم الآلاف من المقاعد و أمامها المسرح المخصص للمغنية عهد و منافسها آلان على تمكنهم من اجتياز مرحلة الاختيار لمسابقة السوبرانو، و هناك حيث قام المنشط بتقديم مهجة والدة المغنية المشهورة التي تتبارى الآن على مقعدها في المسابقة "العظمى".

تقدمت مهجة أمام الجميع بثقة عالية بعدما حياها الجمهور و هي ترتدي فستانا رماديا لامعا و رداء أخضر ملكي حريري الملمس و قالت كلمتها :

- يسعدني أن أتواجد اليوم معكم و أضمن لكم الاستمتاع بما ستشاهده أسماعكم، أتمنى لكم قضاء وقت رائع !

و من تم دخلت عهد القاعة بعدما تركتها مهجة و التحقت بمكانها المخصص مع الجمهور، دخلت مرتدية فستانا رماديا مثل التي ارتدته والدتها غير أنه مصمم بشكل مختلف بحيث تم دمج مع فستان أسود مخملي على مستوى الكتف و لتكمل إطلالتها احتراما لموضوع العرض "كلاسيكيات القرن التاسع عشر"، صفت شعرها الذهبي على شكل أسطواني و مكياج خفيف.

تقدمت و كان بجانبها آلان مرتديا بدلة سوداء قائمة رقيقة...و مع دخولها انطلقت موسيقى الأغنية التي وجب عليها تأديتها كثنائي : *Time to Say good* .
bye

بدأت أصداء الأغنية بصوت عهد العذب و القوي الذي اخترق جدران المسرح ليصل إلى غرفة الفندق التي تواجد بها مراد مع غرام، بحيث لم يستيقظا من هفوتها إلا عند الواحدة و بقيا في حضان بعض حوالي الساعة إلى أن وصل موعد العرض و غادرت غرام الفراش و ارتدت فستانها الأصفر ثم أمسك مراد بيدها قائلا : أين

تنوين الذهاب !؟ فأجابته بتهكم : هل تظن أنني سأظل بجانبك هنا طوال الحياة، إن لدي عرضاً يجب أن أحضره ! انهض أنت أيضاً، أليس لديك ما تفعله ! أمتأكد من أنك طبيب جراح ؟!

ضحك غير مباليا بكلامها و قال : سأذهب معك ! و لا تغيري ملابسك، أتحداك أن تذهبي هكذا، فقالت : و لم تستنزف قوتك بهذا التحدي، أنا جاهزة منذ البارحة و جاهزة منذ الأزل لأي مناسبة توجد أمامي، أما أنت و نظراً إلى حالك هذا فلا أظن !

و قالت ذلك مشيرة إلى ال maillot العريض الذي ارتداه رفقة سروال الجينز و الحذاء العالي...فأجابها : و ما به حالي هذا، فبه أوقعتك في شركي !

فقالت منفجرة بالضحك : أي شرك، هل تظن أن ما فعلناه شركاً، لا تضخم الأمور أرجوك ! فتعالت ضحكات الاثنان و غادرا الغرفة متجهين بسرعة إلى مقر المسرح حيث وصل الدور على ثنائي المسابقة أن يؤدوا المقطع الوسط بصوتيهما.

بعدهما جالت بخطواتها المتثاقلة المنهمكة جل أرجاء المدينة، وصلت سعادة إلى منزلها أخيراً و من الوهلة الأولى لاحظت التغيير الذي طرأ عليه من الخارج، ليس بالتغيير الكبير لكنها لاحظت كل تفصيل و لو كان صغيراً لأن منظر منزلها لم يفارقها و لا أي لحظة عاشتها بداخله، أي لحظة، و كان ذلك ما حصل عندما وجدت الباب مفتوحاً و دخلته على مصراعيه و خطت خطواتها الأولى من جديد و انهالت عليها الذكريات بداية من موت والديها و منظر سقوط والدتها و قلب الحلوى بين يديها،

موت فرح بعد اغتصابها داخله من طرف الضابط و احتراقه، اغتصابها هي الأخرى و تصويبها على الوحش و ضياع ابنها بعد ارتكاب خطيئتها الثلاث.

كانت شافعة من يقطن البيت و بقيت ملازمة له منذ دخول سعادة السجن.

شافعة : ابنتي سعادة أنت هنا !

التفتت نحوها بعد أن كانت شاردة أمام الحائط الذي عهدته أسود اللون و تحول الآن إلى الأبيض الناصع.

سعادة : أجل، أنا هنا ! ثم أسرعت إليها و عانقتها و الدمع يسيل من عينها رغما عنها ثم قالت شافعة : لقد اشتقت لك بشدة، لم أتحمل فراقك يا ابنتي، لقد تم تعذيبك، إنه ظلم في حقك، مأساتك تؤلمني حقا يا عزيزتي ! الآن انتهى كل شيء أنت حرة بعد كل هذا !

فارت سعادة حضنها و قالت و الغضب يعود إلى قلبها و تفكيرها : لا، لم ينتهي شيء بعد، لقد بدأ كل شيء الآن، أنا الآن أنوي استكمال قصتي و استرجاع أحداثها !

شافعة : ماذا تقولين ! متر غادرت السجن، هل خرجت لتوك ؟

سعادة : لا، لقد غادرته البارحة...لكن بقيت أجول كل منطقة أراها، لقد أردت أن أسرح في أرضي لعلي أجد نسمة ابني الذي سلب مني، لعلي أجد الشخص الذي أخذه، لعلي أصادف خليفة أو أي شخص منهم !

زاد قلق شافعة و قالت : لا يا ابنتي، لا أريدك أن تصبحي هكذا، لا أريدك أن تفكري في الانتقام...

قاطعت كلامها و قالت : أنا لا أفكر في الانتقام، بل أنا الانتقام بنفسه، أنا العذاب الذي ينتظرهم، كل واحد منهم بأوانه، سأكمل ما بدأته و نويت فعله ثم الآخرين، لقد أفنيت حياتي مقابل الانتقام و لن أتراجع !

شافعة : إن كلامك هذا يخيفني ! فعلا أنا معك في أن تجدي ابنك و سأساعدك بقدر ما أستطيع و أكثر، لكنني لا أحبذ فكرة الانتقام، دعي الخالق يتولى أمرهم، سيعاد إليك اعتبارك و حقك، اصبري يا ابنتي أرجوك !

سعادة : لقد صبرت فعلا، صبرت طوال ثلاثة و عشرين سنة، إنه عمر أليس كذلك، إنه عمر ابني الذي حرموني منه، إذن لا تقولي لي الصبر، و لا توقفي عملي، فقط شاهدي ما سأفعله و كوني شاهدة يا خالتي شافعة.

هزت شافعة كتفيها و قالت : حسنا و ما الذي سأقوله أمامك يا ابنتي، سأذهب و أعد لك كأسا من الشاي لترتاحي قليلا !

ابتسمت سعادة بين غمام وجهها و قالت : يجب أن أبحث عن عمل يليق لكي أستقر و أعيش به، و من تم سأبدأ البحث عن ابني!

شافعة : أظن أن لدي عمل لك، ليس ما يليق بك فعلا و لكنه مؤقت، يساعدك في الاندماج مجددا !

سعادة : سأقبل بأي شيء !

اتجهت مباشرة إلى الصالون و ألقت بجسدها المنهك فوق الأريكة منتظرة شاي شافعة.

داخل المسرح ازداد حماس الجمهور على إيقاع غناء عهد و منافسها آلان و اندمجوا مع ألحان الموسيقى لينضم إليهم مراد حاملا الدب جون الذي أهدها فيما سبق إلى أخته عهد و معه غرام على وعدها بالحضور بنفس المظهر...عند دخولها لفت انتباه عهد و فرحت بشدة لعدم تخليه عنها في يومها المهم و حضوره لتشجيعها برفقة صديقتها المقربة...اقترب من المنصة إلى أن وصل حيث جلست مبهجة و تفاجأت من وجوده أيضاً فقالت له : ها أنت ذا، أتيت فعلا، و أحضرت معك هذه الجميلة ! ألفت غرام التحية على مبهجة و ظلت تنظر إلى عهد و هي تقدم عرضها بكل فرح و سرور و بجانبها مراد الذي يلمس كل مرة جزءا من جسدها خفية و هي تبعد يده و هي تضحك بخفة...

مبهجة : كيف أتيت و أقنعت هذه الجميلة بالجيء معك !

أجابها متكبرا بعد الحقيقة التي اكتشف : أنا حر و أجلب معي من شئت و أينما شئت !

استغربت من حدة جوابه ففهمت أنه يتهم بها مثلما يفعل عادة.

انتهى العرض و غادرت اللجنة لتقييم العمل و أعطت موعدا بعد يومين لإعلان النتائج النهائية، و بعدها قدم فريق العمل إلى المنصة من أجل جلسة التصوير للثنائي الأخير المتنافس و بطبيعة موضوع العرض، تم تزيين المسرح بشكل كلاسيكي قديم و حفاظا على طابع الأغنية الحزين تم وضع زهرة كبيرة ذابلة وسطه مع *chapeau* أسود قديم الطراز ؛ أمسكت عهد بالزهرة العملاقة و أخذت لها صور عدة بمختلف الوضعيات ؛ جالسة على الأريكة و حولها الزهرة، تنظر إلى الزهرة من بعيد، متكئة على الحائط المزين بالأزهار و اللون الأزرق و هي تمسك بالزهرة... هكذا أخذت لها

صور تذكارية هي و منافسها و هنا انتهى العرض فقدمت مهجة، مراد و غرام إلى داخل المسرح، و كان أول ما فعلته عهد هو أن ارتمت في حضن مراد من شدة فرحتها بقدمه.

عهد : مراد حبيبي، لقد كنت خائفة من أن أمرر العرض دون حضورك، أنا جد مسرورة بقدمك، أحبك جدا !

عانقها مراد بشدة و قال : و هل أستطيع تفويت عرضك يا صغيرتي !
عهد : لا تقل لي صغيرتي مجددا، فأنت تكبرني بشهر واحد فقط يا أبله، أسمعني هذا يا غرام !

ضحكت غرام و مهجة فأجابتها : و هل لليوم ترينه على حقيقته ؟
انتهت عهد إلى وجود جون ففرحت جدا و قال لها مراد : انظري أنا واثق أنك ستفوزين، لقد قمت بعمل رائع، جعلتني أفتخر بك...
قاطعته مهجة فنظر إليها بجدة و قالت : إنها ابنتي فمن الطبيعي أن تثر جمال صوتها عني.

فعقب على كلامها : ليس من الضروري أن تكون ابنتك ليكون صوتها رائعا ! فقام بحركة من عينه تشير إلى تهكمه بها و استدرك حديثه : يجب أن نحتفل بك يا حبيبتى ! يجب أن نعمل شيئا ! طارت غرام من مكانها و قالت بحماس شديد : أجل، أجل، يجب أن نحتفل بك، لقد أذيت بشكل رائع و لافت بالتأكد أنك ستفوزين، لكن لا تتحمسي بشكل كبير، سنتنافس بشراسة يا عزيزتي على السوبرانو، لن أرحمك !

عهد : و هل تظنين أنني سأرحمك بدوري !

ضحك الجميع و قالت غرام : هيا يجب أن نذهب الآن !

فرد عليها مراد : هيا تحركوا، سنمضي وقتنا رائعا، و أقترح أن تذهبي هكذا يا عهد !
فأجابت مهجة : هل ستجول الشوارع هكذا !

فعقبت عهد : و لم لا، ليس لي مشكلة في ذلك، هيا لنذهب الآن.

استجمعت مهجة نفسها و قالت : حسنا، سنرى ماذا ستفعلون في هذه الخرجة !
فأجاب مراد : و من قال أنك ستذهبين معنا، سنخرج نحن الشباب فقط، خرجة
شبابية !

هنا زاد استغرابها من حدة تعامله معها و تركت الجميع يذهب ليظل وحده معها و
هو ينظر إليها بغضب متهم و يقول في نفسه : سنرى من تكونين، و من هي
والدي، و من هو والدي، و من هو أنا !؟

و بينما خرج الثلاثة للاحتفال بنجاح العرض كانت جليلة تمشط شعرها داخل غرفتها
التي اختارت لها لونا أزرقا لامعا راقى المظهر تغطي به كامل أرجائها و هنا مر قرب
غرفتها خليفة و هو يحدث العميد معتر على الهاتف ؛

خليفة : لا تقلق، لقد أقنعتها و أنا أجهز كل ما يلزم لنقيم عرسا فخما كما طلبت، على
التقاليد المغربية الراقية كما أردت أنت و عائلتك، سيكون يوما مميزا، أرجوا أن
يكون خليل جاهزا !

فرد عليه المتصل بالإيجاب و وعده أنه ما أن يتم الزفاف سيعود ليشغل منصبا مهما
كما جرى الاتفاق بينهما فيما سبق.

حديثه أثار غضب جليلة من جديد فتركت مقعدها و خرجت متجهمة و ضربت
بهاتفه فأسقطته أرضا و تفاجأ من فعلتها ثم صرخ في وجهها ؛

خليفة : ما الذي تفعلينه، هل جنت ؟ إنني أتحدث مع العميد ! هل طار عقلك
!؟

جليلة : بل أنت من جنت حرفيا، لقد سبق و عارضت طلبك، هل أنت مغفل
!؟ ستزوج ابنتك رغما عنها، من يفعل هذا سوى مدلول مثلك، هل لهذه الدرجة
وصل بك الأمر !؟

خليفة : لن أنتظر رأيك، أنا والد الفتاة و يحق لي فعل ما أريده بها !

جليلة : لا يحق لك، و لن تقبل غرام هذا الوضع أبدا، و لو على جثتها !

خليفة : ستقبل و ستزين، ستقبل رغما عنها ! انظري...

أمسك الهاتف من على الأرض و حاول الاتصال بابنته فردعته جليلة عن فعل ذلك
و أسقطت الهاتف بعنف من بين يده فصفعها بشدة إلى أن سقطت على أرضها.

قاومت الأرض التي تجذبها إليها و انتفضت في وجهه بعد أن غطى شعرها كامل
وجها، واجهته و ضربت بشدة على صدره و وجهه بشدة بالغة كالمجنونة و هي تلطم
وجهه بالصفعات التي صدها بضربات واضحة على كامل جسدها، عراك زوجين،
لكنه ليس بالعراك العادي، إنها فوضى العراك، فوضى الخطايا...ابتعدت عنه و

قالت صارخة : لا يحق لك أبدا، ليس لك الحق في لمسي، ليس لك الحق في الحديث معي و لا في قربي منك، أنت حيوان...

قاطعها صارخا هو الآخر : أنا زوجك، و يحق لي أن أفعل بك ما شئت، من أنت و من تكونين لتواجهي و قراراتي و تدمري ما أصنعه، سأفعل بك ما شئت، سأفعل بك كل ما يطيب لي !

جليلة : أنت مجرد نذل، اتظن أنني فرح التي اغتصبته و قتلته بدون رحمة، أو سعادة التي اغتصبته و جعلتها حاملا منك و بسببك دخلت السجن، لا لست مثلهن، أنا من ستدمرك، أنا أقوى منك يا خليفة، أنت لست زوجي، و لا يجمعني بك شيء سوى ابنتي، هل تظن أنني مكثت معك طوال هذه السنوات لأنني أحبك، فقط لم أرد أن أشت حياة ابنتي، أما أنت فلا يهمني ما ستؤول إليه، أنت عالة على ابنتك و عالة علي، و عالة على نفسك، و بالأحرى، ستدمر نفسك بنفسك !

تركت الغرفة بعدما أظهرت كل ما لم يستطع وجهها إخفاؤه و جعلته يفكر متمعنا ثم قال مع نفسه من جديد : ستقبل، لن ترفض لي هذا أبدا.

دخلت غرام رفقة مراد و عهد إلى داخل المقهى الموسيقي الذي اعتادت أن ترتاده منذ ولوجها المعهد و هي على غير علم بالحرب التي تدور حولها في بلدها المغرب داخل بيتها و بين والديها و النار التي تزداد اتقادا استعدادا لإحراقها، بل كانت في شدة الحماس للاحتفال بصديقتها و تمضية وقت رائع مع حبيبها قبل افتراقهما.

جلس الاثنان في مقعد مقابل للشانزليزيه الذي يضم أرقى المقاهي و المطاعم و المحلات التجارية الكبرى و هو حيث اختار مراد أن يقوم رفقة فتياته بجولة كبيرة ليعيشوا لحظة تاريخية كما أطلقت عليها عهد...تركت غرام الاثنان و اتجهت إلى الموسيقيين و طلبت منهم أن تقوم بتشغيل الأغاني التي تختارها هي فوافقوا بسرعة لشدة تعلقهم بها و إعجابهم بإصداراتها الغنائية التي كان من بينهم من اشتغل معها...و هكذا أطلقت أغنية **DIAMONDS** مرة أخرى و هي الأغنية التي رقصت عليها مع حبيبها،...رقص الجميع على إيقاع الأغنية ثم جاء الدور على الأغنية الثانية **Careless Whisper** التي تتبدى بموسيقى يعرفها الجميع في الفيديوهات المضحكة و الطرولات للفنان جورج مايكل، و هنا ضحك الثلاثة و قالت عهد : أتريدننا أن نرقص على موسيقى الطرول، أم ماذا !؟

ضحكت غرام و أجابت : إننا دائماً ما نسمعها في الفيديوهات و فقط الثواني الأولى، لكن اليوم أريد أن أسمعها كلها و أرقص على كلماتها التي أتشوق لهم.

انطلقت الأغنية و تجاوزت الثواني الأولى و بدأت الكلمات و الرقص بين غرام و عهد ثم دخل مراد ليحل مكان عهد بعد أن قال : أهذا هو الرقص، هل هذا اعتقادكن للرقص، يا ويلي ! إحدانكن تخلي المجال لأريكن ! قال ذلك لينتجز الفرصة و يرقص مع حبيبته فأمسك بيدها و بدأ يتمايل رفقة جسدها و هي معجبة بالكلمات التي تسمعها لأول مرة في حياتها كما فعلت العديد من الأمور لأول مرة.

انتهت الاغاني التي اختارتها غرام و غادر الثلاثة المقهى على إيقاع تصفيقات الجميع و أخذ صور السلفي مع معجبيهم و من استمتعوا بعرضهم و من أعجب بجمال عهد و مظهرها الملفت،...ثم بعد ذلك انتقلوا إلى داخل المتجر و اتجهوا مباشرة إلى محل

الدمى و الدببة و ارتقوا بين أحضان كل دب عملاق يصادف طريقهم و الكاميرا لا
تفارق لحظاتهم ؛ كاميرا عهد.

الفصل ٣

الزنازة رقم 12

على عتبات السجن و قبل وصولها إلى منزل المحامية بسمة التي سبق و قامت شافعة بالتوسط لها لتعمل مساعدة لها في بيتها، توجهت إلى بوابة السجن و قابلت البواب و هي تحمل رسالة بين يديها، أجاها البواب و طلبت منه أن يوصل رسالتها إلى سجين و قال لها :

- إلى من تريدان توصيل هاته الرسالة؟! و ماذا يقربك!؟

- أريد أن أوصلها إلى فخر الدين،... أنا زوجته!

- حسنا أعطني إياها!

أخذ الرسالة و غادرت سعادة بعد أن ارتسمت على وجهها عبارة ضاحكة مطمئنة ثم توجهت إلى منزل المحامية...بينما عبرت الرسالة أبواب السجن الشاهقة و الشاءكة، مرت بين كل زنزاة و اطلعت على قصة كل سجين داخلها و حاله، هناك من اقترب فرجه و هناك من مات منتظرا، و هنا داخل الزنزاة رقم 12 يوجد فخر الدين مع خمسة من السجناء من مثل سنه و هناك من هم أصغر؛

كان جالسا على كرسي حديدي أسود مرتديا بنظالا قاتم اللون و Shirt أسود دافئ بينما غطت اللحية ذقنه و زار الشيب شعره بعدما لم يستطع حرمانه من جماله و طوله...دخل البواب إليه و نادى باسمه الفريد قائلا : فخر الدين، هناك رسالة لك، تقول إنها زوجتك!

اقشعر شعر بدنه و التفت عنده و أظهر شعاع النور من نافذة الزنزاة تجاعيد على جبهته التي اشتدت من صدمته عند تلقي الرسالة و أبرز بوضوح جمال لون عينيه الزرق التي تدور محاولة البحث عن جواب لسؤاله : من هذه التي تدعي أنها زوجته؟

أمسك فخر الدين بالرسالة و يده ترتعد و قال : من فضلك ؟ هل يمكن أن تصف لي شكلها !؟

فاستغرب البواب و السجناء الآخرون ثم قال متهمًا : هل مرور السنين جعلك تنسى زوجتك أم ماذا !؟

نظر إلى السجناء منتظرًا ضحكهم على دعابته فلم يتحرك منهم أحد من شدة احترامهم لصديقهم و محبتهم له.

استطرد البواب كلامه : كان شعرها بنية و لها خصلات سوداء، ضعيفة الجسد و حادة النظرة، هذا كل ما تذكرته، حسنا لا تضيع وقتي أكثر.

ترك الزنانة و أغلق الحارس الزنانة ليسمح لفخر الدين أن يكشف عن محتوى الرسالة و كان أول ما لفت انتباهه عند فتحها هو التوقيع باللون الوردى أسفلها مما أثار ذاكرته ثم قرأ النص متلهفا ؛

• لن أطيل كلامي أكثر، تريد فعلت أن تعرف سبب سجنك، إنها مهجة من أبلغت عنك، و تدري لماذا، لأنها كانت تنوي أن تفرق بيننا، يا لها من غبية، تريد أن تحشر انفسها في كل شيء، لقد افترقنا فعلا، لكن ليس "بفضلها"...•

سقطت الرسالة من بين يديه ليسمع وقع سقوطها على الأرض، لقد اكتشف أخيرا أن سعادة ما زالت على قيد الحياة، من خط يدها و من توقيعها الذي عهد من قبل.

فخر الدين : إنها حبيبتى سعادة، ما زالت حية، إنها حية، هذا توقيعها، كيف حصل هذا، لقد خدعتني، إنها شيطان، خدعتني و صدقتها في لمح البصر...

وكان التوقيع هو السبيل الذي اهتداه إليها بحيث كان دائما ما يتلقى رسالاتها أيام شبابهم و في بداية علاقتهم، باللون الوردي و هذا هو الشيء الذي لم يستطع نسيانه طوال مدة سجنه و هي الآن في عمر الخمسينات.

فخر الدين : لا بد لي من رؤيتك مجددا، لقد تأملت طوال هذه المدة لسبب واحد هو موتك ! لا بد لي من مغادرة السجن، لا بد لي من الانتقام، لن أتركها تفلت بفعلتها، لقد سخرت مني و لعبت بجيائي ؛ و كان يقصد بذلك الشرك التي جعلته يقع فيه ظنا منه أنه اغتصبها، لكنه علم بالحقيقة منذ مدة غير طويلة.

قبل ستة أشهر من الآن

وسط ساحة السجن

كان فخر الدين مستلقيا على مقعد اسمتي يطالع منظر السماء و هو ينتظر انتهاء مدة حكمه و لحاقه بحبيبة قلبه أخيرا، لكن ذلك اليوم لم يأتي بعد، لكن جاء إليه الحارس الذي تواطئ مع مهجة و قد مر عليه الدهر و شاخ جسده و بدا التعب الشديد عليه من تثاقل خطواته و هو قادم إلى فخر الدين ليبرئ دمه.

الحارس : أسمح لي بالجلوس بجانبك قليلا.

انتفض فخر الدين مسرعا ليسمح له بالجلوس ثم قال له : اسمع يا سيدي، ليس لدي الوقت الكثير لا هنا أمامك و لا في الحياة، لكن سأستغل فرصة تواجدي هنا و لن آبه إن تم طردي، أريد أن أعترف بخطيئتي التي ارتكبتها في حقك منذ زمان، لقد ارتكبت خطيئة عظيمة، لقد طمعت في مال تلك السيدة و أصابني الجشع، لقد كذبت في وجه العدالة و زورت الحقائق و شهدت زورا ضدك، كله من أجل المال، و ماذا جنيت الآن، سوى العذاب و الألم، أتدري، لم أكن مرتاحا طوال هذه

السنوات و قد عشت فترة منها بمالها، لم يرتاح لي بال و لن ألقى سعادة نفسي إلا
بسماحك لي، أرجوا أن تغفو عني و أعدك أنني سأعترف ليخفف الحكم عنك !...
قاطعته فخر الدين و الدموع تملؤ عينيه : لا تعترف بشيء، و هذا لن يغير شيء، فأنا
ارتكبت جرائم أفظع من هذا، سأبقى هنا طوال حياتي، لكنني أعفو عنك، لأنك
اعترفت لي و جعلت بالي يهني، لقد أعدت السلام لقلبي و جعلته نقيا من جديد،
لقد كنت أحب فتاة بشكل بريء، هي فقط من أحببت و من أحب إلى الآن و
بعد تلك الخطة اسود قلبي و تألمت بشدة لأنني خنت حبي لها بذلك الشكل ! لكن
الآن أنا مرتاح البال، لذلك لا تعترف، لا أريد أن تدمر حياتك أكثر، أريدك أن
تحيا بعيدا عن تلك الخطايا، لقد انتهت فعلا، لا تعذب نفسك أكثر.

في هذه الأثناء كانت مهجة داخل منزلها و هي على الشرفة جالسة على مقعد تحتسي
كأس الشاي المجدد و هي تتمتع بجمال برج إيفل من بعيد، منتظرة إعلان نتائج ابنتها
التي تواجدت في الغرفة نفسها برفقة مراد و جون.

عهد : أنا خائفة جدا، و إذا لم أفر !

مراد : لا تقولي ذلك مجددا، لقد كنت خطيرة جدا.

عهد : و هل رأيت منافسي أيضا!

انتفضت مهجة و قدمت إليهم بعد أن تركت الفنجان على الطاولة و قالت صارخة :
ستفقديني صوابي، قلت لك لا تتفوهي بمثل هذا الكلام مجددا، ستجتازين المرحلة
بامتياز، لا أريد أن ألمس ضعفك ! هيا شغلي الموقع من جديد لنرى.

نظر إليها مراد بجدة شعرت بها عند رؤيتها له و بقي حالهم كما هو إلى أن صرخت عهد بقوة معلنة فوزها و اختيارها لاجتياز مسابقة السوبرانو.

قطع صراخها صراع تعبيراتهم و قفز مراد إليها فرحا و عانقها بشدة و قبلها فقالت مهجة : لقد قلت لك أنك ستفوزين !

استطرد مراد : مبروك عليك يا حبيبتى، لقد استحققتها فعلا...

قاطعته قائلة : لقد تم اختياري أنا و منافسي، هل ترون حجم ذلك، أنا مسرورة جداً، سأطير من الفرحة.

مراد : لك ذلك، لكن الآن نريد السوبرانو !

مهجة : أجل، يجب أن تفوزي باللقب ! أريده لك مثلما أخذته، أريد أن يظل السوبرانو لعائلي فقط، من يد ليد بيننا !

مراد : لا تضغطي عليها، اسمعي يا عهد أنا أشجعك فعلا لتأخذه، لكن إذا لم يكن مقدرا لك فستظلين أجمل مغنية بالنسبة لي و لن يغير ذلك شيئاً.

عهد : حبيبي أنت، آه نسيت، يجب أن أخبر غرام، سأتنافس معها، هذا غير معقول يا أخي !

أخذت الهاتف بسرعة و اتصلت بها، بينما كانت غرام في غرفة الفندق و هي تقوم بتقليم أظافرها بالأدوات التي اشترتها يوم عرض عهد، في هدوء على صوت موسيقى الجاز و المسبح الذي تطل عليه الغرفة يضيئ بلمعانه على وجهها و يجعلها تتذكر ليلتها مع مراد و الأضواء التي تلالأت داخل الملهى...

اتصال على الهاتف ؛

غرام : أهلا حبيبي عهد، هل أنت بخير !؟...ماذا حقا ؟ هل فزت! قلت لك ذلك، مبروك عليك يا حبيبي، فل تستعدي الآن سنتنافس بقوة.
عهد : لا تفزعيني أيتها المتعجرفة ! هيا اذهبي الآن، سنلتقي ليلا رفقة الكليكة.

اتصال ثان على هاتف غرام.

غرام : يجب أن أقطع الاتصال الآن أصلاً، لدي اتصال مزدوج، إنه أبي، الوداع !

غرام : مرحبا أبي، كيف حالك ! هل اشتقت لي بهذه السرعة ؟!

ضحكت و أجابها : اسمعي يا ابنتي، أريد أن أخبرك بشيء...

غرام : أخبرني يا أبي، ما بك، صوتك يبدو مختلفا!

خليفة : تعلمين أنه تم توقيفي عن العمل بسبب الحادث الذي تعرضت له، بعد شلل يدي لم يعد لي عمل في ميدان الشرطة سوى التحقيق، لأنه لن يحتاج لجهد بدني، تعلمين أنني أحب عملي و أنا اتألم منذ توقيفي، لكن الآن هناك فرصة من رئيسي، العميد معتر عرض علي أن أعود لأعمل كمحقق مقابل شرط واحد...

غرام : ما هو هذا الشرط ؟

خليفة : الشرط هو أن تتزوجي ابنه خليل !

اشتد تفكيرها و توقف عقلها لهول ما سمعته ثم أردفت : هل تريد أن تزوجني

بشخص لا أعرفه رغما عني !

خليفة : أجل ستتزوجين خليل الأسبوع القادم، لقد تم تحضير كل شيء، سيكون حفل زفاف ضخم، لقد اعددت كل ما يلزم، و بمجرد انتهاء الحفل سألتحق بعملتي!

تحدثت بهدوء غريب : هل تريد أن تزوجني من أجل مصلحتك، بشخص لا أعرفه دون أن تستشيرني أو تأخذ برأيي،...

قاطعها صارخا : اسمعيني، لا تجادلي كلامي، هذا هو الحل الذي بقي أمامي، لا يمكنني البقاء هكذا، لم لا تتزوجيه، أنت ابنتي و تطيعين ما أمرك به !

اتسعت عيناها و هي مصدومة من نبرة صوته و قراره الحاسم و كلامه القاسي، لذلك أوقعت الهاتف من يدها و تركت الاتصال مفتوحا و هي في عالم آخر، أخذت إلى ذكرياتها حيث عاشت مع والدها أياما رائعة، بين لحظات يداعب فيها جسدها الهزيل، لحظات يقبل جبينها و يخبرها أنه سيكون لها الأب المثالي و أن لا شيء سينقصها، أنه سيظل بجانبها طوال العمر و أنه سيحبها كل يوم أكثر، و هي الآن تسمع صراخه على الهاتف و تحاول أن تجد و لو القليل من والدها الذي فقدته للتو.

أمسكت الهاتف من جديد و ازداد صوت صراخه و هو ينادي عليها فقالت بعدما استطاعت أن تسترجع الكلمات التي ضاعت منها : **أنا أقبل** •

قالت كلمتها و نظرها مثبت إلى الأمام، إلى الفراغ و هي جامدة في مكانها ثم رمت الهاتف على السرير مجددا و تركت خليفة في قمة سعادته، و قطعت الاتصال دون أن يكمل كلامه.

وصلت سعادة إلى منزل المحامية بسمة و طرقت الباب، ثم أدارت وجهها عن الباب و فكرت فيما ستؤول إلي، ستعمل مساعدة في بيت شخص آخر، شخص يمتلك الحلم الذي طالما راودها في صغرها، أن تكون محامية أو قاضية، لكن القدر لم يرد لها تلك الطريق، لكنه كان رحيا بها قليلا و جعلها تعمل لدى المحامية.

فتح الباب و ظهر من خلاله شاب رفيع القوام يبدو من رشاقتة أنه في العشرينات من عمره...استقبل سعادة مرحبا و قال لها : تفضلي سيدتي!

استدارت نحوه و قالت بتردد : مرحبا، أنا المساعدة من طرف شافعة، لقد طلبت المحامية بسمة مدبرة للمنزل، لذلك جئت للتقدم للعمل! هل هي موجودة؟! فأجابها قائلا : لا ليست موجودة هذا الأسبوع، لكننا في حاجة للمدبرة من اليوم إن كنتي موافقة، تفضلي.

سعادة : أجل أنا مستعدة من اليوم! و من حظها أنها ارتدت ثيابا بسيطة تظهر هدوءها و رواقها و صفت شعرها بشكل احترافي لكي تظهر بشكل لائق أمام مشغلها...تقدمت تبعا لخطوات المالك و عمل على تعرفها على مختلف أنحاء البيت من الصالونات إلى المطبخ...بعد ذلك تركها لتبدأ عملها بعد أن طلب منها تحضير الغداء له ريثما يعود أخوه فرانسيس من المعهد.

أخذت غرام الهاتف بعد القرار الصادم الذي اتخذته و اتصلت بعهد التي سارعت لإجابتها و قالت : عهد، سأتزوج الأسبوع المقبل، سيقام حفل الزفاف في بلادنا، أخبري مراد بذلك و خالتي مجهزة...

صرخت من شدة فرحتها و قالت : ستتزوجين، هل بهذه السرعة، من تعيس الحظ هذا، و ستقيمين الحفل في بلادنا، أووه، لقد اشتقت لأعراسنا، حسنا سنأتي، مبروك عليك يا حبيبتي!

صعق مراد مما سمعه و أمسك الهاتف بعنف ملحوظ ثم رد عليها صارخا : ماذا قلت الآن، هل ستتزوجين، أجيبيني ! هيا قولي شيئا !

لن يجيب أحد لأن غرام أقفلت الخط على الجانب الآخر عند سماع صوته و يدها ترتعد...كانت ردة فعله واضحة أمام عهد التي استغربت من تغير حاله فحاولت أن تعرف ما به لكنه لم يجيبها و طلب منها أن تتركه لوحده و كانت مهجة قد غادرت المنزل منذ مدة وجيزة.

مراد : ستتزوج، لقد لعبت علي، كيف ذلك، كيف وثقت بها، ما الذي حصل لي، لقد وقعت في شركها، كم أنا غبي، كيف فعلت هذا بي، و من فوق كل ذلك تعزمني لزفافها، و لكم هي وقحة، أنا الذي خنت نفسي و نزلت إلى مستواها،...

و في الجانب الآخر ذهب خليفة إلى جليلة و أخبرها بقرار ابنتها و هو يضحك مستفزا لها ؛

جليلة : لماذا اتصلت بها، كيف وافقت ؟ ماذا قلت لها، بماذا أقنعتها، هل هددتها بشيء ؟!

خليفة : لم أقم بأي مجهود، أخبرتها و وافقت ! إذن العرس الأسبوع القادم، و إن رأيت منك حركة غير لائقة لن أخبرك بما سأفعله بكما، هيا استعدي لم يبق الكثير !

الفصل ٤ :

زواجي الصائب

افتتح زفاف غرام و خليل بدخولهما على أهزيج الأغنية الشعبية الخاصة بالعمارية و التي تكلفت المزيينة (النكافة) بتلبيس العروس قفطانا ذهبي اللون مرصع بالعديد من الجواهر و من فوق وضعت تخميلة من الحرير الأبيض لامعة و اكتملت الزينة بوضع

التاج الفضي العالي مزينا رأس غرام و مضافيا على تسريحة شعرها الفاتنة جمالا آخر...و عند دخول العروس محمولة فوق الأكتاف كانت المعزومات ترقصن على إيقاع كل نغمة يصدرها الجوق الموسيقي و من بينهن عهد و مهجة مرتديتان فستانين من نفس التفصيل مع اختلاف الألوان، بينما كانت جليلة و خليفة يرحبان بالضيوف القادمين لتوهم و الذين اعتادوا كثيرا الحضور بشكل متأخر للفت الانتباه إليهن، و لم يكن لوالدي العروس دور في ذلك فقط بل كان التجهيز من مهمة عائلة خليل أيضاً حيث تكلفت والدته عائشة و والده معتر بمراقبة تنظيم الحفل من أوله إلى آخره.

انتهت مراسم دورة العروس و التحقت بالبرزة بجانب العريس ببدلته السوداء اللامعة بحيث لم تغب عن نظر المصور ولا لقطة من الحفل...رقص الأحياء و المعازيم و كان أكثرهم من عائلة خليل بينما حضر من عائلة غرام فقط اصدقاء والديها...ارتدت غرام خلال حفلها أربع فساتين ؛ الأول الخاص بالعمارية، الثاني قفطان أحمر بجواهر من نفس اللون كبيرة الحجم تبرز ترصيعاته، و الثالث كان اللبسة الفاسية أو اللبسة الكبيرة التي يعود أصلها إلى أهل فاس، و منه التسمية، و التي تتميز بثقلها و جمالها الواضح و هيبته التي تزيد العروس وقارا و حضورا بارزا أثناء الحفل و أخيرا الفستان الأبيض مع قالب الحلوى الكبير الذي يودع به الزوجان أهلها.

الفصل ٥ :

سبق و أخبرتكم، لن أراجع!

داخل منزل العميد معتر ؛ منزل عريق تطبع دواخله جميع مظاهر الحضارة المغربية،
الصالون المغربي التقليدي التي حافظت عائشة على ميراث ثقافتها في ظل
التطورات الحضارية، و هنا أمام باب البيت حيث اجتمعت "العائلتين" لاستقبال

الزوجين الحديثي العهد و توديعهما إلى شهر العسل...قدمت غرام و هي بجانب خليل متوجهين إلى عائلتيهما و عند وصولهما أمسكت بيده و هي تبتسم بشكل غريب.

عائشة : ها هما قدما، يا لجمالكما معا،...

خليفة : إنها مواتيان لبعضهما أليس كذلك يا سيد معتر !

أجابه معتر بفخر : أجل فابني يملك هيبية واضحة، مثل والده !

ضحك الاثنين و اقتربت عائشة منها قائلة : هل أنت على وعدك يا ابني، سنفرح كثيرا عند عودتكما أليس كذلك، ستجلبون خبرا سارا معكما ! لقد انتظرت طويلا...و عند كلامها هذا، فهم الجميع قصدها و ما كانت تنويه بتلميحاتها.

أمسك خليل بيد والدته و قال : أجل يا أمي، لقد وعدتك سابقا، لن أعود فارغ الوصال،...ثم نظر إلى غرام **موحيا بالحدث الذي ينتظره منها**...هنا قدمت جليلة و عانقت ابنتها قائلة : أريدك أن تهتمي بنفسك أكثر و لا تكرسي نفسك عناء أكبر، أريدك أن تكوني سعيدة يا ابنتي ! حسنا !

ابتسمت في وجه أمها و قالت : لا تقلقي علي يا حبيبتي، سأكون بخير، سأكون سعيدة طالما أنت في حياتي !

و من هنا ودع الزوجان العائلة الكبيرة و على مسامع غرام يتردد صدى ما عاشته في الفترة الأخيرة من والدها إلى والدتها ؛

- ستتزوجينه رغما عنك لأحقق ما أريد،...لا تهمني رغباتك...ستحققين رغبتني أنا، أنا والدك....

- لا تصغي إليه يا ابنتي، أنت من تملكين قرار حياتك، أنت من يدبر كل شيء،
أنت ابنتي القوية، لا تنصاعين إليه و تدمري أحلامك...
بين صدى هذه الكلمات كانت أفكار غرام ثابتة واضحة، مصممة على هدف واحد
هو تدمير الكل.

بعد ذهابها أغلق الباب و اتجهت عائشة نحو جليلة بينما غادر خليفة و العميد إلى
غرفة المكتب لمناقشة قضايا الجرائم الأخيرة.
عائشة : أرى أن ابنتك سعيدة جدا بزواجها، عكس ما أراه على وجهك !
جليلة : هل أنت موهوبة لدرجة أنك تحددين مشاعر الناس من وجههم، فعلا أفتخر
بك !
ضحكت الاثنتان و أعقبت عائشة : إنني فقط أمزح، إنها سعيدة جدا و عند حملها
ستزداد فرحا، أنا أنتظر المولود بفارغ الصبر.
ضحكت جليلة و قالت : و هل تنتظرينه من الشهر الأول، هل هما فئران تجارب،
اصبري قليلا، لا أتوقع أنك تريدين أن يكون حفيدك فضائيا !
ضحكتا بشدة و من تم ذهبتا إلى الصالون لاحتساء الشاي و الحلوى و مشاهدة
فيديو العرس.

داخل منزل المحامية بسمة يمر يوم سعادة مثل مثيله من تنظيف و طبخ و تجهيز
لكن اليوم سيكون مختلفا لديها و لدى سيدة المنزل التي قدمت الآن بعد جلستها

التي دافعت فيها عن شاب اتهم ظلما في جريمة قتل و كانت حرите على يديها، و كان هذا سبب الفرح البادي على وجهها و هي تدخل منزلها ممسكة بيدها بدلتها السوداء.

ذهبت إلى الصالون و وجدت سعادة تنظم أثاثه و كان صوت الطالون هو ما اثار انتباهها إلى وجود السيدة التي انتظرتها طويلا.

بسمة : أهلا، هل أنت سعادة، المساعدة الجديدة !؟

بقيت سعادة تنظر إليها طويلا و تحقق بملامحها البارزة، شعرها البني القصير، مكياجها اللامع، لباسها الراقى...

لاحظت بسمة شرودها و قالت : أهلا، هل سمعت ما قلت ؟

سعادة : أجل سيدتي، أنا المساعدة الجديدة.

بسمة : لقد حدثني عنك أخي في غيابي، أمورك جيدة على ما يظهر...لقد كنت في حاجة إلى سيدة مثلك ! لقد مر علي يوم صعب، سأذهب لأستحم و سأخذ غذائي في غرفتي من فضلك !

سعادة : حسنا سيدتي، سأجهز كل شيء الآن...لكن أريد التحدث معك في شيء... إنه شيء خاص !

كانت بسمة على أهبة الاستعداد لتصعد غرفتها قبل أن تقاطعها سعادة فقالت :
أجل تحدثي أنا أصغي !

ظهر الارتباك بشدة على ملامحها و حديثها ثم قالت : سمعت أنك محامية ناجحة، لا تأخذين قضية إلا و نجاحها بين يديك، اسمك معروف لدى الجميع و...و أنا أيضا

لدي شخص... إنه زوجي، أريدك أن تدافعي عن حرّيته من فضلك، لقد أمضى أكثر من عشرين سنة في السجن، لقد تحملت بعده عني طوال هذه المدة، و لم أعد أستطيع التحمل، أنا أموت شيئاً فشيئاً! سأدفع لك الثمن الذي تطلبينه، سأعمل لديك طوال حياتي إن لزم الأمر، فقط دافعي عنه بكل ما تملكين من جهد!

بسمه : حسنا ارتاحي أولا و أخبريني ما هي قضيتته و من يكون، ما اسمه ؟!

سعادة : اسمه فخر الدين، إنه المذنب في قضية الآباء، لكن أرجوك...

تفاجأت بشدة من هويته و قالت منتفضة : ماذا تقولين، هل أنت زوجة فخر الدين، القاتل المتسلسل، قاتل الآباء؟! هل تريدان أن أدافع على مجرم، أن ابرئ قاتلا لا رحمة في قلبه،...

قاطعتها صارخة و دموع تملأ وجهها : أرجوك، لا تقولي هكذا، إنه مريض، إنه زوجي، إنه يجنبي،...

صرخت في وجهها : أي حب، هل تدرين كم شخصا قتله زوجك، إنه مجرم عديم الرحمة، هل تعلمين كم عائلة دمرها، كم طفلا جعله يتيما، لقد حطم قلوب الناس، لقد تمنيت وقتها لو كنت القاضي و أحكم عليه بالموت، و تريدان الآن أن أبرئه ! أنت مجنونة فعلا !

انتفضت سعادة و أظهرت حقيقة نواياها فصرخت في وجه المحامية و قالت :

ستدافعين عنه، لا أستطيع العيش بدونه، ستحررينه رغما عنك !

هنا ازداد غضبها و أمسكت بذراع سعادة و ألقت بها أرضا بعد أن قالت : لم أر في حياتي شخصا مثلك، اغربي عن وجهي و غادري بيتي، لا أريد رؤيتك بعد الآن !

قالت ذلك ثم غادرت إلى غرفتها بينما شعرت سعادة بإهانة كبيرة و هي ملقاة على الأرض، اشتعلت نيران الغضب في عينيها فحملت نفسها و غادرت البيت، و التقت بسعد أخ المحامية قادمًا إلى الداخل فبقيت تنظر إليه بثبات ثم غادرت دون أن ترد عليه التحية التي قدمها إليها.

صعد إلى غرفته و التقى بأخته فقالت له : هل رأيت حقيقة المساعدة التي قدمت إلينا، إنها مجنونة فعلا !

استغرب من كلامها فقال : ماذا ؟ هل أنت متأكدة ! أنا أجد أنها لطيفة ! حبوبة، ماذا حصل معها ؟

حكى له كل ما جرى قبل لحظات من قدومه فغير وجهة نظره سريعًا و غير الموضوع سائلًا إياها عن قضيتها الناجمة.

مرتدية فستانًا قصير و بشعرها الذهبي المموج، أخذت عهد من حزن والدتها متكئة لها بينما لم تداعب شعرها كما تعتقد... بل كانت تراقب مراد الذي يتقد نارًا و هو ينظر عبر الشرفة... فقالت عهد : لا أعلم ما الذي يصيبه !؟ لقد تغير حاله جدا ! هل لك بسؤاله مجددًا !؟

مهجة : لقد سألته مرارًا، لكنه لا يريد حتى النظر في وجهي، سأذهب إليه مرة أخرى لقد سممت !

تركت جسد ابنتها و توجهت إلى مراد حيث تقدمت بخطى واثقة و نظر ثاقب و قالت له : ما بك يا ابني ؟! ماذا حل بك هذه الفترة، أنت لست الشخص الذي عهدته، هناك شيء ما حل بك، أخبرني !

التفت مراد إليها و عهد تنظر من خلالها فقال لها : و ما بالك أنت ؟ من أنت لتسألني عن حالي و تهمني بي ، من أنت ليهمك أمري ، أبعدي نفسك عن حياتي ! استغربت بشدة من كلامه فأعقبت : هل جنت أم ماذا ، كيف لا أتدخل ؟ أنا والدتك ، أتفهم ! لماذا تتجاهلني كل هذا الوقت ، لقد تعبت من تصرفاتك ، لماذا تفعل هذا ؟

هنا اقتربت عهد حين اشتد الحديث ؛

قال مستهزئاً : ماذا !؟ والدتي ! أنت لست والدتي و لن تكوني أبدا ، فهمت ! لست أمي و لست ابنك .

صرخت عهد في وجهه محاولة نبيه عن قوله بينما انصدمت مهجة من الحقيقة التي خشيت دوما أن تكشف عنها الأيام : ما الذي تقوله يا مراد ، هل فقدت عقلك أم ماذا ! لماذا تهذي ، إنها أمنا ، تحدث باحترام أرجوك !

ضحك مراد بشكل جنوني ثم قال : احترام ! انظري يا مهجة ، بيننا الأيام و لن أتراجع أبدا... ثم غادر الغرفة مسرعا و البيت أيضاً .

لاحظت عهد شدة الصدمة على مهجة التي حاولت كتمانها بدون جدوى فقالت لها : لا تقلقي يا أمي أرجوك ، إنه متوتر جدا هذه الفترة !

انتفضت في وجهها و قالت : لا يمكنه أن يحدثني بهذا الشكل مهما كانت حالته ، أنتظر تفسيراً قويا منه ، لن أسمح بهذا الفعل أبدا !

قالت عهد محاولة تهدئتها : لقد لاحظت قلقه منذ فترة ، إنه على هذا الحال منذ زواج غرام !

اتسعت عينها عند سماع ذلك و قالت : ماذا ؟! هل هو على علاقة بها أم ماذا !
عهد : لا أبدا، إنهم مجرد أصدقاء، لقد قلت ذلك لأحدد لك الفترة بالضبط، من
الممكن أن يكون الأمر على علاقة بعمله !
مهجة : حسنا، لا يهمني هذا الآن، الحقي به و اعرفني لي مالذي حل به !

حل الليل على بلدنا و اختارت بسمة أن تذهب إلى فراشها بعد أن أخذت حمامها
و كأس الشوكولا الساخن و هي ترتدي منشفتها، و ما إن وضعت رأسها حتى
سمعت صراخا أسفل البيت، صراخ سيدة أربعينية، صراخ صوت سبق أن سمعته،
صراخ المساعدة التي طردتها يومها و هي تنادي الآن باسمها.

انتفضت من مكانها و أسرعت الخطى عاتية الشعر حافية القدمين لتفاجئ بهول
المنظر أمامها ؛

كانت سعادة من تصرخ منادية باسم المحامية بينما كانت تحمل بيدها ولاعة و سعد
مكبل الأيدي و مبلل الجسد.

بسمة : ما الذي تفعلينه في بيتي مجددا، ماذا فعلت بأخي !؟

سعادة : لقد رجوتك، رغبتك، رميتني أرضا ! الآن أنا من بيدي كل شيء !

لاحظت بسمة الولاة في يدها و اشتمت رائحة البنزين التي تحيط بأخيها فقالت :
سعادة ! مالذي تنوين فعله ؟

سعادة : لم ترحمي قلبي و لا رغبتى بينما كان الأمر هينا عليك، ستقولين أنه مريض نفسي و بذلك ستحررينه، لكن لا، لم تريدي، إذا ستفقدين أخاك، سيموت هنا حرقاً أمامك، لن أرحمه، أنت السبب في الذي يحصل الآن !

صرخت بسمة في وجهها و قالت : أنت مجنونة فعلا مثل زوجك، مجرمة مثله، مالذي يفرق بينك و بينه الآن، تريدين قتل أخي لتفرجي عن قاتل متسلسل، إنك تهدين يا سعادة، ستدخلين السجن بفعلتك هذه !

سعادة : لن أدخل السجن، أنت من سيحرر زوجي أو سأقتل أخاك الآن أمامك !
قالت ذلك ثم أشعلت عود الكبريت بينما كان سعد يتلوى مكانه و هو مغلق الفم.
أحست بسمة بحقيقة نوايا سعادة و حاولت تهدئتها قائلة : حسنا، أريد فقط أن أسمع صوته، أرجوك، أزيل ذلك عن وجهه !

بقيت تنظر إليها في ثبات و هي تحمل الولاة بين يديها قائلة : إياك و الاقتراب، حركة واحدة و أحرقه فوراً ! إياك !

بسمة : حسنا أنا مكاني، لن أفعل شيئاً !

اقتربت سعادة من سعد و أزال الغطاء عن فمه ليطلق صرخة مدوية قائلاً :
أختي، أرجوك، انقذيني، لا تسمح لي لها بفعل ذلك، إنها مجنونة...

سعادة : اصمت أنت، و اسمعيني جيداً، ليس لدي اليوم الليل بأكمله، إما أن تحرري زوجي في أقرب وقت أو أقتل أخاك اليوم أمامك !

بين صراخ سعد قالت بسمة بهدوء : ما تفعلينه جريمة يا سعادة و ستعاقبين عليها، سأحرر زوجك لكن اعلمي أن الذي فعلته الآن خطيئة كبرى، لن تُغفر لك !

سعادة : كلام فارغ، حسنا أريد أن يكون زوجي أمامي في غضون أيام قليلة !
بسمة : أجل، لقد وعدتك، الآن حرري أخي !
ضحكت سعادة قائلة : لم أعتقد أنك بهذا الغباء ! لن أسلمه لك إلى أن تحرري
زوجي سيبقى هذا الشاب الوسيم معي، هيا انهض !

الفصل ٦ :

سعادة : " سأتركك تبحث عنها، أريد أن أرى النار التي ستحرقها وتشفي غليلنا و
من تم نعود إلينا يا حبيبي."

مر شهر العسل بين الأجواء الباردة التي تطبع التايلاند و مياهها الزرقاء الناعمة،
استمعت غرام و زوجها لقضاء شهرهما الذي مر سريعا و الذي انتهى البارحة و ترك

الاثنين على مقعديهما وسط الطائرة العائدة إلى المغرب... ليصلا الآن إلى بيت العائلة
و تستقبلهم عائشة لوحدها في غياب معتر بسبب عمله و عائلة غرام التي لم تعلم
موعد عودتهما و الذي آثرا أن يكون مفاجئة لهم.

عائشة متفاجئة من دخولهما البيت معا : ها، هل عدتم، مرحبا !

تقدم خليل و يد غرام ممسكة بذراعيه فقال : أجل، لقد مر الشهر أليس كذلك !
ألم تشتاقي لنا !

اقتربت منه و عانقته قائلة : و كيف لا أشتاق إليك و أنا أنتظر بشوق عودتك !

بقيت تنظر إليها غرام في صمت متهم و هي مرتدية فستان حريري أصفر تايلندي
الطراز و مصففة شعرها على شكل موج طويل... انتهت لنظراتها الغريبة و ألق
التحية عليها و عانقتها ثم قالت : اسمعا، لقد جهزت الحلوى مسبقا منتظرة الأخبار
الجميلة، هيا بشروني !

قالت غرام : لا أرى الآن خيرا جميلا غير عودتنا سالمين من...

قاطعتها عائشة قائلة : خليل فهم قصدي! هيا أخبرني، متى سترزقون بالطفل !

استغربت غرام من كلامها بينما بقي خليل جامدا أمامها فقالت عائشة مجددا منادية
الاثنين : أظن أنني قلت شيئا الآن ! أين دماغكم !؟

استطردت غرام بهدوء : عن أي طفل تتحدثين يا " خالتي " !

ضحكت عائشة و قالت : أنت تمزحين ! أليس كذلك !

غرام : لا أظن أنني في مزاج يسمح لي بالمزاح، أنت تقولين الطفل و أنا لا أفهم
قصدا، أين المزاح هنا !

عائشة : أأست ءاملا !؟

ضءكء ءرام من ءون أن ءنءبه لنبرة صوت ءماتها فقالت : لقد كنت في شهر
عسل يا ءالءي؁ و ليس شهر ءءصيب !

عائشة : ماءا ءقول في هذا يا ءليل ؟

أءابها ابنها : للأسف يا أمي؁ ليس بعء؁ لا ءبر سار لك اليوم.

ءفأءاء ءرام من ءوابه فقالت معقبة : هل لهذا ءزوجء بي؁ كنت ءنءظر مني
ءفلا لءسعد أمك به !

لم يرء عليها فقالت عائشة : و لماذا ءزوجء إءاء؁ لءءربعي على عرس عائءي أم ماءا !
لقد زوجءك ابني ليلء لي ءفيءا يأءء اسم العائلة فقط ! أريءه بسرعة؁ لقد انءظرت
مءولا ليصل هذا اليوم و ءءبروني الآن أنكم لم ءفعلوا شيئاء؁ لا ءءيعة لءهابكم؁ لا
ءءيعة ءرءي من زواءكم؁ لماذا فعلء أنا هذا !؟

ءظاهرت ءرام بعءم الاكءراء و قالت مءاءرة الاءنين : ءالءي؁ أنا مرهقة من
السفر؁ سأصعد لأرءاء قليلا أرجوك؁ و ارءاءي أنت أيضاً؁ ييءو لي أنك مرهقة؁
فلءأءءي كأسا مءءنا !

بقيء ءنظر إليها عائشة في ءيظ واضح و اءءهء بنظرها إلى ابنها مءءة إياه ؛

- انظر إلي؁ أنا لم أزوءك ءبا في ذلك؁ أنءظر ءفيءا في أسرع وقت و لن
أءفر لكم انءظاري هذا !

باريس؁ مسءشفى المءيئة

بعد أول عملية مطولة يحضرها مراد و التي تخص مريضة مشلولة الأطراف و التي
تكللت بالنجاح لتوها...خرج الآن من غرفة العمليات و لم يأبه لابنة المريضة التي
كانت تنتظر خبرا عن والدتها على أحر من الجمر و لم يهنأ لها بال إلى أن خرج
الطبيب المشرف عن العملية و أخبرها بالنجاح التام الذي انتظره الفريق الطبي منذ
سنوات من علاجها.

التحق مراد بغرفته الخاصة ليغير ملابسه من أجل مغادرة المستشفى لتدخل عهد
إليه مفاجئة إياه.

عهد : ها تنوي الهرب مجددا ! أمسكتك هذه المرة.

قال : و لماذا أهرب، هل أنا من قتل الملك أم ماذا ؟

عهد : آه يا أخي، لقد مر شهر عن غيابك عني، و لم تسأل عني و لا عن والدتك
ولا مرة، ماذا دهاك، ماذا أصابك لتغير حالك هكذا و تتبعد عنا !

مراد : أولا، أنا لست أخاك، ثانيا تلك لست أمي، ثالثا لا يحق لك زيارتي في مقر
عملي، لقد تم طردك مرارا، ألا تفهمين !؟

عهد : لقد تركت البيت و تركتنا في حال سيء، هل تدري حجم صدمة أمي بكلامك
ذلك !؟ و لا تزال تقول أنها ليست أمك.

مراد : أتدريين الشيء الوحيد الجميل في هذه القصة، أنك لست أختي و أنا أقدر
فعلا جمالك يا حبيبتني !

انفعلت من كلامه حتى كادت تصفعه ثم قالت بغضب : نحن إخوة، هل تدري حجم
كلامك، لقد كبرنا معا، هل نسيت كل الذي عشناه، كل ما مررنا به و نحن

سعداء معا، و تقول لي الآن أنك لست أخي، كيف تجرؤ على التفوه بهذا، فعلا إنه عار عليك !

مراد : اسمعي يا حبيبتي، أنا لست ابن تلك السيدة، ربما تبنتني، خطفتني أم عثرت علي قرب حاوية قمامة، المهم أنها ليست أُمي و لا صلة لي بها، و نحن لسنا إخوة، و من الممكن أن لا تكون والدتك أنت أيضا، أمر بديهي.

قهقهه من الضحك و هو يخبرها بذلك بينما جن جنونها و هي تسمع كلامه اللاذع ثم استطرد كلامه : أنصحك بالبحث عن والدك الحقيقي كما سأفعل أنا أيضا، سأبحث عن عائلتي، يجب أن نتحد معا، مجموعة البحث عن العائلة، هذا لائق أليس كذلك !

عهد : أنت لست مراد الذي أعرف، فعلا ندمت لأتني قدمت ! أسفي عليك.

مراد : إذا، لا تأتي مرة أخرى، أو بالأحرى يمكنك أن تأتي بصفة أخرى !

تركت الغرفة و غادرته.

مراد : لن أغفر لك أبدا، سأجد عائلتي، سأجد والداي و أدمر حياتك كما دمرتني، لن أرحم أحدا.

بلباس أسود تقدم فخر الدين و على أذنيه يتردد صدى كلمات الحارس و هو يخبره أن محكمته ستقام بعد شهر، بعد شهر من معرفة حقيقة سعادة و مهجة، بعد شهر من انتظاره الانتقام من عدوته... و ها هو الآن يتقدم بخطوات ثابتة داخل قاعة المحكمة و هو يخبر نفسه لعله يستطيع تهديتها : عن أية محاكمة يتحدثون، ما شأني

من هذا، أأست مأكوما بالمؤبد، أألس أمر حرأأ مأفروغ منه، مالمذأ حصل الآن، مالمذأ أغير، من سأأرافع عن حرأأأ، من أكون مأأمأ ؟!...

أوالأ الأسلأة على دماغه و كأف لا و قد أأس من أمره أوم دأوله السأن و المأم علىه بالمؤبد، كان ذلك أكبر عقاب له بأأأ أأنى أن أكون الموأ أأكأأر عن أأأأأه، لكن الزمن أأهر له أن المسأر أطوألا أمامه لأكفر عنها، ما عاشه داخل السأن لم أأفأ أأأأ، أأة مأهأة لم أأفأ أأأأ النار بدأأله أأه أأأأأه، هو الآن لس مرأأأا، هو داخل دوامة أطرق، أأن الأأأر عن ذنوبه و ارأأاب أأرأ فأ سبأل الأأأأام من الأأ ظلأته، العوأة إلى المأأأ الأأسوأ الذأ أأسبب بأأأأأه، و أأن أبه الضأع...كل هذا أأأأل الآن مع إمكانأة أأرأره أو لا، أأرأر أأأل الآباء، القنبلة الأأ سأأمر عأأأل الضأأأا عند أأأأهم الأأر، القنبلة الأأ أأملها الآن بسمة و الأأ أعرأ إأأأ بسرعة من موأع أأوسها قرب مكان المأهم و بدأها السوواء المزأنة بالأأأر...ظل أأظر فأ و أأها و كأنه أأأمس النأة أأن أأأأها، النأة من العقاب الذأ لم أأرده و الفوز بالعقاب الذأ أأن أنه أأسأأه.

بأأأ الأأسة و فأأ المأف بعنوان كأر : "أأأأة الآباء" 97*، بعدها أأ اسأأأأ المأأمأة لأأأم مرأأأها، و كان الأمر بدأأأأ فأ مثل هذه القأأأأ الأأ مر علىها الزمن ألا أأأ و أأأ أطوألا، بأأم الأأم، لكن لس هذا ما أأسرأ فأ أأ القأأأأ بأأم الأأة و الأأأأ فأ الأأأأ و أأهور أأأة أأأأة...و هذا ما أطع قأأأة الأوم ؛ بسمة : سأأأ القأأأ، أأأل أمامكم الأوم موكأأ فأر الأأن و المأهم الوأأ فأ قأأأة أأل الآباء و المأكوم بالمؤبد منذ أأس و عأشأأن سنة، سنوأ مرأ علىه

داخل زنزانه و هو لا يؤذي شخصا أو يشعل فتنة، أجل إنه قاتل، و قضية مرافعتي اليوم لصالحه أمر غريب و صادم للمجتمع، المجتمع الذي يجهل ماهيته و داخله، هناك يكمن شخص بريء تعرض لظلم قاس جعل منه وحشا، لكن لا يمكننا نكران مرضه النفسي الذي ثبت منذ اعتقاله، الحدث الذي تسبب به عمه بعد فقدان والديه...

و بينما تلقي كلماتها التي يتردد صداها على مسامعه، كانت سعادة أيضاً تقبع خارج المحكمة قرب البوابة الكبيرة و هي مختبئة بعدما أدخلتها بسمة، لأن الجلسة كانت سرية بأمر من القاضي و طلب المحامية، نظرا لوقعها القوي على المجتمع.

بسمة : سيدي القاضي، السادة المستشارين، السيد المدعي العام، الذي يمثل أمامكم اليوم شخص ضعيف، لا حيلة له، قضى فعلا عمرا من حياته عقابا على جرائمه، مريض نفسي معاقب بالسجن عوض علاجه، كيف لم يطبق القانون هكذا عليه، أ لأنه قاتل، يجب أن يعالج ! أولا، ليعود إلى وعيه و من تم نعاقه، لديكم مسبقا الدلائل و الخبرة الطبية أن موكلي مصاب بمرض عقلي لم يتم علاجه لحد الآن، و أنا ألتمس من المحكمة الحكم بحرية موكلي و لكم واسع النظر، شكرا !

كانت بسمة تنطق بكل كلمة و كأنها تحرق شفيتها، كل ما قالته كان غصة على قلبها و ثقلا عليها، و ما عساها تفعله، إنها مجبرة، مجبرة أن تخلي سبيل مجرم مقابل حياة أخيها، هل فعلا هكذا هي الحياة، هل لإنقاذ حياة يجب التضحية بحياة أخرى ؟

" بعد المداولة "

النطق بالحكم.

- بعد أن استمعنا لمرافعة الدفاع و تدخل الادعاء، و بعد معاينة الدلائل التي قدمت للمحكمة، نقرر ما يلي ؛

بدأ قلبه يخفق بقوة، و أطرافه ترتجف خوفا، إنه على مقربة من مغادرة قبر حياته، إنه على وشك ملاقة حبيبته و الانتقام من عدوته، هل ستتحقق رغبته أخيرا؟! -" بعد النظر إلى الدلائل تبين أن المتهم مصاب بمرض عقلي، مما يستدعي علاجه لا سجنه و منه فسيودع المتهم مستشفى الأمراض النفسية قصد العلاج، رفعت الجلسة."

وقف الجميع عند النطق بالحكم و عند انتهائه بقي فخر الدين جاثما مصدوما من قرار حريته، لقد مر الأمر سريعا أمامه، غير أن مرور بسمه بجانبه كان مختلفا، بقيت تنظر إليه ببرود جعلها تصم من سماع شكره و مديحه لها...كان دماغها يعصف بالأفكار و توالي الأحداث و من شدة ذلك ظهر عليها التأثر عند النطق بالحكم_لقد حررت مجرما_بينما فرحت سعادة جدا بعدما تعقبت كل مراحل الجلسة. سعادة : ها نحن ذا، اقتربنا ! ستصبح بين يدي.

" عند بوابة السجن "

فُتِحَ الباب على مصراعيه ليسمح بخروج قاتل الآباء منذ خمس و عشرين سنة من سجنه، إنه الآن حر أمام حياته، حرته التي انتظرها منذ اعتقاله، حرته على يد من خان حبا له، على يد حبيبة قلبه التي قتل والديها بدم بارد، ها هي الآن تنظر إليه و تحقق رغبة قلبها، رغم أنها لم تواجهه كما أرادت لأن الظروف تغيرت، قبل الآن و قبل كل تلك المدة، كانت تود قتله و قتل نفسها لأن لا شيء مهمما يبقيا على قيد الحياة بعد خيانتته و خيانة قلبها أما الآن فهناك شيء قوي يجعلها تستمر في الحياة، هو ابنها، و حرقه قلبها بعد ضياعه منها بسبب خليفة و خطيئته، بل خطيئتهما معا، الانتقام منه و استعادة ابنها هو سر قوي لتوهج النار في قلبها لحد الآن.

خرج فخر الدين حاملا حقيبته الصغيرة من الملابس التي أهديت له من قبل بعض السجناء و الذي ربطتهم به صداقات متينة بعدما عرفوا جوهره الحقيقي، لأن لعنة الآباء و رؤية سعادة أبنائهم فارقتهم داخل السجن، و تغيرت حياته و قلبه لمسار آخر...و هو الآن يسلم نفسه للحياة من جديد و يتقدم بخطوات راسخة متنفسا عقبها و ريحها الباردة، قرر أن يسترجع كل ما كان له، بعيدا عن اللعنة، في دماغه شيء واحد فقط، أن يكون بين أيدي سعادة، لكن هو الآخر لديه شيء أعاق رغبته، هو الانتقام و شفاء غليله من مهجة و خطاياها التي ارتكبتها في حقه.

فخر الدين : أنا عائد يا حبيبي، فقط من أجلك، سأسلم نفسي بين يديك لأرتاح من خطيئتي، أريد أن أريحك أيضاً من عذابك، أريد أن أعرف ما الذي حل بك و ماذا عشت بعدي، كيف أصبحت، هل تغيرت ملامحك، هل ازداد جمالك، هل

ازداد كرهك لي و رغبتك في...لقد دمرت رغبتني فيك، دمرت قلبي، حطمتنا معا،
لن أتركها بخير أبدا، سأجعلها تشرب من كأس المرار الذي أذاقتنا، لقد حرمتنا من
لحظاتنا الخاصة، لن أغفر لها أبدا ! سأبحث عنها و أجدها أينما كانت.

انساق بسرعة تاركا السجن ورائه و سعادة بجانبه دون أن يلحظ وجودها خلف
الحائط أو بسمه التي كانت ورائها.

بسمه : ها هو زوجك الحبيب، ألا تودين معانفته أو تقبيله، لم تقتريني منه حتى، ما
هذا الاشتياق إنه نوع غريب، أهكذا كان الحب و العشق في زمنكم !

سمعتها قادمة من خلفها ثم أجابت : ستجدين أخاك في منزلك، قمت بعملك و
انتهى، لا تتدخلني فيما لا يعينك، هيا ابتعدي عن وجهي !

ضحكت بسمه بتهكم و قالت منصرفه : انتهى !... ثم غادرت المكان و تركت سعادة
لوحدها و هي تنظر إليه ينتعد شيئا فشيئا عنها.

سعادة : انتظرت هذه اللحظة مرارا، و ها أنا أتركك الآن ترحل، يا لهذه الحياة !

خليل : سأذهب الآن يا حبيبتني، لا أقدر على مغادرتك و لا أستطيع ترك العمل !

ضحكت غرام قائلة : و هل تستطيع ترك العمل من أجلي !

ضحك هو الآخر : بلى، أستطيع الموت من أجلك، أحبك جدا.

غرام : أنا أيضا يا خليلي، هيا اذهب الآن قبل أن تتأخر.

خليل : لن يجلو لي الليل من دونك.

غرام : أنا أيضا، سأحاول النوم أو مشاهدة فيلم طويل لعله يغالبني.

خليل : حسنا، افعلي ذلك و أنا سأرسل لك صورة كل دقيقة !

غرام : أجل، لكن لا ترسل لي صور الاقدام المبتورة أو دماء الحوامل أرجوك !
ضحك بصوت عال ثم قال : لا تقلقي، سأرسل لك فقط صور الأطفال الخدج التي
تخبين،...اووه لقد تأخرت فعلا.

قال ذلك بعدما نظر إلى الساعة بين يديه ثم قبلها فغادر.

غرام : اذهب قبل أن أغرس سكيننا في عينك !

لم تغير ثيابها منذ عودتها لأنها أحببت الفستان التيلاندي و لونه الأصفر الفاقع على
جسدها، ذهبت إلى الشرفة ممسكة فنجان القهوة و على نيتها أن تفكر في كلام
عائشة الذي لم يغادر دماغها و التي قدمت إليها الآن.

عائشة : أراك مرتاحة البال !

غرام : آه خالتي الحبيبة، قدمت لتطمئني علي و أرى أنك في حاجة أكثر للعناية،
هل أجهز لك كأس ينسون، إنك متوترة الأعصاب اليوم.

عائشة : اسمعي، لا وقت لدي لتفاهتك، صباحا كان خليل بجانبك، لكن الآن ليس
هناك أحد، أرى أنك صدقت فعلا أنك متزوجة عن حب، لقد زوجتك ابني فقط
من أجل الطفل، و من غير ذلك لا يمكن أن أربطه بشخص مثلك و بحقارتك، لقد
أغشيت قلبه و لم أستطع التحكم به، لذلك يجب أن أستحق شيئا مقابل ذلك !
ستلدين الطفل بعد تسعة أشهر من الآن !

غرام : و من أخبرك أن هدفي في الحياة إنجاب طفل لابنك ! هذا يحدث فقط في خيالك، أنا لن ألد هذا الطفل الذي يشغل بالك، و لن تري حفيدا في حياتك، أنسمعين، لن نتحقق رغبتك !

قالت عائشة بتحد : و ما الذي لا يجعلك تفعلين ذلك !؟

غرام : ببساطة لأنني مغنية مشهورة و لا أريد أن تتعكر مسيرتي برغبات مهووسة من حماتي، و هل تعلمين شيئا، أفعل هذا ضدا فيك لأنك هددتني و استغللتني... عائشة : ضدا في...حسنا سنرى الآن من يتحكم بالآخر.

خرجت من الغرفة غاضبة بينما بقيت غرام تقهقه فيها إلى أن صفت الباب بقوة و أغلقته بإحكام عليها لتصرخ فيها :

- مالذي تفعلينه، هل جننت، افتحي الباب بسرعة، هيا، من تظنين نفسك لتجسيني هنا !

- أنا حماتك و ستظلين هنا إلى أن تقتنعي أن لا سبيل لك سوى الإنجاب !

- هل تتحديني الآن، لقد أخطأت في فعلتك هذه، افتحي الباب...!

الفصل ٧ :

" لم يكن يجب علي فعل هذا، لكن الخطيئة لم تتركني أنا أيضا! "

اشتدت نيران الغضب داخل قلب جلييلة، قلب الأم خوفا على ابنتها، تهولا عليها من غيابها منذ أسبوع كامل، لا أحد يعلم الحقيقة، لا علم لهم بما فعلته بها عائشة، لا والدها الذي حضر الآن برفقة جلييلة إلى منزل العميد و لا العميد بنفسه و لا زوجها المصون.

جلىلة : اءبرءكم أين ابءى ؟ إنها المرءة الألف الءى أسأل فىها ؟! ماذا ءصل و ماذا فعلءم بها، أين هى الآن ؟

أءابء عائشة و هى ءصرء : ماذا سنفعل باءءءك، لقد ءانء ءعش فى هناء ءام، مالذى سىءصل لها فى بءء زوءها !

جلىلة : أنا على يقىن أن شىءاً ما ءصل لها هنا، لم أرءء لزوءها أبءا و لا لوءوءها بىءكم، إن لم ءءبربى الآن...

ءاطعها ءلىل الذى ءان بىسء هاءفه ببعء الاءصال بها مرارا إلى أن ءصفء صءفة صفءها على الانسءءرام و انءبه لءفعىلها ءاصبة اللابف.

قال بءضب : ءمهلوا ءمبعا، ءرام على اللابف !

أسءء جلىلة الهاءف من بىن بءبب بسرة و شاهءء اللابف الذى بظهر ءرام فى ءالة شاءبة و ءزبنة و هى ءرءبى فسءان أسوء ءصبر و شعرها البى الطوبىل على أءءافها.

ءرام : " أءرف أنى ءبء عنكم منذ فءرة، لم بىءن الأمر هبنا على، لقد مرءء بظروف صعبة ءءا، و لم أءءمل ءءان الأمر عن أءء، لذلك ءرءء الءبءب البوم، أبى الءببب زوءبى رءما عنى باءن رببسه لبسمء له أن بعود إلى عملء، و ربببب ولبى العمبء معءز اشءرء على أبى أن بزوجبى باءنه لبءعله بعود إلى عمل ءاءل المبءان رءم ءالءه الصءببة...

كان مراد يقبع في غرفته في المستشفى بعد انتهائه من عملياته و عهد بجانبه بعدما ناداها ليأخذ منها تحليل دم تجهل للآن سببه، وافقت فقط لأنها وجدته سببا لتكون بقربه من جديد، و بينما يأخذ دمها كانت هي تطالع صفحات الانستغرام لتتجاسى نظراته، بعد خصامهما الأخير، إلى أن تفاجأت بالإشعار الذي يحمل عنوان اللايف الخاص بغرام فصرخت و هي تقول : انظر، إنها غرام، إنها على اللايف !
كلامها أيقظه من حالة الشرود التي كان فيها و هو يضع الدم في القارورة الخاصة بها ثم التفت إليها و اطلع على اللايف هو الآخر.

غرام : وافقت رغبة أبي رغما عني، أجل، لأنه أبي، لم يكن باستطاعتي مواجهته خاصة بعد العنف الذي واجهته منه، لقد اهتزت حياتي وقتها، تزوجت و واجهت مصيرا آخر مع عائلة زوجي، حماي عائشة، أجبرتني بقوتها و أرغمتني على أن انجب طفلا لابنها لدرجة أنها حبستني لأعدل عن رفضي، نجوت من سجنني، و لحد الآن لا أعلم السبب الحقيقي وراء ما فعلته قبل يوم،...

اتجه الكل بنظره إلى عائشة بينما سقط الهاتف من يدي جليلة من شدة صدمتها على وقع اللايف و التعليقات الموسمية للمتابعين و القلوب المتعددة على الشاشة... اقتربت جليلة من عائشة و الغضب يعصر قلبها إلى أن أوقفها صوت ابنتها.

غرام : **لقد استأصلت رحمي**، أجل، كان علي فعل ذلك، لأنني هاته الدوامة التي أدخلني فيها أبي، قمت بذلك رغما عني، لقد أكل الحزن قلبي لدرجة أعجمت فيها، لن

أصبح أماً بعد الآن، لقد انتهت حياتي، لا عائلة لدي، أريدك فقط أنت، أمي،
أشتاق إليك بشدة..."

قالت كلماتها وهي تتفحص بطنها الذي لن يمتلئ يوماً بينما كان وقع الخبر قاسياً على
والدتها، على باقي العائلة و مراد أيضاً.

جليلة : أنت السبب فيما حصل لابنتي،...لقد دمرت حياة ابنتي، من أنت لتفعلي بها
هذا !

صرخت في وجهها ثم ارتمت على جسدها و انهالت عليها بالضرب و هي تجر
شعرها...و لم تستطع عائشة الإفلات من يدها إلا بتدخل خليفة الذي أمسك
زوجته بالقوة ليعدها عنها، فصرخت في وجهه هو الآخر :

- أبعد يدك عني، أنت من تسبب بكل شيء، لقد دمرت حياة ابنتي و لن
أغفر لشخص منكم...

تركت المنزل مسرعة لتلحق بابنتها و كأنها كانت على مقربة من الباب بينما لبث خليفة
داخل المنزل ينظر إليها و هي تتبعد، و في نفس الوقت كان معتر ينظر إلى زوجته
بازدراء و خليل مصدوم مما فعلته والدته بزوجته.

صرخ معتر في وجه خليفة بينما كان ينظر إلى عائشة :

- ابنتك حطمت شرف عائلتي أمام العالم، لقد فضحت أسرارنا أمام الكل، لم
يبق شيء إلا و أفشته، لذا لم يعد هنالك شيء يجمع بين عائلتنا، لا أريد

رؤية احد منكم في حياتي، لا شيء،...خليفة أريدك أن تترك بيتي الآن و لا
أريد رؤيتك مجددا !

بقي ينظر إليه و هو ينصت بشدة إلى القرار الذي لم يكن له في الحسبان، لقد
تبعثرت حياته أمام عينيه دون أن يتدخل و لا أن ينطق بكلمة...و لم يكن له إلا أن
يغادر المنزل بكل هدوء مطأطأ الرأس ليلحق بزوجته.

قال معتر بهدوء يظهر شدة صدمته :

-أرأيت ماذا تسببت به، لقد شوهدت سمعنا، لم يبق لنا شيء بسبب أنايتك
الفارغة، ما فعلته الآن هدد حياتنا و من اليوم نحن لسنا عائلة، لقد دمرت كل
شيء و ماذا جنيت الآن، لننظر إلى ما سيحصل...

صرخ خليل في وجهها قائلاً : كيف تجرأت على فعل ذلك يا أمي، لا يحق لك
التدخل في قرارات أحد، كيف سمحت لك نفسك بتعذيب زوجتي،...

قاطعتها صارخة : لقد فعلت كل شيء من أجل عائلتي، من أجلك أنت خليل،
أردت أن أضمن لك الطفل الذي سيحمل اسمك، لم أكن أحب اختيارك لتلك
الفتاة، لكن قبلت بذلك من أجلك لأنك تحبها، و هل ترى الآن، لم تكثرت لأي
أحد و لك أنت أيضا،...

خليل : لقد قامت بذلك بسببك، و الآن سأذهب لأسترجع زوجتي !

معتر : ماذا قلت !؟...لن تدخل تلك الفتاة بيتي مجددا، و لن يطول الأمر لأرى
ورقة طلاقكما، لن تسترجعها أبدا.

خليل : سأسترجعها يا أبي، و مالذي سيمينني من ذلك، أنا أحب زوجتي و لن أطلقها أبدا مهما كان الثمن، و لو كان ذلك سيكلفني ترككما و ترك هذا البيت، لا يهمني شيء، غرام لي و سأسترجعها الآن.

ترك البيت إلى شقته الخاصة ليأخذ جوازه و تأشيرته ليسافر إلى باريس ليلحق بها...بعدها تحقق من تواجدها هناك على اللايف الذي أظهر جزءا من شقتها التي اكترتها قبلا و ظهر نفس الديكور في جل لايفاتها.

" باريس "

كانت مهجة على موعد صباح اليوم مع تحضيرات حفلها الموسيقي و بعد انتهائها دلفت إلى خارج المسرح و هي في كامل أناقتها و سعادتها.
مهجة : أظن أن المخرج سيكون مسرورا بتطبيق الفكرة الجديدة التي أخبرتك بها.
المدير التنفيذي : بالطبع، و هل يأبى أن يعمل بقراراتك، إنه معجب بك !

مهجة : لا تتغابي، إنه ليس نوعي المفضل !

ضحك الاثنان و فاجأه اتصال على هاتفه ثم غادرها و اتجهت بعده إلى الشارع لتأخذ نفسا جديدا، بينما كان هو يتقدم ببطء نحوها مرتديا بنطالا أسود و سترة خضراء تعطي انطباعا قاسيا على مظهره...

بعد الهنيهة التي استرخت فيها قليلا عادت مهجة إلى بوابة المسرح و تفاجأت بتواجده هناك، صُعبت عندما رآته أمامها يقف بشموخه و نظرتة الحادة التي كانت

اشتاقت إليها و كانت تلعب بأعضائها، لم تتغير نظرتة رغم سنوات سجنه، ذهبت
ملاحح الشاب الوسيم و بقيت فقط الخطايا.

تقدم فخر الدين نحوها بينما عادت خطوة إلى الوراء من شدة خوفها ثم قال :

- أ لم تشتاقي إلي، لم لا أر نظرة الحب في عينك، ألا تشتاقين لحبيك ! هل
نسيته أم ماذا !؟

قالت و جسدها يرتعش بشدة :

- كيف خرجت من السجن، كيف تحررت !

- لقد تحررت، كما يتحرر الأبرياء !

- اسمع، إن اقتربت خطوة مني، سينال منك حراسي، أترى إنهم هناك على مقربة
منا، إن اقتربت خطوة فقط، سأنادي الجميع و أجعلك تعود من حيث أتيت.

ضحك قائلا : و من قال أنني سأقترب، أعلم أن كلابك يحومون حولك، و أعلم ماذا
تفعلين هنا و أعلم أيضا مقر سكنك و أعلم كم عدد أولادك و أسماءهم، ابنتك عهد
أو توليب المغنية الشهيرة و ابنك الجراح مراد المتعجرف... و أعرف الكثير عنك لا
تقلقي حتى من نقاط ضعفك، لقد تشبعت بأخبارك طوال هاته المدة، لذا لن تفقهي
بانتيامي، سأذهب الآن و أتركك و لنا موعد بعد اليوم، سنلتقي مجددا و يومها أكون
قد طبقت خطوتي الأولى... الوداع.

تركها ترتجف بشدة لدرجة لاحظها الحراس و اقتربوا منها إلى أن أبعدتهم و طمأنتهم
عن حالها.

- لقد وصل إلي، هل ترك السجن فعلا أم هرب منه، إنه يعرف كل شيء،
ماذا سأفعل الآن، هل فعلا علم بالحقيقة كلها!؟...

جن جنونها و هي ترتجف إلى أن أخذت من الأرض متكأ لها و لبثت تفكر فيما
ستفعله، و بعيد عنها تواجدت سعادة قرب برج إيثل و هي تتحرق لما سيفعله بها.

- لقد وجدها أخيرا، سأشاهد مالذي سيفعله بك، ريثما أجد ابني لأنهي
هذا... أين سأبحث عنك، هل من الممكن أن تكون هنا، في هذا البلد،
هل قادني القدر إليك !

عهد : أرأيت يا مراد ماذا عانت غرام ! لقد قاست جدا في زواجها، لماذا فعلوا بها
هذا، يجب أن أذهب إليها الآن، لا يجب تركها وحيدة،...

مراد : أرى جيدا أنها هي من وافقت على ذلك الزواج، أي شخص عاقل يوافق
على زواج مرغم!؟

عهد : و ما أدراك أنت بظروف زواجها و ما أدراك بظروف موافقتها ! ألم ترى حجم
عذابها!؟

مراد : لا أرى شيئا ! إننا في القرن الواحد و العشرين، لا أحد يرغم شخصا على فعل
شيء إلا إن كان هنالك سبب !

عهد : لا أرى سببا لكلامك هذا، و لا أهتم، سأذهب للقاء صديقتي ! و لا تلحق
بي أرجوك.

مرت ساعة على خروج عهد من غرفة مراد داخل المشفى و بذلك انتهت ساعات دوامه على الساعة الثامنة ليلا فغادر المستشفى و عند البوابة الخلفية التي دلف إليها و التي اعتاد الخروج منها لينظر إلى الزهور المتواجدة بمديقتها، كان يلحق به بخطوات صامتة يترص به إلى أن انقض عليه بضربة أفقدته وعيه و من تم أخذ جسده القوي بسرعة و ذهب به بعيدا خفية من ممرات خالية.

وصل بجسده بعدما حمّله على أكتافه إلى منزل مهجور موحد بباب حديدي و دم حام يسيل عليه من أثر الضربة بالعمود الخشبي...فتح الباب و ألقى بجسده بعدما أنهكه حمّله و عندما سقط أرضا ظهر جسد عهد بجانبه فاقدة الوعي هي الأخرى. فخر الدين : الآن سيبدأ كل شيء، سنعيد الحكاية من البداية !

الفصل ٨ :

" لقد زال ألمي عند قدومك "

بعد مغادرتها منزل العميد اتجهت جليلة مباشرة إلى منزلها وقامت بتوضيب أغراضها الضرورية فقط، من لباسها و جوازها و تأشيرة السفر و هي ترتجف من شدة غضبها لتفاجئ بخليفة قادمًا إليها و هو يقول :

- ما الذي فعلته، لقد هاجمت زوجة العميد، أنت و ابنتك تسببتم بطردي،
لقد دمرتم كل شيء، ما الذي سأفعله الآن....

قاطعته صارخة في وجهه :

- أي نوع من الآباء أنت، ألا تملك ذرة حنان في قلبك، أليست لديك ذرة
أبوة تجاه ابنتك، إنها ابنتك، لقد استأصلت رحمها، لقد عانت و هي مسجونة
في بيت زوجها الذي فرضته عليها، ماذا تريد منها أكثر، لقد حطمت تلك
الفتاة، لم تكن لها أبا،...ابتعد عني أرجوك.

اقرب منها أكثر و قال :

- كيف أدمرها و أنا زوجها ابن العميد، إنها ابنتي أفعل بها ما أشاء و لن أتركك
تلحقين بها و تجلبي العار أكثر لعائلي.

- سألحق بابنتي و لن يمنعي أحد، إذا تقدمت خطوة واحدة اتجاهي فسأفضح
عرضك أكثر،...هل تقول أن ابنتنا من جلبت لك الفضيحة، أ و نسيت ما الذي
ارتكبته أنت، إذا اقتربت مني أو من ابنتي سأجعل الجميع يعلم حقيقة اغتصابك
لفرح و قتلها و اغتصابك لسعادة و حملها منك، كل فضائحك ستسمع على صدى
واسع، لقد أخفيت كل هذا طوال تلك السنين فقط من أجل ابنتي، و بقيت
بمنزلك فقط من أجلها، و لولاها لافترقت عنك و فضحت جرائمك، لكن من
حسن حظك لديك فتاة و كتمت سر خوفها عليها من الصدمة و الحزن، خوفا عليها
أن تفقد والدها، لكن والدها الرائع الذي تصورته في مخيلتها دمر كل أحلامها و آمالها
فيه، لذا لا يحق لك أبدا أن تقترب منها، إياك و اللحاق بي !

حملت حقيبتها و غادرت المنزل و الدموع تملؤ عينيها بينما بقي خليفة يفكر في الذي سيفعله بعد طرده من العمل و فضيحتة التي ظهرت على نطاق واسع، دون أن يأبه لما قالت عن فرح، بينما أثارت ذاكرته قصة حمل سعادة بطفله.

باريس الساعة 11:00 صباحا

غرام : ها هو الكل عرف الحقيقة الآن، لكن لا أحد سأل عن حالي، كله وهم، أين أنت يا عهد، صديقة عمري و أختي، لم تكلف نفسها حتى اتصالا واحدا،...مراد، هل نسي كل شيء، هل فقدت حبه لي، هل تركني فعلا...

حين كانت تفكر في خيانتهم لها كانت عهد تسترجع وعيها بعد مرور ليلة كاملة داخل الكوخ، و عندما فتحت عينها وجدت مراد بجانبها جالسا يحاول إيقاظها حتى استرجعت وعيها بالكامل فعاد إلى قرب الباب يصرخ مناديا خاطفه دون أن يعلم من يكون، زادت حدة غضبه و بدأ يركل الباب بيده و قدمه دون أن يستشعر حركة من أي أحد رغم أن فخر الدين كان على مقربة منهم يفكر في خطوته القادمة. عهد : من فعل بنا هذا ! لقد كنت متجهة إلى شقة غرام و تفاجأت بشخص أرغمني على استنشاق مادة مخدرة...

قال مراد بعد أن استسلم من الذي كان يحاول فعله :

- هذا ما حصل معي الآن، ليست مهمة التفاصيل لكن الأهم هو من الذي فعل بنا هذا، من الذي تجرأ و اختطفنا، هل لهذا علاقة بمهجة و قصة

؟! I'ADN

عهد : مراد، أنا خائفة بشدة، أرجوك أبقي بقربك، لا وقت الآن لهلوساتك.
اقترب منها و أمسك بيديها فقال : أنا لا أهلوس، أنا محق في ما قلته لك، تلك ليست والدتي، لقد سبق و قمت بالتحليل في المشفى و أثبت كل ما سبق و سمعته، و لماذا أمزح في موضوع مثل هذا، **مهجة ليست والدتي !** لماذا أحقد على المرأة التي ربنتي وجعلت مني رجلا، لماذا أكرهها و هي أم أجمل فتاة في حياتي، و بذلك سمع فخر الدين الحقيقة التي قلبت مجرى أفكاره، اقنع أن مراد ليس ابن مهجة و بالتالي فحطة اختطاف ابنيها لم تكون بالواقع الذي تصوره في دماغه، و تأكد أنه مجبر على اتخاذ خطوة أخرى للانتقام منها.

قالت عهد بعدما تيقنت أخيرا من صحة كلامه : و ما الذي سنفعله الآن ! هل سنواجهها ؟

مراد : بالتأكيد، هذا الذي كنت أنوي فعله لولا ما حصل اليوم ! سأذهب لأواجهها، سأسألها من أكون، ابن من أكون، لماذا أنا مفترق عن والداي، لماذا ربنتي هي بدل أمي، لماذا أصطدم بالحقيقة بعد مرور كل هذه السنين، لماذا أستحق أن أعيش هكذا !

عهد : سنكون معا وقتها، سنواجهها نحن الاثنين، سأبقى بقربك للأبد !

مراد : لا تقطعي وعدا لست متأكدة من تحقيقه يا حبيبي !

عهد : و من أخبرك أنني لا أستطيع !

قالت ذلك ثم ارتمت في حضنه بينما سمع فخر الدين كل كلامهما و قرر اتخاذ الخطوة التي آثر أن يتركها لوقت لاحق.

باريس، الساعة 7 مساء

أمسكت سعادة هاتفها و هي داخل الشقة التي أكرتها بالمال الذي أقرضته من شافعة و فتحت الملف الذي كان بجوزتها طوال تلك السنين بعدما سلمته لها عند تركها السجن...**الملف الذي يحتوي على فيديو اغتصاب خليفة لسعادة...**و قررت تنفيذ خطتها بعد رؤيتها لخبر فضيحة عائلة العميد معتر و المحقق خليفة. سعادة : هل وصل بك الأمر إلى هذا الحد، لقد فضحت نفسك يا خليفة، انتهت أيامك !

قالت ذلك ثم قامت بالنقر على زي الإرسال للفيديو على صفحة عامة على جل مواقع التواصل.

سعادة : الآن سأسترجع زمام الأمور و ستعود بين يدي.

رنين الجرس على شقة غرام

نهضت من السرير الذي كانت مستلقية عليه و خطت بصعوبة إلى أن وصلت الباب ثم فتحته ظنا منها أنها صديقتها عهد أو مراد لكنها تفاجأت بشكل كبير عندما رأت والدتها أمامها.

جلیلة : ابنتی الحبیبة، لقد جئت إلیک ! ااه کم اشتقت لک.

عانتها بشدة بعدما وضعت حقیبتها جانباً و لم ترغب غرام أن تفلت حزن والدتها.

غرام : لقد احتجت إلیک بشدة، اشتقت لک، لم یبق لی شخص سواک.

جلیلة : لن أترک مرة أخرى، سأظل دوماً بجانبک، أخبریني الآن، هل تتألمین بشدة !

غرام : لقد زال ألمی عند قدومک، لا أشعر بشيء الآن سوى بحبک، أريد أن أظل فی حزنک طوال اللیل.

جلیلة : أنا آسفة یا ابنتی، لم أستطع إيقاف الذی حصل لک، أنا أم سیئة، لقد ترکتهم یلعبون بابنتی دون أن أقوم بشيء، کان یجب علی منع زواجک، کان یجب منع والدک، لقد طغى بشکل خطیر، لم أستطع تحمل ما فعلته بنفسک و لا ما فعلوه بک، لقد عانیت یا ابنتی و أنا لست بقربک، کیف أستطیع الآن التغاضي عن کل هذا...

غرام : اسمعی یا أمی، أنا لا یهمنی شخص سواک، أنت حیاتی کلها و ما فعلته بنفسی کان راحة لی من عذاب کان سیقطنی، لذا لا یحق لک لوم نفسك أبداً، ما یهمنی الآن هو وجودک بجانبی فقط !

جلیلة : سأظل دوماً بقربک.

الفصل ٩ :

" أصبحت شخصا آخر لا أعرفه و يصعب علي فراقه."

على درجات البيت، تصعد مقاومة صعوبة حركتها و تتأقلم بشدة مع الحمالة التي تمسكها بيدها لتساعدنا على الحركة، تخطو بتمهل مرتدية حذاء مريحا كما وصفه لها

طبيبها الجراح بعد نجاح عمليتها، واصلت تحركها إلى بيت ابنتها و ما دفعها إلى التحرك من أسفل البيت إليها هو الخبر الجديد الذي زاد من حماسها و قوتها...وصلت إلى غرفة ابنتها و أمسكت بهاتفها قائلة :

- لقد قامت بإنشاء صفحة خاصة و نشرت فيديو اغتصابها لتأخذ حقها من خليفة، المسكينة، تريد أن تأخذ حقها و نسيت ما قامت به...

ظلت ابنتها تنظر من خلال شرفة البيت و قالت : إنه أمر سهل يمكننا البدء به. فأجابت : بالطبع ! ثم قامت بمحو الفيديو الذي نشرته سعادة و محو الصفحة التي نشرته عليها.

- سوف تجن، و ما هذه إلا البداية، سنقف عقبة في طريقهم، خليفة، سعادة و زوجته الحبيبة جليلة، لن نترك شخصا، كلهم واحد و الانتقام منهم سهل للغاية.

بقيت تنظر إلى ابنتها التي لا يظهر من حالها أنها في سن الأربعين بينما كانت أمها في حال الستين، بحيث كانت ابنتها **داليا** ترتدي فستانا رماديا قصيرا مما جعلها تبدو أصغر من سنها و لون شعرها الذهبي مثل أمها زاد من بديهة الأمر، و **البروش المحترق لا يفارق ملابسها.**

كانت سعادة تحتسي القهوة التي أعدتها بعدما نشرت الفيديو و هي تفكر في خطوتها المقبلة قبل أن تفاجئ بعدما ألقّت نظرة على هاتفها باختفاء الصفحة التي أنشأتها للتو فانتفضت من مكانها و زمجرت غاضبة :

- ما الذي يحصل، أين الصفحة ؟ من فعل هذا ! من تجرأ على تعقيبي و حذفه،
و من يكون غيره، إنه المختل خليفة، لا أحد سواه يعلم حقيقة فعلته، تريد أن
تتحدايني، حسنا ستري الأسوأ.

عادت تنظر إلى الشرفة و تراقب الشخص الذي كانت تتعقبه منذ البداية.

انتفض مراد غاضبا يركل بقدمه باب البيت المهجور مع غروب الشمس بعد مبيتها
ليلة كاملة هناك بينما كانت عهد تقبع هادئة منتظرة تحكم المصير بهما إلى أن زاد مراد
من حدة صوته صارخا :

- هيا افتح الباب و واجهني، هيا أرني شجاعتك، افتحه و واجهني رجلا
لرجل....

كان يقول ذلك و هو على علم أن أحدا ما يراقبه خلف الباب، الوقت الذي كان
فخر الدين يفكر في الذي سيفعله بهما و لم يستطع التفكير جيدا بسبب تشويش
مراد عليه إلى أن ذهب أخيرا إليهما و فتح الباب.

وضع يده على المقبض و ضغط عليه ليسمح بمروره عبره و يكون أول من يراه هو
مراد واقفا أمامه بنظرته الحادة و شعره الأشعث و قبضة يده القوية، نظر إليه و ما
إن اقترب منه حتى بدأ قلبه يخفق بقوة، شعر بشيء غريب تجاهه لم يفقهه حينها،
أحس أنه يعرف الشخص الذي أمامه، **الشخص الذي من الممكن أن يكون ابنه.**

مراد : من أنت و ما هذا الذي فعلته بنا، لماذا ؟ قل لي لماذا ؟

لم يجبه و بدأ يقترب منه شيئاً فشيئاً ينظر إليه في تمنع ثم انتفض مراد بعد أن نهضت عهد ترتعش خوفاً من مختطفها فقال :

- قلت لك من أنت و لماذا نحن هنا؟! كيف تجرؤ على اختطافنا هكذا!؟

فخر الدين : أنتما هنا بسبب مهجة ! والدتكما الحنون!؟ أقصد والدتك أنت !

صرخ مراد في وجهه قائلاً : ما علاقتك بمهجة ! و ما علاقتنا نحن بها، لماذا اختطفتنا نحن!؟

قال فخر الدين بهدوء : لقد سمعت سرك الصغير، أنت لست ابناً، و هي ليست والدتك، هذا السر أيضاً يمكنه مساعدتي في انتقامي منها، لقد ظننت أنكما نقطة ضعفها و لكنها لم تسأل عن أحد، لم تبحث و لم يشغل بالها اختفائكما خاصة أنت يا ابنتي، هل من الممكن ألا تكوني ابنتها أيضاً،...

عهد : اصمت و لا تحكي عن والدتي شيئاً، و اتركنا نذهب حالا و إلا لن تسلم بفعاليتك.

مراد : هيا ابتعد عن طريقي قبل أن...

لمحت عينه سكيناً على مقربة من الباب كان يحملها فخر الدين لتهديدهما به ثم أكمل كلامه : اسمع، ليس لدي اليوم بأكمله لأفهم خرافاتك، ابتعد عن طريقي و إلا نظر إليه بتحد و قال : و إلا ماذا، اسمع لن أحرر شخصاً إلى أن أنال مرادي منها.

مراد : هكذا تريد، حسناً.

انهال عليه ضرباً و قاومه هو كذلك ثم أصبح الأمر صراعاً مشتداً انتهى بطعنة سكين من مراد إلى "والده" المشتبه الأول.

صرخت عهد واضعة يدها على فمها بعدما لم تستطع فك النزاع، فأخذت بيد مراد و ساعدته على النهوض و عانقت جسده القوي و هي ترتعش مجددا خوفا من أن يكون الجسد بجانبها جثة هامدة.

عهد : هل مات ! هل قتلته، أرجوك أخبرني، إنني أموت من الخوف، أرجوك !
ترك مراد جسدها و اقترب من فخر الدين الملقى أرضا و الغارق في دماء تسيل من كتفه، وضع يده على عنقه و هو يرتجف بشكل غريب ثم تحسس نبضه فاسترجع أنفاسه عندما علم أنه ما زال على قيد الحياة.

مراد : إنه ما زال حيا، هيا علينا الخروج من هنا فوراً !

أمسكها من يدها و أسرع بها عبر الزقاق الذي تمر منه سعادة الآن بعدما سمعت صراخ عهد عند طعن فخر الدين لكن شاء القدر ألا تلتقي بابنها مراد الذي مر بجانبها بعد خروجها من المنزل لمدة لا تتجاوز الخمس ثوان... لأن المنزل الذي أكثرته سعادة كان قريبا من المكان الذي أخذه فخر الدين مَخْبأً مؤقتاً له لتنفيذ مخططاته و كان كل ذلك بعد لحاقها به خلسة.

دخلت إليه و وجدته يرقد أرضا يتألم بشدة و يتأوه ألم يده التي طعنت بدون رحمة. كان يصرخ ألما و يلعن طاعنه ثم استشعر حركتها فجأة و حاول أن يقعد لينظر من جاء إليه، و عندما رآها شعر و كأن الأرض تهتز من أسفله غير أنها لم تكن وقتها هزة أرضية بل كان قلبه من يستنجد طلبا للرحمة، طلبا للتوقف حينها و إنهاء كل تلك الصراعات، طلبا للحب للفرصة الثانية، أن يعود الحب إليه و يجيا من جديد، و لكن هذا أمر مستحيل أمام ما تخفيه سعادة و ما تحضره له.

قال بعدما تسمر مكانه و لم يستطع أن ينبطح أرضا :

- هل هذه أنت سعادة، هل أنت فعلا أمامي !

أجابته : أجل أنا هنا بجانبك، لست وهما.

فخر الدين : كنت أعلم أنك على قيد الحياة، كنت أعلم الحقيقة من خط يدك، من توقعك، كنت أعلم أنه لا يمكن أن تفارقيني...

اقتربت منه و أزالته سترتها و ذهبت إليه ثم وضعتها على موضع الطعنة بعدما ضغطت بقوة عليه إلى أن أطلق صرخة لم تفرق معها شيئا.

سعادة : لا أريدك أن تموت الآن، لديك الكثير لفعله أليس كذلك، كنت تعلم أنني عند رؤيتي لك مجددا سأقتلك، وإن لم تكن الشرطة يومها لكنت ميتا الآن...
قاطعها قائلاً : يا ليتها لم تكن !

اقتربت من وجهه أكثر و انحنت إليه لتصبح عينها تنظر إلى عينه ثم استرجعت حديثها و قالت : لقاءنا سيكون قريباً جداً، شيء واحد يبقيني هكذا و لا يحق لك معرفته، شيء واحد يمنعك من الموت الآن... لذا عاج نفسك.

حاول أن يمسك يدها و يحقق رغبته بلمسها بعد فراق دام أكثر من عشرين سنة لكنها ابتعدت عنه و غادرت البيت فحاول اللحاق بها بعد أن استجمع قواه غير مبالياً بألم يده، لكنه لم يستطع الجري أكثر بعد أن خرت قواه و اكتفى بالمشي ليسعف نفسه منتظراً قدره و موعد حكمه بلقاء حبيبته.

باريس، مستشفى المدينة

دخل مراد ممسكا يد عهد التي لم تكن في حال جيد و ظهر من حالها أنها تأثرت مما حصل أمامها، لذلك أسرع بها إلى المشفى و أدخلها إلى قاعة الفحص حيث تكفل بها زملاؤه الأطباء.

عند انتهاء الفحص، ظهر أنها بخير تماما و لا شيء يقلق في حالتها لذلك التحقت بمراد و أخذها بجانب الشرفة على الممر الرئيسي للمشفى حيث جاءت غرام برفقة والدتها من أجل فحص ما بعد العملية رغما عنها.

غرام : لقد قلت لك أنني لست في حاجة إلى هذا الفحص ! سأكون بخير.

جلیلة : هيا تقدي أممي و لا تعاندي مرة أخرى !

أومأت بجرعة من رأسها ثم تغيرت ملامح وجهها عندما رأت مراد يقترب من عهد التي كانت منغمسة في تمنعها منظر الحديقة عبر الشرفة ليسترق مراد هدوء قلبها و سكينه حياتها بعد أن أمسك بجسدها و اقترب منها و **قَبَلها على حين غرة ثم قال لها : أنا أحبك يا عهد.**

رأتها غرام و سمعت قوله لها و يا ليتها لم تلبى طلب والدتها في القدوم إلى هناك، لأنها رأت اليوم ما لم تكن تتوقعه و ما لن تتوقع أن تفعله فيما بعد، لقد أصبحت شخصا آخر لا تعرفه هي بنفسها.

غرام : ما الذي يفعله هذا، لقد قبلها، لقد قال لها أحبك، ما الذي يحصل، إنها أخته يا أمي، إنه أمر عادي أليس كذلك، أمر بديهي أن يقبل أخته،... لكن، لكن ليس بتلك الطريقة، لقد قبلها كما قَبَل... لا يمكن...

شعرت بالاختناق داخل المكان بينما حاولت أمها فهم ما يحصل معها خاصة بعد أن خرجت مسرعة تاركة نار العشق تتقد في قلب حبيبها لشخص آخر.

جلیلة : انتظري يا ابنتي ، انتظري أرجوك !

كانت غرام تسابق الرياح و يتطاير شعرها مع موجاته دون أن تعير كلام أمها و هي تردد بشكل هستيري و تصرخ : لا يمكن أن يفعلوا بي هذا، لا يمكن.

الفصل ١٠ :

" اليوم دفعت ثمن خطيئتي، لكن ثقوا بي سأرتكب أبشع منها "

وصل بجسده المنهك إلى المشفى ليسعف نفسه و يتشبث بالحياة من أجل نيل أهدافه...انتهت الممرضة من عملها بتثبيت الغرز على كتفه و تضميد الجرح ثم أخذت معداتها لكنه اوقفها بعد أن طلب منها شيئاً ؛

- أريد هاتفي من فضلك !

- إنه بجانبك هناك، أ لم تلحظ ذلك هل أنت بخير !

أزاح نظره عنها ليرى المنضدة أمامه حيث وضعه هناك و لشدة تأثره بصدمة سعادة غاب عقله و تشتت انتباهه ثم أخذه بين يديه و شكر المرضة التي انصرفت لتوها.

فخر الدين : لن يطول الأمر كثيراً لأراك محطة، أمرك بين يدي، فعلا خسرت أولاً لكنك ستخسرين أكثر...

كان يحدث نفسه بينما كان يبحث عن الفيديو داخل هاتفه، الفيديو الذي وضعه حارس السجن بين يديه و الذي يظهر خطة اغتصاب مهجة من طرفه.

فخر الدين : قريبا جدا سأضع حدا لحياتك و أجعلك تندمين على ما فعلته بي.

و بلمسة من أصبعه قام بالنقر على زر الإرسال لينتشر الفيديو القصير سريعا على مواقع التواصل بهوية مجهولة للمرسل، الأمر الذي استغلته المرأة المجهولة مع ابنتها لتنفيذ خطتها القادمة.

داخل منزل مهجة

كانت تتدرب على عرضها القادم مرتدية فستانا بنفسجي اللون قصير الطول و عقدا فضيا بينما تركت شعرها الأسود و خصلاتها الذهبية منسدلة على كامل جسمها قبل أن تباغتها عهد داخل المنزل و تصرخ فيها :

- أمي، أين أنت، ما هذا الذي فعلته ما هذا الذي توصل إليه مراد، كيف أنك لست والدته !؟

- ما بك تحدثين هذه الجلبة، هل جنت، هل تصدقينه، لقد جن عن آخره، لقد تبرأ مني و ما زلت تتحدثين عن موضوعه !

هنا دخل مراد عبر بوابة المنزل و قال ببرود تبعته صرخة واضحة :

- لم أتبرأ منك، أنت لست والدتي و أنا لست ابنك، لقد قمت بتحليل ADN' و لا أظنه مجنوناً هو الآخر، لذا أخبريني من تكونين أنت و من هما والداي و أين هما !

امتلكتها نوبة من الخوف حاولت إخفاءها أمام نظراتها لكنها لم تستطع من شدة صدمتها، لقد عرف الحقيقة إذن، اكتشف أنه ليس ابنها بينما لم يعرف كيف اختطفته من والدته يوم ولادته و تركتها على شعرة من الجنون.

بدأ يقترب منها شيئاً فشيئاً بينما كانت هي راسخة في مكانها و كانت عهد تنظر إليها بغضب واضح.

مراد : قلت لك من أنت و من أين لك بي، من أنا، ابن من أكون، هيا أخبريني... انتفضت في وجهه و قالت : **أنت لست ابني**، هذا ما تريد سماعه، أنا لست أمك، فعلا أنت لست ابني،...

ضحكت فجأة و قالت : كيف أقنعت نفسي طوال هذه المدة أنك ابني، كيف صدقتُ الفكرة، اسمع غرضي بك انتهى منذ زمان لذا لم يعد لك نفع لي في حياتي، اغرب عن وجهي و حياتي و اترك منزلي !

صرخت فيها عهد : اصمتي يا أمي ما هذا الذي تبوحين به ! هل فقدت عقلك،...

قاطعها مراد : أنا أيضاً لا يشرفني أن تكون لدي أم مثلك ! لكن من الواجب عليك أن تخبريني من أين اخذتني و لماذا، هل وجدتي عند حاوية قمامة، عند مسجد، أو اختطفتني من المشفى...و أين هما والداي !؟

مهجة : لن تعرف أبداً،...لأن هذا جزء من الخطة!

فقد أعصابه أمام برود دمها و اعترافاتها فأمسك بعنقها محاولاً خنقها و نفيها عن الوجود بصفة نهائية، قاومته بشدة ثم تركها بعدما تدخلت عهد بينهما و اشتد الشجار ليترك مراد البيت للأبد، البيت الذي نشأ فيه بعيداً عن والدته و عاش فيه حياة سعيدة تخلو من المتاعب لا ينقصه شيء و لا يكثر لأمر أحد، بالمال الذي أعطته جليلة رشوة لسعادة.

عهد : لم أعد أعرف والدتي، إنك شخص آخر تماماً، لم تعد تربطني بك أية صلة، لماذا أصبح قلبك حجراً، رغم أنني لا أستطيع تشبيه قلبك بالحجر لأنني لم أر من الحجر الشر الذي رأيته منك اليوم، ما الذي فعله لك مراد لتنتقمي منه بهذه الطريقة، أتعلمي شيئاً، لا أفتخر بكونك أمي بعد اليوم و أنا أحزن بشدة على ذلك و حتى ذلك اللقب الذي تطمحين إليه لن أحصل عليه و لن تريه و لا لمرة في حياتك، لن أفوز بالسوبرانو لن أحقق حلمك و طموحك، إذا أردت السوبرانو فذهبي لتأخذه بنفسك يا ملكة الأوبرا، أنا لا تهمني أحلامك و رغباتك، فلتذهب كلها إلى الجحيم.

شعرت بصدمة قوية بعد كلام ابنتها الجارح فقالت : ستحققين حلمي رغماً عنك و ستفوزين بالسوبرانو و تهدينه إلي و سيبقى كل شيء كما خططت له، لن تغيري شيئاً في مجرى حياتي و أهديني، ستأخذين اللقب !

عهد : و لأتأكد أولاً من أنني ابنتك أيضاً !

تركناها و غادرت إلى غرفتها المتواجدة أمام الصالون الذي نشب فيه الشجار و المتواجد قرب بوابة البيت.

•

محنة : لن تدمري ما بنيت بيدي ، لا يحق لك عصيان أمري...

قاطعت تفكيرها رنات متعددة لإشعارات على هاتفها تبين اسمها بلون أسود قائم بخط عريض على صفحات متعددة :

" ملكة الأوبرا الفرنسية، محنة، منذ أزيد من عشرين سنة تفقد مسيرتها الفنية بعد فضيحتها العريضة مع السجن فخر الدين قاتل الآباء الذي تحرر منذ مدة قليلة و تليفق تهمة الاغتصاب إليه "

سقط الهاتف من يدها من شدة رعشتها و بدأ قلبها يخفق بقوة و تجهمت ملامح وجهها ليقطع تفكيرها في الذي حصل اتصال من الشركة المنتجة و الإدارة الفنية لأعمالها و التي جعلت منها ملكة الأوبرا الفرنسية ؛

أخذت الهاتف من الأرض بسرعة و أجابت : نعم، تفضل !

- سيدة محنة، نظرا لما تقدم لنا من مشاهد تدينك بتليفق تهمة كبيرة لمجرم حُكِّم عليه بالإعدام، الشيء الذي يتعارض مع معاييرنا الفنية في الساحة، الذي يخل بالنظام الأمني فأنت متوقفة عن عمك بصفة نهائية و ستسلب منك الشارة الفنية و سيتم منعك من أي أداء قادم و س...

قذفت الهاتف من مسامعها من شدة الغضب بينما تابع المتصل كلامه : **لم تعودى ملكة الأوبرا الفرنسية.**

صرخت بقوة و هي تحطم كل شيء أمامها و تجذب أطراف شعرها دون أن تعير انتباها لألمها و هي تقول :

ما الذي يحصل ، من فعل هذا، من يجرؤ على تدمير مسيرتي ، ما بنته بيدي ، لقد انتهى كل شيء ، كيف حصل ذلك ، كيف !

ثم عادت إلى وعيها بعد لحظات بعد أن ومضت الفكرة في دماغها و فهمت أنه فخر الدين وحده من يملك الفيديو و من لديه الجرأة لنشره و إنهاء حياتها.

مهجة : إذا فإنه أنت ، و من غيرك يستطيع مواجهتي ، حسنا ، تريد تدميري ، سنرى ! و في عينيها بريق من شرارة الغضب يظهر الوحش الكاسر بداخلها الذي لن يترك شخصا إلا و حطمه.

جليلة : افتحي الباب يا ابنتي أرجوك ، إنني أطرق منذ الزوال أرجوك أن تفتحي و تخبريني ما حصل ، افتحي لنجد الحل معا ، أرجوك.

كانت تطرق الباب بشدة خوفها عليها منذ ساعات بدون كلل و بدون مجيب بل قررت عدم الاستسلام و مواصلة ما تفعله ، في حين كانت غرام جامدة مكانها مرتدية بدلة منزلية هادئة الملمس بينما كان قلبها يقتدي بالنار و دماغها يعصف برمادها.

•

غرام : إنها يعيشان السعادة الآن، و أنا دمرت نفسي بيدي، لقد قضيت على نفسي، لقد قبلها، ملكي لوحدي قبلها و أحبها بدلا عني، لماذا فعلوا بي هذا، لماذا، لقد تحطم كل شيء،...

o

كانت حياتها على ما يرام، تتعجرف كما تريد، تشتري الثياب الباهظة تسهر الليل ترتاد المطاعم الفاخرة تتسوق في أكبر المتاجر تغير مظهر شعرها متى يجلو لها عند أشهر المصنفين كيف لا و هي نجمة البوب التي يعرفها الصغير و الكبير، الغني و الفقير، التي تتغنى بكلمات قوية تطبع مسيرتها، تلك الفتاة التي أحبت لأول مرة شخصا عاديا أمام الجميع لكنه كان نبضة قلبها و عند حبها له و تقربها منه يفاجئها والدها بصدمة قوية قلبت هدوء و جمالية حياتها لتجعل منها شخصا تأها مشتتا عنيفا و قاسيا...بعد رؤيتها للحب المزيف الذي يجمع مراد و عهد ضاعت أفكارها حيث رأت فيهما السعادة التي كانت تحلم بها، و ما زاد الأمر سوءا هو العملية التي قامت بها و التي أنهت جزءا كبيرا من أحلامها بتصرفها الخاطئ.

ألقت بكل شيء يخص عهد من هداياها و صورهما معا و كل ما كان يقدمه لها مراد أيام صداقتهم من ورود و دبية و ملابس و مجوهرات، كلها الآن أصبحت ذكرى رخيصة بالنسبة لها، لا تمت إليها بصلة بل تزيد من قسوتها و عذابها معا.

•

غرام : لن أترك شخصا يعيشها...كل ما أخذوه مني سأسترجعه أو ليفقد الجميع ما يملكه، لن أسترجع شيئا ضاع مني، ضاع كل شيء.

...

مرت الساعات داخل غرفتها و جليلة بانتظارها إلى أن اشتد عليها العياء و نامت قرب بابها بعد أن فضلت المكوث هناك لتستشعر حركة ابنتها غير أن التعب غلب عليها و نامت بعمق لدرجة أنها لم تشعر بغرام و هي تمر أمام قدميها متجهة إلى بيت صديقتها عهد ؛ عهد التي أخذت حقيبتها و في نيتها ترك البيت بصفة نهائية ضاربة بعرض الحائط كل آمال أمها و كل السنين التي عاشتها بجوارها لتلتقي عند خروجها في العاشرة ليلا صديقتها غرام في حال غريب.

كان شعرها أشعث و ترتدي فقط بيجامة المنزل لذلك استغربت بشدة من منظرها لكن شوقها إليها طغى على كل ذلك.

عهد : غرام حبيبي ، لقد اشتقت لك كثيرا، أين غيابك عني ، لقد اشتقت لك بشدة، ما الذي حصل لك ، اسمعي لقد كنت أنوي الذهاب إليك لكن اعترض طريقي مكروه، سأحكي لك عن كل شيء، انتظري فقط لأغلق الباب و نذهب بعيدا عن هنا !

و ما إن استدارت لتغلق باب منزلها حتى باغتها غرام بضربة عصا على مستوى رأسها أفقدتها توازنها مما جعلها تلتفت إليها بصعوبة و هي تتساءل ما الذي حصل، لكن الوقت لم يكن لصالحها و أغمى عليها على الفور...أخذت جسدها النحيل في ظلام الليل و ذهبت بها داخل سيارتها و اتجهت إلى قبو منزلها.

أقسمت على أن تفرق الاثنين و تجعلها يذوقان من عذابها، هي من قام بالخطيئة و تريد أن يدفع الآخرون الثمن، الآخرون دائما هم السبب بالنسبة لها...لكن ليس

الكل، و بفعلتها هذه حققت ما أرادته عهد بعدم مشاركتها في مسابقة السوبرانو التي ستقام يوم غد.

{ كانت تلك نقطة التحول في حياتهم، غرام ارتكبت خطيئتها الأولى بغضبها تجاه قدرها الظالم الذي طبقه عليها والدها و بعد اختطافها عهد ارتكبت خطيئة أخرى،...أما فخر الدين فقد كان يتمتع بانتقامه من مهجة بينما كان قلبه يتمزق لفراق سعادة بعد لقاءها من جديد، مهجة التي توصلت للتو بإشعار جديد لنشر فضيحتها على جل المواقع لكن هاته المرة ظهر صاحب المنشور باسم سعادة الأمر الذي جعل مهجة تهبج من غضبها بعودة أكبر عدوة لها و فهمت من نشرها الفيديو أنها التقت بفخر الدين و وضعت يدها بيده للانتقام منها فقررت بدأ الحرب معها للتصدي لأي ضربة من ناحيتها و ارتأت أن لا شيء سيدمر سعادة و فخر الدين سوى ابنهما مراد دون أن تعلم أنه هو الآخر يعيش حربا ضد ابنتها بسبب حبه الأول لغرام... إذن فالحياة هكذا يخطئ الآباء و يتلقى الأبناء العقاب. }

مطار المدينة

غادر غرفة الاستقبال بعد وصوله باريس و اتجه خارجا يقود حقيبته أمامه بينما كانت هي الأخرى تحمل حقيبتها الصغيرة مرتدية معطفا رماديا طويلا و شعرها معكوف و مكياجها خفيف، كانت رحلتها إلى المغرب للاطمئنان على صحة شافعة بعدما تركت فخر الدين في انتقامه لتلتقي عينها بعينه عند أول خطوة يطؤها في أرض باريس، هنا كان أول لقاء بين سعادة و مغتصبها منذ عقدين.

الفصل ١١ :

" الكلك فى باريس "

" سعادة : هذا أنت؁ ها نحن نلتقى بعد... "

خليفة : أجل هذا أنا؁ أ لم أتعير كثيرا؁ ما زلت وسيمًا أليس كذلك !

سعادة : أجل لم تتعير؁ ما زلت تظهر الجانب الجيد منك؁ و لو أنه جانب ضئيل.

خليفة : أريد ابني !

سعادة : كنت أعرف أنك ستقول هذا أول ما تراني، ابنك موجود، ابنا ! لكن ليس الآن، لن تراه إلا عند رغبتى أنا فقط، لذا انتظر الرد مني ! آاه سأذهب الآن وإن اقتربت مني فالشرطة هنا تحيط المكان، لا أنصحك بالفضيحة مجددا !
الوداع."

صباح اليوم التالي، كان موعد حفل مسابقة السوبرانو على الساعة الثانية بعد الزوال و الذي لن تشارك فيه عهد.

كانت القاعة التي خصصها المعهد الموسيقي لإجراء المسابقة قاعة مسرح كبيرة تفتح أبوابها دائما أمام الكل و لا تغلقها إلا على المواعيد المحددة، لذا قدم الجمهور من مختلف الأعمار و الأجناس، المحبين للموسيقى و الشعر بمختلف أنماطها و من بينهم عائلات المتسابقين فرحين بوصول أبنائهم لتلك المرحلة، و أداءاتهم الجيدة التي تختلف عن الأخرى، هناك من قدم عرضا عن الشعر الكلاسيكي الفرنسي، الغناء الشعبي، موسيقى الجاز، موسيقى الروك، الأوبرا الكلاسيكية و التي كانت ستؤذيها عهد منافسة مع صديقتها لكنها تغيبت، أما غرام فكان دور أدائها عن البوب، الغناء الشعبي الفرنسي و وقع الدور على تأديتها أغنية : *aya*
Nakamura, mes copines مع أغنية إضافية كانت على اللائحة بعد طلب منها...لذا بعد مرور العشرات من المتسابقين وصل الدور على غرام المتسابقة ما قبل الأخيرة، المكان الذي احتلته بعد غياب عهد، صعدت المسرح مرتدية فستانا ذهبيا و مصففة شعرها بطريقة كلاسيكية بالحجم المرتفع، الأمر الذي استغربت منه جليلا والدتها لمعرفة الجيدة بذوقها المختلف...إذن اعتلت المسرح و أدت أغنيها المفروضة بشكل جيد، و على إيقاعها دخل مراد المسرح لتحقيق وعده

لعهد بالحضور و تشجيعها، لكن شاء القدر أن يدخل و يرى غرام مكانها، الشيء الذي حير باله و انتظر تواجدها طويلا و هو واقف على قدم و ساق ينظر إلى غرام و تأديتها الجيدة للأغنية إلى أن انتهت و كانت المفاجأة ؛ بدأت الموسيقى العذبة لأغنية *Adagio*، أغنية أوبرا التي عرفها الجميع و استغربوا من تأدية غرام لها بدل صديقتها و مراد كان الأشد اندهاشا مما قامت به و رفض كليا فعلتها تلك، هو الذي علم حقيقة زواجها مؤخرا دون أن يرحم ضعفها أمام قدرها و الذي اعتبره ضعفا منها عكسها هي الذي كان نقطة قوة لها...لم يتحمل رؤيتها أكثر من ذلك فغادر المسرح معتليا درجاته متجها إلى مقر عمله لتلاحظه جليلة بسبب سرعته الظاهرة و الغير طبيعية كما لفت انتباه الجميع ثم عادت بنظرها إلى ابنتها و التي فهمت بعد ذلك سبب مظهرها الكلاسيكي، في الوقت الذي كانت عهد استرجعت وعيها و وجدت نفسها محاطة بظلام دامس لم تفقه في الأول أنه مجرد ستارات سوداء أحيطت حولها لكي تجعل من خوفها حقيقة مؤكدة.

قامت من مكانها و لم تستطع التفكير في السبب الذي جعل غرام تفعل بها ذلك لأنها شعرت بضيق شديد في صدرها و تملكها نوبة من الخوف، بدأت تتخبط وسط الظلام إلى أن سقط ستار من بين المجموعة ليسمح بمرور بقعة من الضوء أمامها مكنتها من تتبع الطريق إلى باب المخرج و تتحرر من سجن صديقتها.

مرت مرحلة المداولات بعد ساعة على مرور آخر مشاركة و حان الوقت للإعلان عن النتائج النهائية على مستوى كل فئة، و كانت الفائزة بعد توقع الجميع في صنف **الأغنية الشعبية الفرنسية هي غرام** أما عن الأوبرا الفرنسية فكانت من نصيب شاب آخر بعدما تغيبت عهد عن الأداء و بالتالي فازت غرام بلقب السوبرانو و لا

يمكن أن تفوز بلقبين في آن واحد رغم أدائها الجيد في الأوبرا بحيث حازت على تنويه اللجنة بأجمعها و شهد لها الجميع بأدائها الرائع لكن اللقب أخذه الشاب الذي أدى الأغنية في محلها.

أخذت اللقب و تذكرت كيف كانت تغني رفقة عهد جميع المقاطع الذي كانت تحفظها عن ظهر قلب و تدريباتها ليلة الحفل على أغنية الـ *adagio* لتأخذ محل صديقتها يوم حفلها.

صعدت جليلة إلى المسرح مجددا بعدما تفرق الجمع و أخذت الصور التذكارية للآباء مع أبناءهم و صار عدد الحاضرين معدودا، ثم عانقت ابنتها بشدة قبل أن يباغتها خليفة داخل القاعة بعدما أصبحت فارغة كليا و فضلت جليلة المكوث رفقة ابنتها و التمتع بالجو البهيج للمسرح بأضوائه و زينته الرائعة قبل أن يطفئها التقنيون... لكنه فاجأها بحضوره و تواجد بقاءه بينهما.

جليلة : ما الذي تفعله أنت هنا ؟

خليفة : هل أردت أن أفوت عرض ابنتي الحبيبة ؟! غرام، لقد أتيت لأسانديك و...

غرام : أنا لست في حاجة لك و لا لدعمك لي !

خليفة : بلى أنت في حاجة ماسة إلي، أنا هنا دائما لدعمك و لقد أحضرت لك هدية معي، انظري من جاء معي !

ظهر من خلفه خليل يائس الحال من مظهره لكن بريق الأمل يسطع في عينيه.

خليفة : سأترككما الآن لوحدكما، زوجا و زوجة.

قال ذلك ثم اتجه نحو جلييلة و أخذها بالقوة رغم تصديها له و مقاومة ابنتها لكنه نجح في أن يقتلعها من يدها و يخرجها من المسرح متجها بها إلى البيت الذي أكتراه ليلية البارحة بعد فراقه مع سعادة... ليبقى بذلك خليل مع غرام ووجها لوجه و لأول مرة بعد هربها و فضيحتها الكبرى.

خليل : ما الذي فعلته لك يا غرام، أنا فقط أحببتك، لقد أغرمت بك بشدة، ماذا فعلت لك كي تهربي مني و تشوهي عائلتي ! كيف تدمرين قلبي الذي أحبك لوحدهك !؟

كان يقترب منها و هو يخبرها بألم قلبه بينما بقيت ثابتة مكانها و تنظر إليه باحتقار.
خليل : لقد فعلت الكثير لأجلك، حاربت والداي لأتزوجك، و أنت ماذا فعلت، كسرت قلبي و حطمت حبي لك !...

غرام : من قال لك افعل شيئاً لأجلي، أنا لست في حاجة لأحد، لا أريد حبك أو حب أي شخص آخر، تقول أنني دمرت عائلتك، ألا تفقه ما فعلته والدتك بي ؟ أ تعلم لأية درجة وصل تعذيبها لي، لقد وصل بي الأمر إلى أن استأصل رحمي، لن أكون أما بعد اليوم بسبب والدتك بسبب والدي بسبب والدك بسببك أنت، لذا لا تقترب مني و لا تفعل شيئاً لأجلي !

اقترب منها عكس ما قالت و اتجه نحو المصاييح المزينة لساحة المسرح ثم قام بتشغيلها بعدما أطفأها التقنيون قبل ذهابهم، ليعود المنظر المبهج للقاعة من مختلف ألوان المصاييح الذهبية.

خليل : هكذا أريد لحياتنا أن تكون بعد الآن، أريدك دوما بجانبني و بقربي يا غرامي !

اقترب أكثر و أخذ اللقب و جسدها بقوة قاومتها بشدة دون جدوى و ذهب بها، بين يديه يحملها كطفل رضيع بعيدا إلى بيته، هناك حيث يكمن الدمار الكبير.

بعد مغادرة خليل رفقة غرام خرجت سيدة من وراء الستارة الحمراء للمسرح رفقة ابنتها، السيدة التي حذفت الفيديو الذي نشرته سعادة، السيدة التي أظهرت لمهجة أن الناشر هو سعادة، السيدة التي ستغير مجرى حياة الجميع، كل ذلك من أجل خطيئة مضى عليها الدهر لكن أثرها لا يمحيه الزمن.

اقتربت الابنة من والدتها و أمرتها أن تلحق بخليفة و زوجته بينما ستلحق هي بغرام و زوجها...تركت الابنة المسرح و لحقت بخليفة بينما بقيت والدتها مدة قصيرة أطفأت فيها أضواء المسرح لأن الذي تنوي عليه لا ضياء فيه.

حل الليل على الساعة السابعة مساء، على منزل خليفة و اتجه إلى غرفته بعدما ترك جليلة حبيسة لديه لكن مع أول غفوة نوم له سمع وقع أقدام تقترب منه، ظن في الأول أنها زوجته و استغرب من ذلك لأنه أحكم الإغلاق عليها فنادى عليها و لم تجبه لأنها لم تكن هي، تقدمت الزائرة قليلا ليظهر ضوء الشارع لون شعرها، كان ذهبيا يميل إلى لون ناري، اقتربت أكثر ليظهر وجهها، كانت صدمة قوية عليه عندما تعرّف عليها. بعد أن صرخ في وجهها محاولا معرفة هويتها، ها هو الآن ينصعق من حقيقتها، إنها...

خليفة : فرح ! غير معقول، أهذه أنت !؟

نهض من الكنبه التي استلقى عليها و جسمه يرتجف بشدة، إنه يقابل الآن أمامه الفتاة البريئة التي أنهى حياتها، الفتاة التي اغتصبها و احتقرها بدون رحمة، الفتاة التي أحرقت نفسها من شدة خزيها، إنه يقابل الآن فرح ابنة نورسين.

خليفة : لكن كيف ذلك، أنت ميتة، أجل أنت ميتة، لا يمكن، أنا أهلوس، هذا حلم، لا يمكن أن يكون هذا صحيحا أنت ميتة، لقد مت محروقة عن آخرك، كيف يمكن أن تعيشي بعد ذلك،...

كان مظهرها طبيعيا للغاية، ليست شبح أو كائن مجهول، إنها إنسان لكنه لا يستطيع التصديق لأن موتها تحقق أمام العالم، لكنها الآن امرأة حقيقية، امرأة أربعينية المظهر، شعر ذهبي طويل، عينين زرقاوين، فستان رمادي قصير مخملي يحمل بروش كزينة، لكنه ليس أي بروش، إنه البروش الذي كانت تحمله فرح عند موتها و الذي أخذته نورسين بين يدها، البروش المحترق.

- لا، أنا أمامك، أنا حية أرزق، سأظل حية دوما طالما أنت على قيد الحياة، سنعيد الأمر من البداية أنت القاتل و أنا الضحية، هل تريد أن نظل هكذا أم نغير الأدوار !

لم يستطع التصديق و لا لمرة أنها فرح من أمامه، أمسك برأسه محاولا تهدئته من صخب أفكاره و تشوشها عنوة، لكن بدون جدوى، كان المشهد أمامه قويا لا يقبل التغيير، إنه أمر محتم، إنه لا يحلم، لا يهلوس، إنها الفتاة التي ارتكب بحقها جريمة بشعة، واقفة الآن أمامه للانتقام، لكن ليست لوحدها !

- يبدو لي أنك لست مستعدا للإجابة الآن، لذا سأتركك تفكر قليلا،
سأذهب الآن و سنلتقي قريبا جدا !

وقع على الأريكة بقربه بعدما شلت أطرافه تاركا إياها تغادر الغرفة بروية و هو يرى
ظلالها من خلال أنوار المدينة.

الفصل ١٢ :

"كأس الشاي الأخير"

داخل منزل خليل

غرام : لماذا أتيت بي إلى هنا، ألا تملك ذرة كرامة، لقد أخبرتك أنني لا أريدك في
حياتي، لا أحبك !

خليل : و أنا أقول لك أنني أحبك و ستظلين في حياتي طوال عمري.

غرام : لا يحق لك اختطافي مهما فعلت، من تكون لتأخذني من مكاني و تتحكم بي
كما تريد !

خليل : أنا زوجك و يحق لي فعل ما أريده...إذا البثي مكانك و انتظري آباءنا !

غرام : آباءنا !؟ لماذا أنتظرهم و هم سبب ما أعيشه الآن، هم من دمروا حياتي.

خليل : سننتظر قدومهم لنجد حلا لمشكلتنا فقط، لذا...

قاطعته صارخة : اسمع أنا لن أنتظر والديك ولا والداي، لن يكون هناك حل بيننا
سوى الطلاق، أ تفهم، لقد بدأت قبلا الإجراءات و ينقص فقط توقيعك، لا شيء
سيجمعنا بعد الآن، لذا ابتعد عني أرجوك !

صدمته بقولها فقال : لن أفترق عنك، لن أوقع على طلاقنا، لقد أمضيت حياتي و
أنا أهيمن في حبك، لقد كنت هوسي، كنت عشقي الوحيد و كان حلمي الزواج بك
و أن تكوني بقربي مدى الحياة و الآن تقولين لي أن أبتعد عنك، لا أستطيع، لا
قوة لي في ذلك، أنا أحبك، أنت لي، أنت حياتي !

إصراره و جشعه زاد من غضبها و حان وقت خطيئتها فقالت : لا تريد أن تحررني
إذن، تريد أن أبقى رهينة لديك طوال حياتك، حسنا سننال ما تريد،...

غادرت الغرفة التي كانت تقبع فيها و هي سجيئة المنزل ليظل خليل لوحده ضائعا في
حيرة قلبه...اتخذ من الأرض متكئا ليريح نفسه من عواصفها و خطاياها منتظرا قدوم
الآباء.

لم يستطع خليفة الصبر للحظة واحدة في غرفته و ذهب مهرولا إلى جليلة التي كانت سجينة في غرفتها...فتح الباب بصعوبة و هو يرتجف ثم ظهر جسدها الرشيق قابعا بهدوء يحتسي فنجانا من الشاي على الشرفة بينما كان قلبه على وشك التوقف. عند فتح الباب قفزت من مكانها و اتجهت مسرعة إليه لتصرخ فيه لكنها رأت حاله الغريب و المخيف، لقد كان لون شفثيه أبيضاً و العرق يسيل من جبينه و عينيه غائرتين كأنه رأى شبحاً، كان جسده يرتجف كلياً، لكنها لم تسأله ما الذي حصل به و ارتأت أن يخبرها هو بالذي غير حاله من الوحش الهائج إلى الإنسان الضعيف. خليفة : لقد كانت هنا، رأيتها أمامي، لقد كانت قربي، قريبة مني حد الأنفاس، كانت حقيقية، لم أكن في حلم، لم أكن أهلوس، كل ذلك حقيقة...

جليلة : ما الذي تهلوس به أمامي الآن، من هذه !؟

خليفة : فرح، إنها فرح، لقد كانت هنا، جليلة، ثقي بي، إنها لم تمت،...

ضحكت و قالت له : من الممكن أن تكون حية ترزق و عادت للانتقام، أمر بديهي، أنت اغتصبته و قتلته حرقاً و لا تريدها أن تعود لتنتقم منك، إنها الحياة يا حبيبي، تظلم شخصاً، ينتقم منك، أمر طبيعي، سعادة أيضاً، لقد قمت بنفس الشيء معها، لذا لا تتفاجأ يوماً و هي قادمة إليك لتنتقم هي و طفلها، ابنها، ابنكما، ابنك أيضاً سيأتي يوم و ينتقم منك، ابنتك غرام التي دمرت حياتها بذلك الزواج الفاشل، ثق بي ستأخذ حقها منك، أجل ابنتك ستنتقم منك و تعذبك عذاباً قاسياً، لذا لا تتفاجأ من شيء و لا تستغرب، أنت ارتكبت آثاماً يجب عليك التكفير عنها و **التكفير يكون بالعذاب** أمام خطاياك الكبيرة، إذن اترك سبيلي الآن و إلا صارت جميعها على مسامع و مرأى الجميع، تذكر جيداً أنني الشاهدة الوحيدة

لكل جرائمك، لقد اعترفت بالكل أمامي،...آه، لا شيء يجمعني بك بعد الآن، أريد طلاقى غدا على الطاولة، فهمت، لا أود رؤيتك مجددا في حياتي، لقد انتهت منك !

تركته وحيدا داخل الغرفة و ذهبت لتبحث عن ابنتها بعدما اتصل بها خليل، بينما بقي خليفة خائفا داخل الغرفة، و الخوف يعتصر قلبه و تفكيره، أحاطت به الجدران و اشتد عليه الخناق و لم يستطع التحمل فترك البيت مسرعا و لم يسترجع أنفاسه إلا عندما لامست جسده رياح المدينة الفرنسية و هناك عاد إلى وعيه و فهم أن وقت الحساب قد حان.

* مشفى المدينة *

كان موعد ترك فخر الدين لمصلحة الجراحة العامة بعد تعافيه الأول من ضربة المقص، غادرت المريضة بعدما غيرت ضماداته و أنهت علاجاته لتتيح له فرصة الخروج قبل أن تدخل إليه سعادة للقياه مجددا.

فرح كثيرا عند رؤيتها بمعطفها الرمادي و شعرها البني المعكوف، كان يجب تفاصيل عنايتها بملايحها و ملابسها، راقية المظهر، بسيطة و رائعة...لكن نظرتها إليه تغيرت بعد مرور السنين، لم تعد السعادة على عينيها و الشوق إلى حبيبها و قربها منه، لقد تغير كل شيء.

فخر الدين : أنا سعيد جدا لرؤيتك قربي.

سعادة : أنا لست قريبك، أنا هنا في هذه المدينة المظلمة رغما عني، لدي أهداف و أعمال يجب أن أكملها، لدي أنت و اثنين غيرك، حسابي طويل و معقد، لكنني أحبه لأنه ما يبقيني على قيد الحياة...انتظر لقائي القصير مجددا.

همت بجسدها لترك الغرفة لكنه أوقفها قائلا : أرجوك سعادة، لا تتركيني...

و صدفة مرت مهجة من أمام غرفته، لأن كان لها غرض مهم في مصلحة الجراحة، المصلحة التي يعمل فيها مراد هو الآخر...كانت الغرفة تملك نافذة زجاجية تسمح للزائر برؤية المريض عن كثب و عبرها رأت مهجة فخر الدين و هو جالس على فراشه يتوسل إلى سعادة أن تمكث معه للحظات أخرى و التي لم يصعب التعرف عليها، الأمر الذي شد انتباه مهجة و اقتربت أكثر لتسمع مجرى حديثها. و كان ذلك أول لقاء بين سعادة و صديقتها مهجة، لقاء على غير المعهود.



فخر الدين : أرجوك أن تبقي بقربي قليلا !

سعادة : لا يحق لي ذلك، لكي لا ألهيك عن أعمالك، لديك ما تقوم به، أليس كذلك.

فخر الدين : أجل، أعدك أنني سأدمر حياتها، سأنتقم من مهجة و أجعلها تذوق طعم الألم الذي جعلتنا نعيشه، لديها ابنة و ابن، هم مفاتيح انتقامي !
سعادة : لا تهمني تفاصيلك، لقد أخذت وقتا أكثر من اللازم !

سمعت مھجة كل حديثها و فهمت أنها اتفقا من قبل على تدميرها و كان الأمر بديها بعد الفيديو الذي نُشر و الذي دمر مسيرتها...مما زاد من حدة غضبها و شرارة انتقامها الذي سبق و بدأت تظهر بوادره على مراد، **ضحيتها الأولى**.

تركت سعادة الغرفة و توارت مھجة عن نظرها ليظهر لها مراد قادمًا من غرفة العمليات لتترك المصلحة مؤقتًا...لتسمح بخروج فخر الدين و تركه المشفى بعد تعافيه و عدم ضرورة إبقاءه...و عند خروجه رأى عهد عن بعد تتمايل في خطواتها. عهد التي استوعبت للتو أن غرام من قامت باختطافها، و فهمت أنها فعلت ذلك عمدا لتجعلها تنغيب عن المسابقة.

- كيف تفعلين بي هذا، في ماذا أخطأت في حقك، كنا أخوات أكثر من أصدقاء، لماذا قمت بذلك، لماذا تحرميني من حلمي، لماذا كل هذا!...

كثرت الأسئلة داخل دماغها و لم يوقفها إلا رؤية فخر الدين أمامها و تذكرته جيدا، كيف لا و قد كانت بجوزته لمدة ليست بالطويلة...

فخر الدين : ها نحن نلتقي مجددا، لا مفر لك مني الآن، أعلم أن لا ذنب لك في جرائم والدتك، لكن ثقي بي، أنت أكبر انتقام لها.

ارتجفت بشدة خوفا منه فقالت : لا يبدو لي ذلك، لن ترج شيئا بقتلي أو اختطافي مجددا، لذا ابتعد عني قبل أن أصرخ و أتسبب في سجنك !

و لسوء حظها كانت هناك حالة مستعجلة أثارت فوضى عارمة أمام المشفى حيث كانت المريضة مصابة بنوبة هستيرية أبت أن تدخل إثرها المشفى، **نوبة من الصرع** فهمها الأطباء بعد ذلك و حقنوها على الفور بالمضاد، كلها فوضى سمحت لفخر الدين أن يمسك بعهد و يحاول خنقها حتى الموت، صارعته و قاومته بجهدا لكنه

أقوى منها فتغلب عليها، أصبح لون وجهها أزرقاً و شفيتها كذلك، كادت تفارق الحياة لولا خروج مراد عبر بوابة المشفى و رؤيته لهما من بعيد فلمحه فخر الدين أيضاً ثم ترك عهد هاربا أمام مراد الذي أسرع لإنقاذها.

سقطت من يده مغمى عليها و اللون الأحمر يعود إلى جلدها، بينما كان مراد يصرخ بشدة طالبا النجدة من الأطباء الذين كانوا ينقذون مريضة الصرع...بدأ ينعشها منتظرا قدوم الآخرين غير أنه بعد لحظات من ذلك **فقد وعيه عن آخره**، فاضطر الأطباء لنقل الاثنين معا و المريضة الأخرى أيضاً...و كان المشهد كله أمام أعين مهجة التي أخذت هانفها على الفور و اتصلت بالطبيب الجراح زميل مراد و الذي اتفقت و إياه على إعطائه دواءً مخدرا يمنعه من البقاء على وعي دائم، مخدرا يستطيع بمفعوله أن يتسبب في طرده من مهنة الطب.

- لقد قلت لك أن تعطيه جرعات قليلة، لا نريد أن نثير الشكوك، ألا تفهم أو أنك تقوم ما تأمرك به نفسك، أنا من أقرر و أنت من ينفذ، أسمع!
- أنا آسف، لقد نسيت و أضفت جرعات زائدة، لقد طغى كرهى له عن أوامرك، أنا آسف، سألتزم بالوصفة.

قبل أن يترك خليفة باب منزله التقى بسعادة التي لحقت به يوم لقاءهما في المطار و علمت مقر سكنه.

خليفة : هل حان الموعد إذن ؟

سعادة : أجل، **غدا في الثانية زوالا**، ستلتقي ابنك، ابنا الذي حرمنا منه لسنوات، إذن سأبعث لك عنوان لقائنا على هاتفك ! الوداع.

همت بالذهاب فقال لها دون أن ترد عليه : من أين لك برقم...؟!
ذهبت دون أن تعير كلامه اهتماما لتحضر خطتها القادمة.

حل الليل، كانت الساعة السابعة مساءً، و غرام داخل غرفتها منتظرة مصيرها الأخير داخل بيت زوجها، و عندما رأت الظلام عسعس على البيت نزلت الدرج و ذهبت إلى خليل لتفاجئ بوجود عائشة هناك.

عائشة : أهلا بزوجة ابني، كيف حالك، لقد طال غيابك كثيرا !
أكملت غرام نزولها و لم تهتم بقولها ثم اقتربت منها أكثر و قالت :

- مرحبا بك يا حماي الحبيبة، أرى أنك في أفضل حال ! كيف كان السفر !
فهم خليل من كلامهما أن الحرب الباردة بينهما ستشتد لذا حاول أن يخفف الأجواء قبل أن تكمل غرام حديثها و تفاجئه.

- أين هو عمي معتر، أ لن يأتي، هل يخجل مني أم ماذا !
- و لماذا يخجل عمك يا حبيبتي، إنه قادم يلحق بي، ليس له إلا ساعة و يكون هنا !

خليل : كان لدى أبي عمل مهم و ترك أمي تأتي أولا، أين والداك ؟!

غرام : سيكونان هنا بعد قليل...

ثم سمعت صوت رنين الباب لتفهم أنه والدها.

غرام : ها إنه أتى !

خليل : نريد كأسا من الشاي يا غرام، نحن في حاجة لحديث مطول !
نظرت إليه باستغراب ثم بمكر فذهبت لتفتح الباب على والدها الذي استقبلته
ببرود و هو كذلك ثم ذهبت لتحضر الشاي.

في المطبخ أخرجت الدواء المنوم الذي أخذته خلسة من غرفتها و التي كانت أصلا
لخليل و الذي كان يتناوله بانتظام في فترات دورياته الليلية بحيث لم يكن يستطيع
النوم بعد كل مناوبة...لذا أخذت العلبة كاملة و وزعت حباتها على كأس عائشة و
والدها، انتظرت مهلة فكرت في خطتها جيدا ثم وضعت الحبات الثلاثة المتبقية في
كأس خليل...أخذت الكؤوس إليهم و لبثت معهم لدقيقة واحدة ثم قالت :

- لا أستطيع البقاء أكثر معكم في هذا الجو المكهرب، سأذهب لأبحث عن
والدي في المنزل.

خليل : لكن غرام نحن هنا من أجلك، لماذا تنوين تركنا !

غرام : لن أغيب كثيرا !

قالت في داخلها : أتمنى أن تكون هذه آخر مرة أراك فيها.

فعلا كانت تلك كلمتها و ذهبت خارج البيت و انتظرت في حديقته مختبئة منتظرة
أن يؤدي الدواء مفعوله لتكمل عملها، و تراقب الثلاثة عن كتب عبر نافذة البيت.
مرت الساعة و عسعس الليل و أصبحت الساعة التاسعة ليلا، اقتربت غرام من
النافذة و رأت أن الدواء أعطى مفعوله و نام الثلاثة في سبات عميق، ثم دخلت
البيت مسرعة و بدأت تنفيذ ما فكرت فيه.

أخذت خليل من الأريكة ووضعتة أرضاً ثم قامت بجر جسده من الصالون إلى الغرفة المجاورة ثم وضعتة هناك، ثم بعدها عادت إلى الاثنتين و فعلت نفس الشيء معها لكن وضعت الاثنتين في غرفة واحدة، في فراش واحد، عاربي الجسد، و في نيتها أن يرى معتر خيانة زوجته له مع ضابطه خليفة.

أخذت هاتف عائشة الذي لم يكن مقفلاً و بعثت رسالة إلى معتر تقول فيها :

- أريد طلاقى يا معتر، لا أستطيع العيش معك بعد الآن.

أنهت اللعبة و بقيت تنظر إلى النتيجة أمامها و تتذكر كيف وصلت إلى حالتها تلك.

- **زوجتك ابني فقط لكي تنجبي له الطفل الذي أحلم به،...ستتزوجين رغما
عنك لكي أعود إلى عملي،...أنا أحبك لدرجة الجنون يا غرام، لا أستطيع
فراقك ولن أطلقك...**

غرام :كلكم سبب هذا، أتم السبب في عذابي، أتم المسؤولون الوحيدون عن الذي سيحصل، لم أفعل لكم شيئاً،... أتم السبب.

جلست تبكي بجرقة و هي تنظر إلى منظر الثلاثة أمامها ثم فجأة ومضت الفكرة في دماغها و تركت البيت متخفية من جديد خلف الحديقة منتظرة قدوم معتر، الذي وصل بعد لحظات من ذهابها و عند دخوله المنزل كان أول ما رآه هو جسد زوجته الملقى بجانب خليفة...لم يصدق أولاً من شدة صدمته فأدار وجهه عنها فقال :

- لا يمكن، هذا غير ممكن،...

ثم عاد بنظره إليهما و تحقق من تواجدهما معا فأطلق صرخة مدوية مصدرها الألم و الصدمة.

الفصل ١٣ :

« خطيئي العظمى »

- هل أنت متأكدة من قرارك، إنها عملية صعبة و من الممكن أن تموتي فيها !

- أجل، سأدفع لك كل ما تطلبه و أكثر، لا أريد أن أصبح أما، أنا نجمة، لا أريد مثل تلك الأمور، أريد أن أتفرغ لمهنتي كليا !
- لكن القانون يتطلب منك مهلة تفكير لا تقل عن أربعة أشهر !
- و أنا تجاوزت تلك المدة، كنت أفكر فيها منذ صغري، لا أريد أطفالا، لا أرغب في طفل ينغص علي حياتي ! لقد أطلنا الحديث، هل ستجري لي العملية أم لا ؟!
- انظري يمكن أن تعاني من مضاعفات بعد العملية، يمكن أن تؤذي بحياتك، و إن لم تفعل، فهذا القرار ليس رجعي، لن تستطيعي أن تنجبي مجددا و ستعانين من فوضى في هرموناتك في الأشهر الأولى، المهم أنني أطلعتك على كل المجريات الباردة، غدا سنجري العملية و نتمنى أن تنتهي بخير !

" المغنية المشهورة غرام تستأصل رحمها و بذلك لن تنجب يوما، هل ذلك سيؤثر على حياتها الشخصية !

"

" مغنية البوب محبوبه الجماهير تصدم الجميع بقرار خطير عن حياتها الشخصية عبر لايف انستغرام "

" هل استئصالها الرحم له علاقة بمسيرتها الفنية أم
فضيحة من العيار الثقيل ستفاجئنا بها مجددا؟! "

" اليوم تغادر غرام المشفى بعد عملياتها المفاجئة و عدم
اكتمال مدة استشفائها "

" غرام على مرأى الجميع و هي تسارع الرياح بعد يوم
من عملياتها الخطيرة! "

" غرام تشارك في مسابقة السوبرانو رغم ألمها و بعد أيام
قليلة من مغادرتها المشفى "

" مغنية البوب الشهيرة، غرام تفوز بلقب السوبرانو "

‘ Tulipe, la star de l’opéra,
disparue le jour du concours
sélectif du soprano 2023 ‘

" المغنية تولىب، عهد، وُجِدَت مغمى عليها أمام
مستشفى المدينة بعد محاولة قتلها من قبل أحد
اللصوص حسب قول شاهدي عيان "

.....

ظل يحدق في الاثنين و هو غير مصدق لما ينظر إليه، إنها زوجته التي أمضت معه
سنينا من عمره، أياما لا تنسى و هما يريبان خليل، المرأة التي أحبت زواجهما و

جعلته مثمرا بشكل كبير، المرأة التي كونت عائلة مقدسة و منزلا محصنا، اليوم هي في فراش رجل آخر، محتضنة جسدا آخر من غير زوجها، ظاهرة على وجهها راحة عالية...في آخر يوم لها لم تنتظر من زوجها أن يستل سلاحه و يصوب عليها لينهي محبتها له و يدمر حياتها **بخطيئة واضحة**.

سمعت غرام طلقة السلاح و اهتز قلبها من شدة رعبها فهولت إلى الداخل و واجهت معتر قبل أن يصوب على والدها بعد أن رأت الدماء تسيل من رأس حمايتها.

غرام : كيف، كيف فعلت ذلك، ما الذي قمت به !؟

معتر : ابتعدي عن طريقي و إلا صوبت عليك !

صدت جسده الذي كان يقابلها بقوة إلى أن سقط عن علوه و أغلقت عليه باب الغرفة التي كانت بالجوار ثم ذهبت إلى الغرفة حيث تواجد خليفة و جثة عائشة فأزاحت جسده مسرعة رغم ثقله و أخرجته عبر الباب الخلفي، ليبقى الجسد وحيدا داخلها...بينما كان معتر يزجر من غضبه فصوب عبر الباب ليفتح عن مصراعيه و يرى جسد زوجته وحيدا أمامه ثم عادت غرام بعد أن نادى الشرطة.

معتر : أين هو ! أين ذهب، هل ساعدتني ؟!

دخلت جليلة على حين غرة و رأت السلاح بين يديه و أسرع لتقف أمام غرام حماية لها.

جليلة : ما الذي يحصل هنا، ماذا تفعل بذلك السلاح بين يديك ؟! قالت ذلك ثم عانقت ابنتها التي كانت ترتجف بقوة فأجابتها :

- لقد، **لقد قتل زوجته !** إنها هناك.

أشارت إلى مكان تواجدها لتفزع جليلة من رؤيتها، كانت شبه عارية و الدم يغطي الآن كامل جسدها و يغرق الفراش أيضاً، لقد كانت ميتة بالفعل.

معتز : ابتعدا عن طريقي و إلا قتلتكما معهم ! هيا ابتعدا !

جليلة : لقد قتلت زوجتك، أتدري ما الذي فعلته ! لماذا !؟

معتز : هل تتحامين علي أنت و ابنتك، تريدون حمايته، تريدان حماية زوجك من

الجريمة التي قام بها،...لقد قام بخيانتك مع زوجتي، لقد ضبطتها معا، لقد قاما

بخيانتنا، ما الذي تنتظرين مني أن أقوم به، لقد كانا معا في سرير واحد، خانا ثقتنا،

و أنت الآن اتفقت مع ابنتك لتحميه، أين هو أريده الآن أمامي ليرتاح قلبي !

انعقد لسانها عن الحديث و هي ترى الزمن يعيد نفسه مرة أخرى لكنها كانت

الأقسي،...كانت تعلم دوما بخيانتها لكنها لم تكن تكثرت له، كان آخر شيء يمكن أن

تهتم به،...بالنسبة لها حياة ابنتها و صورتها أمام الجميع كانوا الشيء الأهم.

معتز : كيف تحمين زوجك و هو يخونك، أين كرامتك كامرأة ! أين شموخك الذي

ظللنا نسمع عنه، هل كان كل ذلك وهم !...!

صوب السلاح عليها و قال مجددا بينما بقيت جليلة تنظر إليه و الألم يعتصر قلبها :

لن أسمح لكما بحمايته، إذا كنت لا تملكين ذرة عزة نفس لك، فهذا الأمر لا يهمني،

قومي بحمايته مرة و عشرات، لكنني لن أتركه، سأجده و أقتلع قلبه من جسده.

دخلت الشرطة في لمح البصر و منعت معتز من التصويب مجددا، دفعوا بجسده

أرضا و القوا السلاح بعيدا ليحتم أرضا و يعود إليه صوابه و يتفقد بنظره جسد

زوجته التي طُبِّق عليها ظلم كبير ليلتها...و هو ينظر إليها في حسرة و ألم عادت إليه

ذكرياتها بينما لم يسمح لها هي بنفسها أن تعود إليها ذكرياتها قبل وفاتها ؛ شريط الحياة الذي يعود إلى المتوفي لمدة سبع دقائق لم يكن من نصيب عائشة بل بلغه معتر.

تذكر يوم زفافها و كيف كانا بمنتهى السعادة بعد قصة حب بريئة، تذكر يوم حمل عائشة بخليل و مختلف الأكلات التي جاء وحمها عليه، و كيف كانت تكره وجوده بجانبها عند أشهر حملها الأولى، تذكر يوم اشترى الفيلا الكبيرة بعد سنوات من زواجهما، يوم تعيينه كعميد، يوم ولادة خليل، أسفارهما المتعددة... إلى أن وصل يوم زفاف ابنهما و دخول غرام و عائلتها حياتها، منذ ذلك اليوم و السعادة التي بُنيت لسنوات، ذهبت في لمح البصر.

أخذت الشرطة معتر، و هو بين يديهم نظر لآخر مرة إلى زوجته و فهم أن حياته انتهت معها...بينما بقيت جليلة بجانب غرام التي اصفر وجهها و جمد جسدها عند تيقنها من نتيجة فعلتها...و ما زاد من حدة الأمر هو رؤيتها لخليل يستيقظ من غفوته بعد انتهاء مفعول الدواء.

استجمع نفسه و ترك السرير ليتفقد ما حصل به و بعائلته و كيف غفى على حين غرة...خرج من الغرفة و توجه إلى الصالة ليفاجئه تواجد غرام مع جليلة معا بمنظر غريب و الابنة في حضن أمها تبكي...اقترب منها ليتساءل عن الذي حصل ليوافقه منظر أكثر رعبا للشرطة و هي تعالين جثة والدته...

تأكد منها من النظرة الأولى و أسرع إليها مسابقا دقائق قلبه التي تسارعت أكثر منه و هو يرى والدته جسدا هامدا بقربه،...لم يهيمه تصدي الشرطة له و منعه من الاقتراب أو تخريب الدلائل، بل قاومهم بشدة فقط ليلمس قدمها...فهم الأمر برمته، فهم أن شخصا أنهى حياة والدته دون أن يرحمها، فهم أنه أصبح يتيم الأم دون أن

يعلم أنه أضحى يتيم الأبوين...يقولون عن اليتيم عند موت الأب توسد الركبة، و عند موت الأم توسد العتبة، لكن خليل اختار توسد ركبة والدته مدى الحياة.

• صباح اليوم التالي •



كان المنزل الذي أكثرته سعادة مطلا على الشانزيليديه من جهة و من الجهة المقابلة يطل على المنزل الذي أكثره فخر الدين الذي اختفى أثره منذ محاولته قتل عهد...دخلت الغرفة مرتدية فستانا رماديا يظهر شيئا من الوقار و يغطي كامل جسمها بينما كان شعرها مسرحا بشكل يظهر لمعانه القوي و يبرز الخصلة السوداء التي حافظت عليها طوال السنين، و كان مكياجها ملفتا للانتباه، يلمع مع العقد الأماسي الذي زينته به عنقها...تقدمت إلى الداخل و نادته على الشخص الذي ضايفته منذ مدة قليلة و الذي كان يراقب المارة مستمتعا بمنظر ذهابهم و عودتهم و الطبيعة المحيطة بهم، طبيعة شهر نونبر الباردة.

سعادة : **وائل**، هل أنت جاهز !؟

كان مرتديا بدلة رسمية كاملة السواد و التي لم تظلم لون عينيه الزرقاوين و شعره الأسود بخصلاته الذهبية، بل زادت من ملامحه وقارا و جمالا بارزين.

وائل : أنا مستعد منذ البارحة ! هل أنت كذلك !؟

سعادة : أنا مستعدة منذ أربع و عشرين سنة !

ربتت على كتفيه العريضين ثم أمسكت بهاتفها ليفاجئها خبر اعتقال خليفة و معتز.

♦♦♦

"العميد معتز يقتل زوجته إثر خيانتها له مع المحقق خليفة."



"العميد معتز في قبضة الشرطة بعدما قتل زوجته بدون رحمة متهما جريمته بدافع الشرف!"



"الضابط السابق خليفة معتقل بتهمة الخيانة و المساس بالشرف مرة أخرى بعد سنوات من قضية الاغتصاب التي تبرأ منها!"



"مصممة الأزياء جلييلة، السوبرانو غرام، المحقق خليفة، ضيوف في مقر الشرطة للتحقيق في قضية قتل، قضية شرف!"



- كانت تتصفح أخباره التي غزت كل المواقع و هي مندهشة، ثم قالت بتهكم :
- لا يمكن أن يحصل ذلك مجددا ! لا يمكن.
- وائل، أظن أن خطتنا ستبدأ حالا، يا ابني الحبيب، وقع خليفة بين يدينا ! هيا لنذهب الآن.
- أنا متحمس جداً لأن أكون ابنك.

داخل مشفى المدينة

تركت عهد الغرفة بعد تعافيا التام و ذهبت خارجة قبل أن تلاحظ وجود مراد قرب غرفة مريضته مع زملائه، فارتأت أن تذهب إليه لكنه سبقها و دخل الغرفة فلحقت به.

داخل الغرفة تواجدت المريضة **روزالينا**، مريضة الصرع التي آلت دون تدخل أي شخص لإنقاذ عهد يوم حاول فخر الدين قتلها...هي نفسها المريضة التي كانت تعاني يومها، أصبحت بحال أفضل و أكثر إشراقة...مرتدية فستانها القصير اللامع و شعرها البني الطويل يغطي ملامح وجهها السمراء الفاتنة و عيونها العسلية. دخل مراد رفقة الفريق الطبي و قال أحد منهم محدثا روز :

- ها هو طبيبك، لقد أحضرناه بشحمه و لحمه كما طلبتي !
ضحكت روز و معها الفريق الطبي ثم غادروا جميعا و بقيت لوحدها مع طبيبها مراد. نهضت من الفراش و ظهرت ملامح جسدها ببروز مما أثار انتباهه فطلب منها أن تعود إلى فراشها لكنها أبت و قالت :

- أريد فقط أن أشكرك على اعتنائك بي طوال هذه الفترة، لم تسنح لي الفرصة لمقابلتك شخصيا ولا مرة، كنت دائما أراك مع الفريق عند زيارتك لي و عند الفحوصات و...و أردت أن أشكرك على مجهوداتك، أردت أن أقول لك أنك فعلا طبيب بارع... أنت طبيبي و أنا أقدرك...

- هذا واجبي يا آنستي، هدفنا جميعا أن تصبحي بأفضل حال.
- لقد رأيتك عندما أغمي عليك، أجل لقد تذكرت رغم حالتي تلك، أتمنى أن تكون بخير بعدها !

- أجل أنا بخير لا تقلقي.

- أردت أن أقول أيضاً، أنني... أنني سأجري العملية لكن بشرط واحد، أن تكون ضمن فريق الجراحين، أريد أن أشفى على يدك، أريد أن أعيش، أن تعود إلي عافيتي و أصبح شخصاً طبيعياً، أريد أن أشفى !
- هذا ما سيكون بإذن الله !

كانت عهد تراقب حديثها و سمعت كل كلمة قيلت...بينما اقتربت روز من مراد و طبعت قبلة خفيفة على خذه لتصدم بحركتها تلك من كانت تراقبها عن كثب. احمر وجه مراد ثم ودع روزالينا تاركا الغرفة ليفاجئ بوجود عهد هناك. تساءل عن تواجدها هناك فأخبرته بكل شيء :

- لقد تم اختطافي مجدداً، لكن هذه المرة كانت قوية علي، لقد كانت غرام من اختطفي، لا أعلم لماذا فعلت ذلك، هل لكي تحرمي من المشاركة في المسابقة أم هناك سبب آخر، لأنني لا أعتقد أنها قد تفعل ذلك فقط من أجل اللقب، لا يمكن ! هناك شيء آخر !؟

- و لم ستفعل ذلك ما الذي قد يكون سبب فعلتها، ألا تعتقدين فعلاً أنها تغار منك و تحقد عليك لسبب ما !؟

- أنت الذي يقول هذا و تعلم كل ما مررت به معها، إنها أكثر من أختي !

- لا يمكنك أن تعلمي ماذا يخفيه الإنسان !

- ماذا يخفيه أم ماذا عاشه و لاحظته !؟

- ماذا تقصدين !؟

- أقصد علاقتك بها !

- أي علاقة ! لا يجمعني بها شيء ! و لا يمكن أن يكون بيني و بينها شيء أبداً !

- لماذا انفجرت هكذا ! أنا فقط سألتك لأن تكون تعلم شيئاً عنها !

- لا تسأليني هكذا مرة أخرى ! اذهبي الآن لدي الكثير لعمله.
تفاجأت بشدة من تعامله معها و هي التي كانت تنتظر منه أن يسأل عن حالها بعد
إخبارها له عن اختطافها، لكن كان عكس الأمر الذي توقعته كليا، تركته يبتعد عنها
و توجهت إلى غرفة روزالينا لتعاتبها على تصرفها المشين ثم تركت المشفى و رأسها
مثقل بالتفكير و الهموم متجهة إلى منزل غرام.

• مكتب التحقيق •

° خليفة :

- لا أتذكر شيئاً مما حصل، لم أفعل شيئاً مما تهمونني به و إذا ربطتم هذا
الحادث بما سبق و ظلمت به في الماضي فأتم تهدرون وقتكم...

° جلييلة :

- لا يمكن أن يفعل زوجي ذلك، لقد كان لدينا لقاء لتسوية الأمور بين
العائلتين، إذن كيف يمكن أن يفعل ذلك بينما نحن بأكملنا داخل البيت...

° غرام :

- لقد كنت أنوي الطلاق من زوجي لذلك جمع العائلتين لكي يحول دون ذلك،
لم يأتي أبي أصلاً وقتها، ظللنا ننتظر دون أن يظهر له وجود... لا يمكن أن
يفعل ذلك !

• معتر :

- انظر، لا تسألني تلك الأسئلة الروتينية ؛ "وجدنا بصماتك على السلاح لذا اعترف، لا يمكنك جلب محاميك الآن لأنك قتلت زوجتك،..." أجل لقد قتلت زوجتي لأنها خانتني، لقد ضبطتها مع المحقق الذي يعمل معي، لقد خانا ثقتي، هو الذي أفلت من يدي، لقد ضبطتها معا في الفراش، سوية، ما الذي كنت ستفعله مكاني، هل ستسامح ! لا أظن، لا أرى رجلا يكتشف خيانة زوجته و يظل صامتا ! يقتل أو يموت رويدا رويدا ! لذا لا يمكنكم أن تتركوه طليقا، الخائن، دمر حياة الكل !

١ خليل :

- لا أصدق أن والدي من قتل والدي، لا يمكن أن أصغي إلى هذه التفاهة،...أولا تخبرني أن أمي أقامت علاقة مع المحقق ثم تخبرني أن والدي ضبطها معا و قتلها بدون رحمة، لا يمكن أن يحصل هذا، كيف يعقل، إنه والدي، إنها والدائي كيف يؤول بهما المطاف إلى هذا الحال، كيف...
كان يصرخ في وجه المحقق و قلبه يتمزق ألما غير مصدق للواقعة التي عاشها بين يوم و ليلة، دموع الحزن و الحيبة تنهمر من عيونه و الصدمة لا تفارق محياه...إلى أن خرج و واجه والده أمام كل الحاضرين، والده الذي كان بين قبضة شرطين و الأصفاد تكبل يديه و هو ينظر إليهما بعينين حزينتين.

خليل : كيف استطعت فعل ذلك، كيف سولت لك نفسك أن تنهي حياة والدتي، كيف استطعت أن تنهي حياتي أنا أيضاً و حياتك هي الأخرى، كيف وثقت أن أمي بإمكانها خيانتك، ها، هل صدقت فعلاً أنها تجرؤ على ذلك !
معتز : لقد كانا أمامي، كانت في حضنه، كيف لا أصدق و أنا رأيتهما بعيني !؟ اسمع والدتك انتهت، و أنا أيضاً انتهيت معها !
خليل : أمي لم تمت، بل أنت من قتلتها و أنهيت حياتها دون أن تسمح لها بتبرير ما حصل،... لن أسامحك مهما حييت، **ليس لي أب مثلك**، لقد أصبحت يتيم الأبوين منذ الآن، لا أعرف شخصاً مثلك !

أخذت الشرطة معتز و ذهبت به بعيداً عن نظر ابنه الذي تحاشى أن يراه و هو يصعد السيارة، بينما توجهت غرام بحديثها همساً إلى والدها الذي كان بجانبها هو و والدتها منتظرين الإفراج عنهم.
غرام : لا تفكر أنني شهدت لصالحك لأنك والدي، لقد فعلت ذلك لكي لا تدخل السجن و أراك بعيداً عن متناولي، ما زال بيننا الكثير يا أبي لكي نخلصه، لن أتركك بتلك السهولة، تذكر، **أنتي أنا من أقتدتك من الموت !**
خليفة : لم أطلب منك شيئاً و لم أترجى أن تنقذيني.

و بينما أخذ الجميع مقعده منتظرين تحريرهم من التحقيق دخلت سعادة فجأة عليهم و اهتزت جليلاً عند رؤيتها بينما استغرب خليفة فقط من تواجدها هناك.
سعادة : هااي،...أريد رؤية المحقق !

وجهما الشرطي إلى مكتبه و كان في وقتها على أهبة الخروج منه فاقتربت منه و
خاطبته و كان كل ما قالته على مسامع الجميع.
سعادة : سيدي المحقق، لقد اطلعت على ما حصل للضحية و أنا متأسفة بشدة
لذلك، لكنني رأيت صورة زوجي و اتضح لي أنكم تتهمونني في ذلك...
المحقق : من أنت و من هو زوجك، إنك تعيقين عملي الآن !
سعادة : خليفة، هو زوجي، لقد كان زفافنا أمس،...
صعقت الجميع بما قالته، لدرجة ترك خليفة مقعده و لحقت به جليلة و غرام غير
مصدقين لما قالته.

سعادة : لا أظن أنه من الممكن أن يكون معي في قاعة الزفاف و يكون في حضن
عائشة في آن واحد، هذا غير معقول، ها هو عقد الزفاف، و هناك شهود على
زواجنا، و هناك ابننا أيضاً، أظن أن الدلائل كافية لتحرير زوجي !
ضحكت جليلة فجأة و قالت : أرى أنك عدت بقوة يا سعادة، و ها أنت الآن
تقومين بنفس الخطأ...و جعلت الزمن يعيد نفسه !
تفاجأت غرام من كلام سعادة " زوجة أيها " و بقيت تنظر إلى الاثنين في دهشة
في حين كان خليفة مصدوماً من زواجه المزيف بأكبر عدوة له، رغم أن حيرته لم
تفارقه عند قولها كلمة "ابننا" و لم تلبث هذه الحيرة طويلاً عند دخول وائل و
التحاقه بها.

سعادة : ها، ها هو ابني الطويل، ابني الحبيب، ابني أنا و أنت يا حبيبي !
اتسعت حدقتا عينيه و أصابت جليلة نوبة من الضحك الهستيري و هي تقول :
فعلاً لقد أصبحت خطيرة على الجميع، في مستوى عالٍ !

الفصل ١٤ :

"وحيدة، منبوذة"

عهد : أ هكذا تعاملين جميع أطبائك أم مراد فقط !

روزالينا : و ما شأنك أنت ! إنه طبيبي و أعماله كيف يحلو لي !

عهد : لا يمكنك ذلك،... لا نرى يوميا مريضة تقبل طبيها مرتدية فستانا قصيرا يبرز كل ملامح جسدها !

روزالينا : إذا كنت تغارين مني، فامرضي أنت أيضاً و عامليه مثلي !

عهد : أأغار منك، و من أنت لأغار منك على أخي !

روزالينا : آه إذن أنت أخت مراد، إنك تغارين عليه غيرة الأخوة،... اسمعي،

أنصحك بالابتعاد عني لأنني لست الشخص الذي تظينه في بالك !

عهد : أنا أخبرك أن تتعدي عن مراد فقط،... و الشخص الذي أمامي الآن أكثر من الذي أظنه في بالي عنك !

روزالينا : جيد أنك تفهمين.

- - إنه لي وحدي و لن أسمح لشخص تافه أن يبعده عني



• عرض الحذاء المفقود •

اختارت جلييلة أن يكون عرض أزيائها بطابع خاص و مكان مميز، لذلك نسقت مع المنظمين أن يكون بالقاعة الكبرى قرب متحف اللوفر، إذن من البديهي أن يكون كل الحاضرين في مستوى عالي من الأناقة و الرقي، و هذا ما كان عليه الأمر، لا من المصممة بنفسها، العارضات و الحاضرين بأكملهم ؛

مر أسبوع على حادثة الخيانة التي ذهبت ضحيتها عائشة بينما تم الحكم على معتر بالسجن المؤبد، و عكس ما توقعه الجميع فإن خليفة تبرأ مجددا من الجريمة و مرة أخرى بفضل سعادة، و كان ثمن حرיתה هو **زواجه الفعلي** منها في الوقت الذي أخذت فيه ابنته غرام حريتها من الزواج المدبر من خليل بعد موافقته على طلبه الطلاق منها رغما عنه.

اليوم عرض جديد من عروض أزياء المصممة الشهيرة جلييلة و التي ابتدأت في مجالها كعارضة، و هو الشيء الذي يعلمه جميع متابعيها و الشركات و العارضات الذين تعاملت معهم طوال السنوات الماضية و اليوم اختارت تيمة مميزة و سابقة من نوعها لعرضها تحت عنوان : **الحذاء المفقود**  ، و الذي ستكون عارضته الرئيسية هي **روزالينا**.

كانت القاعة لا تخلو من عشاق الموضة و خاصة عروض جلييلة التي تميزت دوما بتصاميمها الجريئة، مرة تخرع نصف فستان من قماش و نصفه الآخر من ثوب مختلف بينما المزيج كان دوما ناجحا و ملفتا للنظر، أما اليوم فقد اختارت لعارضاتها أن يلبسن فساتين سوداء طويلة مرصعة بالجواهر و تسريحات شعر عادية بينما يلبسن فردة حذاء واحدة.

دخلت جليلة إلى بهو القاعة و مرت عبر ممر العارضات تحت تصفيق الجميع مرتدية فستانا رماديا مزركشا و مرصعا بالألماس قدمت كلمتها ثم التحقت بمقعدا بجانب الجمهور لتشهد عرضها و الذي عللت عنوانه كالتالي :

- اخترت هاته المرة أن يكون عرضا مميزا، أعلم أن الحركة ستكون مغايرة عند العارضات و ظاهرة بشكل واضح، و هذا ما أريد إبرازه في عرضي، كل شخص منا يمر بفترة أو مرحلة يفقد فيها شيئا غالبا لديه أو ضروري بشكل لافت، البعض يجبر على إكمال حياته بالنقص الذي فرض عليه، نقص كبير يظهر لدى الجميع لكنه يفضل السير بذلك النقص، أما البعض الآخر فيظل يبحث ليعوضه حتى يفوت الآوان و يجد أن الوقت أمامه نفذ و لم يستطع أن يعيش حياته و هو تائه يبحث عن من يعوض نقصه، لذلك أنا اخترت الطريق الأول لعارضاتي القويات، يجب عليهن أن يمشين بخطوات واثقة كالعادة بالنقص الذي فرضته عليهن...أتمنى أن ينال العرض إعجابكم و أن تفهموا جيدا موضوعه.

قوبلت بتصفيقات حارة و فهمت من ذلك ان الرسالة وصلت قبل أن يبدأ عرضها...و على إيقاع تصفيقات الحاضرين عادت غرام من غرفة تغيير الملابس بعدما أعادت وضع مكياجها و أضافت طبقة أخرى من الملمعات لتلتقط يدها والدتها و تخبرها بالمفاجئة التي حضرتها لها ؛ التحقت بها عند مقعدا ثم التقطت فستانها الأسود المخملي لتجلس براحة قرب والدتها.

جلیلة : أريد أن أهديك شيئاً،...أعلم أنه ليس حفلك لكن هديتي لك لن تحتاج مناسبة... انظري ؛

خلال ما مر من أيام كانت أحاديث غرام و والدتها كثيرة بعد زواج خليفة بسعادة و عن حقيقتها و ماضيها، من ذلك علمت غرام أن سعادة تنتقم من والدها لأنها الوحيدة التي تعرف حقيقة ما فعلته به ليلة وفاة عائشة، لذلك طالت أحاديثها و استغلت جلیلة الفرصة لتتساءل عن حالة غرام التي دفعها لتصرفات غريبة لاحظتها فيها منذ زواجها بخليل إلى اليوم الذي أخذت فيه طلاقها منه قبل أيام قليلة، هناك استرجعت شيئاً من شخصها القوي و السوي الذي عهدته عليها، و من خلال تبادلها الحديث علمت جلیلة علاقة الحب التي تجمع بين ابنتها و مراد، علمت الحب الكبير الذي نشأ بينهما بين ليلة و ضحاها، و كما ستقوم به أي أم تجاه وضع ابنتها هو أن تحقق رغبتها و تعيد إليها الحب الذي فقدته ظلماً...و كان هذا ما فعلته جلیلة بدعوته مراد إلى عرض أزيائها، لتجعل الاثنين يتقابلان من جديد.



تفاجأت غرام بشكل واضح عند رؤيته ببدلته السوداء الراقية و شعره الطويل المعكوف و نظرتة الثاقبة...عكسه هو الذي كان واثقا من حضوره غير مباليا بتواجدها.

تقدم أمام جلیلة و قدم إليها التحية شاكرًا إياها على دعوتها ثم تساءل عن سبب دعوتها له.

جلیلة : أردت أن تحضر اليوم لأن عرضي مهم و أردت لكل شخص أعرفه أن يتشارك معي فرحتي، و أنت صديق ابنتي المقرب لذلك أردت أن تأتي أيضاً.

مراد : أشكرك جدا لأنك فكرت في دعوتي... سيكون هذا أفضل عرض لك و كما تريدن بحول الله.

جلیلة : أتمنى ذلك، حسنا سأتركك مع صديقتك، أعلم أن هناك بعض الأحاديث التي لا تريدان لآباءكم سماعها، سأذهب الآن.

ضحك الثلاثة بشكل مقصود و الأعين تعبر عن عدم راحة الواحد للآخر.

غرام : لماذا قدمت إلى هنا ؟!

مراد : لقد تمت دعوتي ! هل غير مرحب بي أم ماذا ؟!

غرام : أجل الأمر كذلك !

مراد : هل تظنين أنني جئت هنا من أجلك، إذا كان الأمر كذلك فأنت مخطئة ! فكما تعلمين أن عروض الأزياء تستهويني بشكل واضح !

قال ذلك متهمًا لأن غرام تعلم جيدا أن ما قاله ليس حقيقيا بالمرّة.

غرام : و لماذا تأتي من أجلي، و لماذا يهمني أمري، و من تكون أنت بالنسبة لي، أظن أن هذه المرة الأولى التي أراك فيها منذ...

مراد : منذ زواجك !

غرام : أجل ! لو كان أمري يهمني فعلا، لما كانت هذه أول مرة نرى فيها بعضنا مجددا !

مراد : و من قال أن أمرك يهمني !

غرام : إذن ابتعد من أمامي و اذهب لتأخذ مقعدا مع الضيوف.

ذهب بعيدا عنها و جلس قرب جليلة، المكان الذي رآه مناسبا قربها و قرب غرام، التي ثار غضبها حين جلس بجانبها...و استطاعت كتمان غضبها بصعوبة.

خمس دقائق قبل بداية العرض دخل آخر المدعوين، خليفة و زوجته سعادة و ابنها وائل، مدعوين من طرف المصممة شخصيا.

ظهرت سعادة بستان لامع بنفسجي قصير و مكياج لافت قوي و تسريحة شعر مموجة بينما ارتدى خليفة بدلة سوداء مثل ابنه وائل. كانت تظهر على وجه خليفة ملامح ضائعة و تأهية لأن زواجه من سعادة لم يكن من خططه و لا تفكيره أبدا، بل فُرض عليه ليتجنب سجنه و يتبرأ من تهمة لُفقت إليه...بينما كانت سعادة و ابنها فرحين و كانت علاقتهما واضحة و وطيدة مثل أم و ابنها.

قدموا التحية إلى جليلة بشكل عادي أمام الناس ثم التحق كل بمقعده لتمر سعادة أمام ابنها الحقيقي مراد.

كان مقعدها بعيدا عن مقعده، لكن الممر كان ضيقا لذلك تقدم خليفة أولا ثم وائل ثم سعادة، الوقت الذي سمح لها بالتواجه مع مراد الذي كان جالسا ينظر إليها و ملتفتا إلى شدة جمالها ثم أزاح بنظره عنها عند الإعلان عن بداية العرض...مر الجميع و انتهت فترة اللقاء القصيرة بين الأم و ابنها، الفترة التي ستكرر في وقت آخر.

بدأ العرض و تقدمت العارضات واحدة تلو الأخرى على إيقاع موسيقي صاخب ثم أتى الدور على العارضة الرئيسية روزالينا ليتفاجأ مراد من تواجدها هناك و من حقيقة مهنتها التي يعلمها للتو.

دخلت روزالينا إلى ممرها مرتدية فستانا أسود طويل لا يحمل زينة و لا لونا و شعرها كان عاديا، و كما سبق و رأى الجميع هي الأخرى كانت ترتدي فردة حذاء

واحد، تقدمت على إيقاع الموسيقى و عند منتصف الممر تهاطلت عليها أوراق
لاصقة عديدة لامعة و مختلفة الألوان لتقع على فستانها و تزينه ليتغير مظهره كليا.

ترن ترن...

دقات متوالية على منزل غرام و عهد في انتظار الجواب،...نصف ساعة مرت و هي
تنتظر قدوم أحدهم بلا جدوى.

عهد : أريد فقط رؤيتك، أريد أن أعرف السبب، أين أنت الآن !...

ملت الانتظار ثم غادرت لتعود في وقت لاحق أو تسأل عنها شخصا يعرفها و
اتجهت إلى منزلها.

فتحت مهجة الباب و استغربت من تواجدها هناك فواجهتها بشكل شرس.

- ما الذي تفعلينه هنا ؟! كيف تجرؤين على العودة !

- لقد عدت رغما عني، هناك أمور أخرى يجب أن أفعلها، لا تظني أنني سامحت
فعلتك الشنيعة و كلامك القاسي!

- إذن ماذا تريدان في منزلي !؟

- لا أريد من منزلك شيئا، سأغادر و لن تريني مجددا، جئت فقط في أمل أن أجد
شخصا يجبني فعلا، أشعر أن الكل تخلى عني، لقد ذهب الجميع بدون مبرر، لم أفهم
لماذا، ما الذي اقترفته في حقكم، ماذا فعلت ؟

- لا تدرين ماذا فعلت، لقد حطمتي أملي فيك، تمردت علي، دمرت حلم السوبرانو، ما الهدف منك الآن، أنت لست ابنتي، أنت لست الشخص الذي وضعت به آمالي، أنت شخص ضعيف أمامي، لا يمكن أن تكوني ابنتي !

- هل أكون ابنة شخص آخر، هل خطفوا ابنتك الحقيقية منك أم ماذا؟! هل لأنني لم أحقق حلمك لا أستحق أن أكون ابنتك، أتدري لقد كنت أنوي الذهاب للحفل و القيام بدوري و تأديته بكل ما أملكه، لكن منعوني من ذلك أيضاً، ما الذي أفعله لك يا أمي الحبيبة !

- لم يعد هناك أهمية لأي شيء، خذي أشياءك و اغربي عن حياتي، لا أريد رؤيتك مجددا !

- أريد أن أعرف من يكون أبي، عله يجبني دون مقابل، أريد أن أراه، أخبريني أين هو؟!

- لن تعرفيه و لن تجدي شخصاً يجبك كما فعلت أنا، لا يحق له معرفتك و لا الظفر بك، هيا ابتعدي من هنا !

ظهرت أمارة الحزن على وجه عهد و سمحت لدمعة من عينيها بالظهور و أخلت الطريق لضعفها للمرة الأخيرة أن يظهر للآخرين فارتمت في حضن والدتها و عانقتها بشدة ضاربة عرض الحائط كل الذي مر من أفعالها في وجه الحب الذي أرادت أن تشعر به، لكنها لم تستطع التقاط ولا ذرة حب من والدتها التي أبعدتها عن جسدها بعنف منصاعة للخطيئة التي ارتكبتها في حق ابنتها للتو و التي من الممكن أن تكون آخر مرة تراها فيها.

شعرت عهد بجزن كبير طغى على مشاعرها و لم ترى أمامها إلا أن تستجمع نفسها و تذهب إلى غرفتها لتوضيب أمتعتها و تستعد لتغادر المنزل بصفة نهائية.

و كان هذا قبل أسبوع من الآن، أما حاليا فعهد مستقرة في غرفة فندق بعد أن استسلمت لحزنها و أغلقت عليها الأبواب غير مبالية بالذي يحصل حولها و لا بالأسئلة التي كانت تدور في ذهنها و التي كانت تحتاج إلى جواب قاطع، و بالتالي لم تعلم أن والده صديقتها تقيم عرض ازياؤها بحضور الجميع و أن غرام على موعد مع حفل السوبرانو الخاص بها...لم تذهب للبحث عنها و ارتأت أن تنغمس في حزنها لوقت آخر.

أعجب الجميع بعرض جلييلة و هي بنفسها انبهرت من أداء العارضات و الرجل الذي كان بجانبها كان مسحورا بشيء آخر... انتبهت جلييلة لتمعنه فيها فلاحظ انتباهها و قال موضحا لها كي لا تفهم الأمر بشكل آخر ؛

بيير : لقد علمت أنك مصممة هذا العرض، فعلا لقد أبدعت، لقد أحببت الموضوع جدا و فهمت مغزاه، للإشارة فقط أنا والد روزالينا، اسمي بيير.

جلييلة : بيير بمعنى حجرة باللغة الفرنسية أليس كذلك !

ضحك الاثنان بهدوء ثم أردفت جلييلة : إذن لا داعي أن أقول لك مرحبا بك، فأنت بمثابة ضيف رئيسي !

بيير : حسنا لنقل ذلك، لقد تشرفت بمعرفتك سيدة جلييلة، أو بالأحرى آنسة !

ابتسمت جلييلة في وجهه ثم قالت : ذكي أنت !

بيير : لعلها لا تكون آخر مرة نلتقي فيها.

لم تجب على كلامه و من عينيها فهم الجواب الذي انتظره منها...

كانت شرارة الحب تتطاير في الهواء من جديد غير أنها لم تمر عبر سماء العشق الحقيقي بين غرام و مراد اللذان لم يلفظا كلمة واحدة طوال مدة العرض و كان الأمر برمته نظرات تحمل في طياتها موجات من العتاب و الحزن تتقاذف على إيقاع سمفونية الخطيئة و تزيئها أضواء الكاميرا التي التقطت صوراً عديدة للحاضرين و المصممة مع عارضاتها.

كان الجو مغيباً بالنسبة إليه، شعر أن الفرحة لن تعود لقلبه و لو كانت مزيفة، كان ينظر فقط إلى السماء حوله و هو على شرفة بيته متكئاً على كرسي عريض منتظراً هطول نجمة يتمنى من خلالها شيئاً يعلم أنه مستحيل عليها تحمل عبئه و تحقيقه، إنه ليس زمن المستحيلات و المعجزات، لقد وقع خليل في زمن كثرت فيه الخطايا و أصبحت في قلب كل شخص تهباً له في صورة تاج يتلأأ داخله، يتعنى به دون أن يعلم أنه سبب تدميره...

كانت رنة الهاتف وحدها من قدمت إليه ليلتها، و لم يكن له إلا الاستجابة لها... كانت رنة رسالة مجهولة الهوية تحمل فيديو مصور بداخلها، نقر على الفيديو و بدأ التحميل و قبل أن يكتمل تحميل الفيديو لاحظ صورة غرام تمسك بوالدته، فانتابته رعشة قوية ازدادت عند اكتمال التحميل ؛

لقد رأى كل ما يجب عليه رؤيته، رأى كيف ارتكبت غرام خطيئتها، كيف دفعت بوالدته إلى الموت و بوالده إلى الظلم و السجن، و كيف اقتادت قلبه ليلتها إلى

حريق مهول لا نجاة منه، لم يصدق الأمر أولاً لذلك أعاد مشاهدة الفيديو مرة ثانية، وكان الأمر واضحاً وضوح الشمس لا يحتاج برهان، الفتاة الذي عاش بحبها أنهت حياته اليوم.

- كيف ؟ كيف تفعلين هذا بي !؟ لماذا يا غرام، لماذا، ما الذي اقترفته بحقك، ماذا أذنبت في حياتك لتصلي إلى كل هذا ! لماذا !...!

صرخ بكل قوته محاولاً تحرير نفسه من النار التي تحرق قلبه و من اليد القوية التي تضيق الحناق على رقبته، كان يعتصر ألماً و هو يتلوى في مكانه من شدة صدمته، ما الذي يفعله الآن، إنه يواجه حب قلبه أمام حياته و حياة أعز الناس لديه.

الفصل ١٥ الأخير

"هل يقف الحب عائناً أمام قوة الانتقام!"

Le Bal Masqué



بعد طول انتظار، ها هو الآن حان موعد حفل السوبرانو الذي انتظرتة غرام و معجبيها بشدة، لأنه شيء ملزم على الفائز أن يجي حفله بالموضوع الذي يريده ليتوج نفسه مرة أخرى على طريقته.

اختارت غرام أن يكون حفلها بطابع كلاسيكي محض، بحيث فرضت على الحضور أن يظهرُوا **بجالة كلاسيكية** عريقة بقناع على الأوجه، لذلك سُميت الحفلة **Bal masqué**...و كان المكان الذي اختارته هو قاعة الحفلات للسفراء بحيث حصلت على الترخيص التام من لدن الدولة إثر فوزها بلقب كبير معترف به و مشهود على أهميته...كان اختيارها لتلك القاعة خصيصاً هو عشقها للزينة التي تميزت بها و التماثيل العديدة التي تحتويها، تماثيل منحوتة على هيئات بشرية، على هيئات تصويرية و على أشكال بعض الحيوانات، أسد أو صقر، رموز تدل على قوة الدولة. لذلك أخذت القاعة زينة أخرى اليوم، مصابيح كريستال كبيرة الحجم، ثريات معلقة هنا و هناك، زرابي حمراء مفروشة بشكل دائري بمكان يسمح لرقصة كل ثنائي ثم الديكور المميز بالأقنعة الكبيرة الحجم المملصة على الحوائط و الجدران، أقنعة باللون الأزرق و الأسود بلمعة خاصة...هنا في هذا المكان المميز تواجد أكثر من مئتي شخص، ضمنهم المقربين، المعجبين، مديري الحفل، مديري التصوير، رؤساء القاعة، المدير الفني للسوبرانو و مدير المعهد الذي درست فيه و المنظم للمسابقة.

غير المقربين من غرام ؛ والدتها جليلة و مراد، حضرت روزالينا و والدها بيير بدعوة من جليلة بعد موافقة غرام، إثر العلاقة التي تربطها بعملها و العلاقة الجديدة التي تكونت بين جليلة و بيير.

ظهرت جليلة بإحدى الفساتين التي صممتها لنفسها و الذي أحرز إعجابا كبيرا من طرف النقاد و المستهلكين، فستان نصفه **Dentelle** و النصف الآخر **Satan** أما روز فكان مظهرها ملفتا بحيث ارتدت فستانا يخص الأميرات، قصير أحمر عجري مزركش من الطراز القديم العالي الدقة، كان بجانبها والدها مرتديا بدلة خضراء مخملية و مراد مرتديا بدلة بيضاء بقميص أسود.

بعد لحظات ظهرت غرام على شرفة القاعة و التي تطل على كامل البهو و المتصلة بدرج طويل يسمح للذي ينزل منه بالتمهل في خطواته و إبراز مظهره بشكل واضح...و كان هذا ما قامت به غرام، بفستانها الرمادي من الصوف العتيق و وشاح طويل رفيع يتعدى طولها، تسريحة شعر كلاسيكية مرفوعة إلى أعلى الرأس و لمعات بارزة على مستوى الفستان، الوجه، و الشعر...تقدمت بخطوات ثابتة و نزلت الدرج لتلتحق بهو القاعة تحت تصفيق الحاضرين جميعا الذين كانوا بلا قناع وقتها.

غرام : مرحبا بكم جميعاً...أود أن أطلب منكم جميعا ارتداء أقنعتكم و أنا أيضاً سأخذ خاصتي الآن.

ارتدى الجميع قناعه بأشكال مختلفة و كان خاصة غرام بلون أزرق و أسود مثل القناع الكبير المعلق على الحائط و الذي يحمل لمعات هو الآخر باللون الذهبي.

بدأت الحفلة بإيقاع موسيقى الجاز الهادئة و بدأت الثنائيات تتشكل فاتخذت غرام مراد شريكا لها بقناعه الأسود المرصع باللون الذهبي...أمسك بيدها بعدما عرفته جيدا و تيقنت من هويته عبر ثيابه التي لحظتها أول شيء عند نزولها الدرج،...تمايلت معه على إيقاع السمفونية و عيناها وحدها من تتحدث، عيناه الزرقاوين و عيناها أيضا تخاطبه بشكل شرس، ذلك الحوار الذي أرادت خوضه في مواجهته مباشرة و هي تفضي بكل ما يحمله قلبها من غضب و ألم له و هو الآخر يتمنى لو كان الخطاب الذي تصدره عينه يعبر شفثيه و ينطق به صارخا أمامها و يقول : لماذا تخليتي عني ! لماذا تزوجت رغما عنك ! من يفعل شيئا كهذا بجبيبه ! أهذا هو الحب بالنسبة إليك ؟!...! لكنه لا يستطيع البوح بذلك الآن، ليست له القوة الكافية لمواجهتها و لا هي أيضا و تخبره كيف تأملت جدا بخيارها و هي تنتظره ليأتي ليمنع خطيئتها و يتجراً على مواجهة قرارها بالانتقام و أن يطبق مفهوم الحب الذي يكنه لها، انتظرته عند هروبها من زوجها، عند إعلانها خبر عمليتها و قرارها القاطع، انتظرته عند طلاقها،...لم يأتي، لم تسمع ولا كلمة أرادت أن تصل إليها، لذلك اكتفى الاثنان بالانتظار و الرقص على إيقاع خطاياهم...الأناينة، الجشع و الغضب تتراقصن على خطواتهما ثم نبست غرام بكلمة بعد طول صمت :

- لا تظن شيئا آخر في اختياري لك كشريك، لقد فعلت ذلك فقط لأنني أعلم أنك تجيد الرقص و لا أريد شخصا عديم الخبرة ليرقص أمامي في حفلي و أمام جمهوري.

ضحك جدا ثم قال لها : لم أكن أظن شيئا، إنك وحدك متسرة في أفكارك و حديثك، لقد قبلت الرقص معك فقط لكي لا تبقي وحيدة و أنت السوبرانو و لكي لا تقعي أيضاً مع شخص تافه.

- إذن ابتعد عن جسدي الآن !

و بحركة قوية منه اقترب منها أكثر و تمازجت أنفاسهما و اتقدت النار داخل عينيها،
نار الحب و العشق، نار الغضب أطفأتها حركة أخرى منه أنهى بها الرقصة و
أمسك يد غرام موحيا إلى انتهاءها.

بعد لحظات انتهت الرقصة الأولى و بدأت المشروبات و الحلويات توزع على
الضيوف و البعض استغل الفرصة لتغيير المكياج أو الذهاب لاستنشاق هواء
الخارج، و بين الضيوف **شخص ما أخذ قناع غرام** بعدما أزالته عن وجهها لتقابل
مدراء القاعة ثم ذهب به بعيداً عندما لمح عهد تقترب من الشرفة باحثة عن غرام
بعد عودة الرغبة إليها في تفقد جوابها ;

فهمت أنها لن تخرج من حالتها تلك بمكوثها وحيدة في غرفة فندق تتآكل أفكارها و
يتمايل ذهنها من فرضية إلى أخرى، إلا بالإجابة القاطعة على السؤال الوحيد الذي
زاد من حالها سوءا... لذلك عندما رأت صور حفل غرام معلقة على الأعمدة
الكهربائية عبر شرفة غرفتها سارعت و استعدت لتحضر حفلها و تتلقى إجابة،
لكنها تلقت شيئا آخر.

سمعت صوت الشخص الذي تعقبها و الذي اتخذ من قناع غرام ضمانته له و حماية
لهويته... اقترب منها كثيرا و التفت نحوه ثم قالت باستغراب : أنتِ؟! ما الذي
تفعلينه هنا!؟...

و لم تسمح لها باستكمال حديثها **فقدت جسدها** من أعلى الشرفة ليتطاير فستانها
الأبيض و شعرها الذهبي وسط لمعات الثريات و التماثيل الكبيرة الحجم و الذهبية
اللون و تسقط على أحدها جاعلة دمائها تزينه بشكل آخر.

سمع الكل وقع سقوطها بعد أن كانت الموسيقى خافتة لتسمح للجميع بتبادل الأحاديث و التهاني، فصُعق الجميع عند رؤيتها و تعالت صرخاتهم، صدمة كبيرة على غرام عند تعرفها على الشخص الهالك أمامها بمعية مراد الذي وقف جامدا أمامها، بينما فقدت روزالينا وعيها و سقطت بين يدي والدها، فتسارع الجميع للابتعاد عن مكان الجريمة، لغو هنا و هناك، كل شخص يصطدم بالذي أمامه بينما بقيت غرام و والدتها و مراد في مكانهم و الدم يتجمد في عروقهم إلى حين أتت سيارة الإسعاف بعد ربع ساعة من اتصال حارس القاعة.

غرام : أخبرني أنها ليست عهد التي هناك، أخبرني أنها لم تمت، أرجوك يا مراد، أخبرني العكس...

كانت تحدته و هي ترتجف و تبكي بحرقة بينما اكتفى بإمساك يدها و هو غائب عن الوعي.

اقتربت من جسده و عانقته بشدة و هي تقول : لا يمكن أن تموت، لا يمكن!... بعد لحظات و فريق الإسعاف يحاول استئصال جسد عهد من فوق التمثال الكبير العالي الطول، الأمر الذي يبدو صعبا للغاية، خاصة بعد رؤيتهم لها تقوم بتحريك شفيتها و بضع أصابعها ليتيقنوا من أنها لا زالت على قيد الحياة... لذلك اتخذوا كامل الحيطة عند إنزالها بالمرقع كي لا تتدهور حالتها أكثر و يحافظوا على حياتها مهما تطلب الأمر.

ذهب الجميع خلف سيارة الإسعاف و عادت جليلة لتأخذ هاتفها و هاتف ابنتها للبحث عن رقم مهجة و إخطارها بالأمر غير أن شخصا مقنعا ترصدها و انهال عليها

بضربة أفقدتها وعيها ثم خرج بها عبر البوابة الخلفية... شخصا يحمل لها أشياء
ستقلب حياتها رأساً على عقب.

داخل المشفى أسرع الفريق الطبي بإجراء الجراحة و التحق بهم مراد الذي قدم
برفقتهم على متن سيارة الإسعاف برفقة غرام،...غرام التي تنتحب الآن أمام غرفة
العمليات منتظرة قدر صديقة عمرها الذي سينحط بسببها اليوم...بعد دقائق دخلت
مهجة بعدما اتصل بها أحد الأطباء من الفريق لإعلامها بحادث ابنتها و هو نفسه
الطبيب الذي اتفقت معه لتخدير مراد بالمادة السامة.

مهجة : أين ابنتي، ما الذي حصل بها، كيف أصابها الحادث، ما الذي حصل
أخبريني!...

غرام : تمهلي أرجوك، لقد...لقد وقعت من أعلى الشرفة...

صعقت عند فهمها حجم و وقع الحادث الذي تعرضت له "ابنتها"، تقبل دماغها الأمر
بشكل غريب بعد تخليها عن ابنتها و هي الآن تحتضر بين يدي من تخلى عنها
أيضاً...

ظلت تصرخ و تنتحب بينما أصرت غرام على تهدئتها دون جدوى إلى حين قدوم
إريك.

- ما الذي حصل يا مهجة!؟

سمعت صوته و تأكدت منه، إنه هو، عشيقها والد عهد، عشيقها الذي احتمت في
حضنه عندما تخلى عنها فخر الدين، الرجل الذي اتصلت به بعد سنوات و كانت

دائماً تحتفظ برقم هاتفه و تأخذه كلما يقوم بتغييره، لأنه في آخر المطاف يكون والد ابنتها المنشود.

التفت إليه و رأت أنه ينظر إليها بألم و غضب، عيناه كانتا محترقتان و قلبه كذلك، إنه يكتشف للآن أن لديه ابنة.

مهجة : إريك، أرجوك، إن ابنتن...

قطعت كلامها عند خروج شخصين من الفريق الطبي يحملان جسد مراد و هو **غائب عن الوعي**، منظره كان يهز القلب و كان الأمر صعباً على الجميع و محيراً.

أمسكت به غرام و هي تصرخ في وجه من يحمله منتظرة تفسيراً دون أن تتلقى الجواب، و ما زاد من حدة خوفها هو خروج أحد الأطباء من بوابة المركب الجراحي و الذي ظهر من حاله التعب و العرق يسيل من جبينه.

اقتربت منه مهجة مسرعة مبتعدة عن مراد الذي ذهب بعيداً على حمالته ثم قال الجراح بنبرة خافتة :

- أنا آسف، لقد فقدنا المريضة !

انتهت حياة عهد يومها و انتهى أمل الجميع في استرجاع طريقه بعيداً عن خطاياها، بموتها تدمرت غرام مرة أخرى بعدما كانت هي السبب في ذلك بطريقة أو بأخرى، حياة والدتها انتهت أيضاً و انقادت إلى طريق وعرة و مليئة بعثرات الخطايا التي لا رجوع منها.

إريك : بسأ لك مهجة، أترين حالتنا الآن، أنا الآن أفقد ابنتي التي علمت بوجودها اليوم، لماذا جعلتني أعيش هذا، لماذا أحرقتني هكذا، ماذا فعلت بك، كان يجب أن

أعلم أن لدي ابنة، لي الحق فيها كما هو لك، لماذا أنا أنتك؟! كيف استطعت فعل هذا، ها هي الآن رحلت عنا، كيف سأعيش بهذا الألم، كيف؟! كان كل منهم ينتحب في مكانه إلى أن مر فخر الدين صدفة من أمامهم فرأته مهجة و انقضت عليه.

مهجة : أنت من قتل ابنتي، أنت القاتل !

أمسكت عنقه القوي بيديها الهزيلتين ثم اقترب منها إريك باحثا عن توضيح لقولها.

فخر الدين : ما الذي تقومين به أنت ! عن ماذا تتحدثين !؟

كان يتحدث بصعوبة بالغة و أنفاسه تتأرجح بين يديها و هو يرى النهاية أمامه، القصة التي بدأت يوم قدومه باريس و انتقامه منها، ستنتهي اليوم و لقطة انتهائها كانت على صوت محاميته.

- بسمه : ابتعدي عنه، قلت لك أبعدي يدك عنه...

قدمت برفقة شرطين وقفا بجانب الباب منتظرين إشارتها...و عند رؤيتهم أبعدت مهجة يدها عنه ثم التفت إليها و فهم أن أمرا خطيرا على وشك الحصول.

بسمه : هل افتقدتني أم لا ! لا أظن العكس !؟...

قاطعتها مهجة صارخة : أمسكوه، هيا زجوا به في السجن، لقد قتل ابنتي و حرمني منها، لقد...

بسمه : **فخر الدين لم يقتل شخصا**، لقد كان هنا في المشفى من أجل علاج جرحه،

إننا نتعقبه منذ شهر، لقد أتعبتنا فعلا، إنك تتحرك بشكل كبير !

استغرب بشدة ثم قال : و لماذا تتعقبوني، ما الذي فعلته !

بسمه : هل نسيت جرائمك، هل نسيت أنك سجين و اعتدت الحرية، هل ستنسى كل الأشخاص الذين ماتوا ظلما على يدك، هل ظننت أن العدالة ستحرك بتلك السهولة، لا يمكن أن يصدق ذلك شخص عاقل، لذا هيا نذهب، سنعيدك إلى مكانك الأصلي.

صعق عند سماعها و لم يصدق أولا ثم بدأ الأمر يتجلى أمامه، رأى أن النهاية اقتربت ثم سألها صارخا :

- لكن لماذا دافعتي عني، لماذا حررتني و فعلت المستحيل لأحصل على الحرية التي تقولين أنني لا أستحقها!؟

اقتربت منه و قالت : لقد تم تهديدي لأحررك، لقد هددتني زوجتك سعادة، آه نسيت لست زوجتك، إنما كانت خطيبتك فقط، لقد بحثت عنها بشكل جيد، تعقبته و اختطفته أخي و هددتني بحياته، ظنت أنها ستفلت من يدي، لذلك اتفقت مع المحكمة لتمثيل براءتك لأنقذ أخي من يدها أولا ثم أعود إليك، أنت المستفيد الوحيد من هذا، لقد رأيت نور السماء الذي لا تستحقه، لذا ستعود من حيث أتيت،...

- لا يمكنك أن تعيديني إلى هناك، لا أستطيع العودة أرجوك، أنا حر، لقد أخذت عقابي فعلا، أرجوك لا تعيديني إلى ذلك الجحيم...

- لا يهمني أمرك، هيا خذوه بسرعة قبل أن نحدث فوضى هنا !
أمسك به رجال الشرطة عنوة رغم مقاومته و هو يصرخ ببراءته و حرитеه.
بسمه : لقد انتهى عملي هنا ! رحمة الله على ابنتك يا سيدتي ! الوداع.

ذهبت من المشفى تاركة غرام و مهجة و النار تهشم قلبها حزنا...



ضباب كثيف يحجب عنها الرؤية، ينكشف شيئاً فشيئاً بينما تحاول أن تلفظ كلمة واحدة، دون أن تستطيع لأن فمها محكم الإغلاق،...مرت لحظات استرجعت فيها وعيها، فلاحظت أن يديها مطبقتين بشكل محكم، عندما فهمت الأمر و انكشف عنها ضباب عيناها، تأكدت من أن شخصا ما اختطفها من أمام المشفى و هي الآن ترى أمامها زينة السنة الجديدة تحيط بالبيت بأكمله، أضواء كثيرة و لامبات صغيرة تزين المكان حولها...و ما زاد يقين اختطافها هو رؤيتها والدها خليفة، زوجته سعادة و والدتها جليلة بجانبها، كل شخص محكوم برباط وثيق و مغلق الفم،...شخص ما اختطف الأربعة ليظهر نواياه بصفة واضحة أخيراً.

حاول الأربعة فك وثاقهم دون جدوى و صراخهم لا يتجاوز حدود اللصاق على فمهم...كان كل واحد منهم في مكان قرب الآخر دون أن يستطيع الوصول إليه، كانت غرام في مكان لوحدها بجانب الثلاثة بينما عمل المختطف على أن يبقوا بجانب بعض.

كان الجميع على أعصابهم و الخوف يترقبهم و يزعزع قلوبهم، و للحظة دخلت لتزيل الخوف على قلوبهم و تزرع الرعب في نفوسهم...دخلت بفستانها الأسود و شعرها الذهبي المموج باللون الأبيض،...لم يستطع الزمن و طول الدهر أن يغير ملامح **نورسين** أو يضعف قوتها رغم موت ابنتها القاهر، انتظرت طول السنين أن تصل

هذه اللحظة،...كانت تتوق إلى لقاء أعدائها الذين أنهوا حياة ابنتها بشكل فضيع، و الذين هزت قلوبهم بحضورها الآن أمامهم.

- لا يمكنكم الترحيب بي أليس كذلك، حسنا سأرحب بنفسي، لقد كنت أتوق للقاءكم جميعاً، مر وقت طويل أليس كذلك، الآن انتهى الفراق و كل سيأخذ حقه، هل مستغربة من رؤيتي يا جليلة، حية ! هل ظننت أنك عندما **قذفتي بي من أعلى الجرف** ستنتهي حياتي عندها، لا يمكن، لأنه كان لدي شيء أنشبت بالحياة من أجله، الانتقام منكم جميعاً و إحراقكم واحدا تلو الآخر، لم أمت يا عزيزتي، أظن أنك تتساءلين لماذا غبت طوال هذه السنوات و لم أعد إليك وقتها، حسنا لقد فعلت شيئاً سيئاً بي، فقدت القدرة على المشي و النطق طوال تلك السنين، أجل لقد كنت مقعدة جل حياتي بسببك، و الآن ها أنا ذا أقف صامدة أمامك من جديد، مثل ذلك اليوم الذي أخبرتك فيه عن خطتي و **ما فعلته بابنتك**.

كانت دهشة الجميع و صدمتهم واضحة عند رؤيتها و هي تلقي حديثها أمامهم ؛
- أنت خليفة، اغتصبت ابنتي و أحرقت جسدها ثم بعد ذلك أخذت حريتك أمام الملأ بسبب من، بفضل زوجتك و شهادة سعادة، شهادتها هي التي حررتك وقتها، و حررتك أيضاً...

...

و هي تتحدث بينهم دخلت امرأة أربينية، رآها خليفة و تملكته نوبة من الخوف و الرجفة، إنه يقابلها للمرة الثانية في ظروف غير طبيعية، إنها من تشبهت له في جسد فرح، إنه يراها الآن مرة أخرى لكن أمام الجميع، لا يتهياً له، إنه متأكد من أنها

هي رغم أن الزمن ترك بصمته عليها و غير ملاحظها كثيرا، إلا أنه يتذكرها جيداً، كيف لا و هي كانت زائرة أحلامه الغير مرغوب بها.

نورسين : أظن أنك تعرفت على **ابنتي داليا**، أليس كذلك خليفة !

تجهم وجهه عند سماعه اسمها ثم تابعت نورسين حديثها :

- إنها ابنتي داليا، أخت فرح، توأمها !

كانت داليا تشبه فرح كثيرا بفارق سن يفوق العشرين، نفس ملامحها و لون شعرها، توأم حقيقي فرقتهم ذنوب بشر لا يمتون لهما بصلة.

داليا : هل ظننت يومها يا خليفة أنني فرح، هل صدقت فعلا أنها ما زالت حية و أنت من قتلها بيدك، هل أكل الدهر دماغك !

ضحكت داليا و والدتها ثم التقطت نورسين الحديث :

- لم تنجح خطتك في قتلي يا جليلة، لقد اشتد غضبك عند علمك أنني قمت **بإستبدال ابنتك الحقيقية بغرام، غرام ليست ابنتك**، إنها الحقيقة التي كان عليك أن تصدقها يومها...

قاطع حديثها صراخ جليلة المبهم و صدمة غرام التي حاولت فك وثاق يدها و الهروب من حقيقة الأمر التي لحقت بها و عثرت عليها يومنا هذا !

نورسين : عندما أخبرتك الحقيقة قمت بقذف جسدي، أصبت بعاهة دائمة تعافيت منها في عامي هذا، لذلك كان لكم الحق في العيش دون أن تتم محاسبتكم جميعاً، الآن انتهى وقت لهوكم...

داليا : أنت خليفة اغتصبت أختي و قمت بقتلها، أنت جليلة قمت بالدفاع عنه و دفع كفالتة، أنت سعادة أهديته الحرية الكاملة، أما أنت غرام فأنت الضحية الوحيدة في هذا الأمر، لقد وقعت بين يدي عائلة دمرت حياتك، أتأسف جدا لحالك، لذا لا يحق لكم العيش بعد الآن، لكن لا نريد لموتكم أن يكون سهلا، يجب أن تنالا عقابا أشدا من الموت ! **لقد حقنا كل واحد منكم بسم قاتل بطيء المفعول و هناك يوجد ترياق له...**

قطعت كلامها عند رؤية الدهشة و الخوف على وجوههم خاصة سعادة التي اشتد هلعها و زاد ضيقها عندما تذكرت ابنها و هي ترى بقعة زرقاء اللون على مستوى يدها،...ضحكت داليا بتهكم و قالت : لا تخافوا، لقد قلت لكم أن هناك ترياقا هناك !

أشارت إلى علبة سوداء مغلقة و بها شبابيك صغيرة يظهر من خلالها محلول باللون الأحمر صغيرة الحجم، التفت إليها الجميع و الهلع يتصبب من جبينهم كعرق محموم، ثم أخذت داليا أطراف الحديث مجددا :

- سنرى ماذا سيحصل، واحد منكم سيستطيع أن يحصل على الترياق، هل هو خليفة، هل ستنقذ سعادة أكبر عدوة لك، من حرمتك من عمل أحلامك و عزتك و من تحدث شخصك و التي تلعب بحياتك كما تريد، هل ستنقذ غرام الغريبة عنك و التي فضحت عرضك بعد الأناية التي طبقتها عليها...

نورسين : أم أنت سعادة، هل ستنقذين الرجل الذي دمر حياتك و اغتصبك و تسبب في سجنك فترة طويلة من حياتك، المرأة التي تواطئت معه و غطت عن كل

جرائمه، أم أنت جليلة هل ستنقذين الرجل الذي دمر حياة ابنتك و حياتك بخياناته
العديدة و الظلم الذي جعلك تعيشينه!؟...

داليا : فعلا أود رؤية إلى أي حد ستصل بكم خطاياكم و تتبادوا بها، هل
سينقذ كل شخص منكم عدوه أم سينقذ نفسه و يهرب بجلده تاركا أعدائه
فريسة للموت، أود رؤية ذلك فعلا !

كانت سعادة تصرخ و تتمزق ألماً، كان لديها هدفا قويا تعيش من أجله، ابنها الذي لم
تراه يوماً، ابنها الذي تشبثت بالحياة من أجله،...زارها نفس الشعور يوم اعتقالها،
شعور الحسرة عند الفراق، ألم الفراق يشتد عليها من جديد، لا تستطيع فراق ابنها
مجددا قبل لقياه، إن حياتهما على المحك الآن، هما معا على الهاوية و على وشك
السقوط، من سينقذ الآخر، من سيتجاوز خطاياهم و ينقذ الآخرين!؟ من ؟



لقد كان لدي هدف تشبثت بالحياة من أجله



الجزء الثالث:

"التكفير"

الفصل ١ :

"الحلم المدبر"

استصعب عليها فتح عينيها بعدما تغلب عليها التعب و الإرهاق نتيجة الدواء الذي حقن إليها... استطاعت أخيرا فتحهما و بدا المنظر ضبابيا أول الأمر ثم بدأ يتوضح شيئا فشيئا إلا أن تيقنت أنها توجد بمكان لا يصعب عليها معرفته رفقة العديد من الأشخاص... رأت أول شخص بجانبها داليا ثم خليفة، فخر الدين، سعادة، جليلة، ثم نورسين الكل ملقى على الأرض، كل شخص يرتدي الأبيض و لمسة من الأسود، كان الجميع فاقدا للوعي أولاً ثم بدأ كل واحد منهم يسترجع وعيه ببطء مستغربا من تواجد الآخر بجانبه...و كان الاستغراب شديدا على نورسين بحيث وجدت الجميع على قيد الحياة و أن خطتها باءت بالفشل.

نورسين : كيف يعقل هذا، أين نحن؟! ما الذي حصل بنا؟! ثم أزاحت بنظرها تفتش المكان لتتأكد أنه فقط منزلها فعادت تنظر إلى الجميع بحيرة كبيرة و الكل يتساءل عن حاله ؛

غرام : هل نحن أموات، ما الذي يحصل، هل متنا جميعاً أم ماذا ! هل أنا ميتة !

- لا، أنت لست ميتة، أنت في حلم!

جاء صوت نسوي من أعلى الدرج يجيئها، صوت يوحي إلى تقدم عمر صاحبه، صوت قوي و حاد، صوت تعرفه سعادة عن ظهر قلب...

تقدمت إليهم شافعة بخطى ثابتة و هي ترتدي فستانا مع برنس أبيض اللون و شعرها الرمادي الطويل يتطاير مع الهواء، برد شهر يناير القارس...تفاجأت سعادة

من تواجدها هناك و في دماغها تعصف الكثير من الأسئلة و قلبها يدق بسرعة بعدما شعرت أنها عادت للحياة و بيدها فرصة أخرى للقاء ابنها.

شافعة : أنت حية نوعا ما، و هناك من بينكم من هو ميت لكن باستطاعته العودة إلى الحياة و إحياء الروح بداخله إن أراد ذلك...

نورسين : ماذا تقولين، و من أنت و ما الذي حصل بنا، هل نحن أموات الآن أم ماذا، شخص ما يشرح ! من أنت و ماذا تفعلين داخل بيتي !

سعادة : خالتي شافعة، ما الذي تفعلينه هنا، ما الذي حصل بنا !

الكل يتساءل و الصخب يعلو داخل البيت لتنهيه شافعة بقولها :

- أنا هنا **لإتقادكم** جميعاً، أجل، سأحاول إنقاذكم من خطاياكم الشنيعة، الخطايا التي تمايدتم بها، كل منكم على حدة، كل منكم دمر نفسه و دمر الآخر، نحن الآن في حلم لن ينتهي إلا بثوابكم عنها و الاعتراف بها، كل شخص منكم ملزم اليوم بالاعتراف بخطيئته تجاه الآخرين، و محاولة التكفير عنها، كلنا داخل هذا الحلم الذي من الممكن أن يصبح حقيقة إذا تجاوز أحدكم خطيئة الآخر.

نورسين : ما هذا الهراء، لا أفهم شيئاً،...

استدركت شافعة حديثها و الكل يترقبه بتمعن :

- تتساءل أنت عن سبب تواجدك هنا أليس كذلك يا فخر الدين ! لقد قمت

بتهريبك من السجن و دعوتك إلى حلمي هذا، أمر غريب أليس كذلك، أنت أيضا معني بهذا الأمر، أنت أول من تمادى بخطاياها، أنت من قتل آباء حبيبته دون رحمة، و أراك الآن تتمادى في انتقامك من مهجة، الغضب

خطيئتك و أنت تماديت فيها، لكنك لست غارقا فيها إلى حد كبير، لذلك أنت ترتدي بدلة بيضاء مع سترة سوداء، لأن جل خطاياك لست السبب الرئيسي بها، لقد **أُحقت بك**، أنت ضحية كبيرة و لديك الوقت لتصحيحها أما أنت سعادة فخطيئتك كانت و لا زالت الغضب، تمرت على قدرك و ضاع جزء كبير من حياتك بسبب ذلك، لقد تمنيت الموت و هانت عليك حياتك أمام ما ينتظرك، لم تهتمك حياتك أمام انتقامك من فخر الدين الذي قتل والديك و استهزأ بجبك، لم تهتمك العواقب أثناء انتقامك من خليفة، لكن بعدها ظهر طفلك الذي لم تعرفي ابن من هو، هل هو ابن حبيبك أم الشخص الذي دمر حياتك بلمسة يد، تشبثت به و نسيت البحث عنه مقابل انتقامك...

قاطعتها سعادة قائلة : لم أتخلى عنه، لقد غادرت بلدي للبحث عنه،...

فخر الدين : هل كان بيننا طفل ! هل...!

سعادة : لا تفكر في الأمر أبدا !

كانت صدمة كبيرة بالنسبة له، هو الذي لا يعلم هل هو ميت أم أنه في حلم، لا يستطيع التمييز بين مشاعر الاثنين.

استدركت شافعة حديثها بعدما صمت الاثنين و قالت :

- أنت خليفة، لقد غرقت في تعاطيك لخطيئتك، أجل تعاطيتها بقوة و دمرت حياة العديد، بسببك ماتت فرح مينة بشعة، بسببك دخلت سعادة السجن و أفنت جل عمرها هناك و حياتك أيضاً ضاعت، دمرت "ابنتك"، و لنقل أنها ليست ابنتك، لقد دمرت حياة فتاة بريئة بدفعك لها بارتكاب ذنب كبير في حق

نفسها...الأمر صعب جدا بالنسبة لك، أما أنت غرام فكنت ضحيتهم، لكن رغم ذلك تباديت في خطيئتك، داليا لحقت بخطط والدتك و مر نصف عمرك و أنت تنتظرين تعافيا من نتيجة انتقامها، الانتقام الذي أفنت نفسها فيه، بعدم أكثراتها بحياتها و لا مستقبلكما معا، أليس الأمر كذلك نورسين !؟

- و ماذا كنتم تنتظرون مني أن أفعل، لقد قتلوا ابنتي، أنهموا حياتها و لعبوا جميعا بقدرها، كل واحد منهم مسؤول، كل واحد منهم يستحق عقابا قاسيا، و أظن أننا الآن جميعا نحاسب على أخطائنا، أكبر عقاب لي هو المكوث معهم في مكان واحد، أفضل الموت الآن على رؤيتكم بجاني !

سعادة : أنا أيضاً لم أفعل شيئا، لم أخطئ في حق أي شخص، هم من دمروا نفسي، هم من أنهموا حياتي و دفعوني إلى نسيان نفسي و حياتي و كل ما حلمت به، بسببهم ضيعت عمري بدون ابني، ضاع وقتي و لم أبحث عنه كما يجب، لن أجده الآن، ضاع كل شيء، لن يراني يوما و لن أمسك يده و أعانقه كما أردت، بسببهم، لذلك كل شخص يستحق ما عاشه !

خليفة : أظن أن عقابي سيكون قاسيا أكثر من أي شخص هنا، لا أعلم أين نحن و لا الذي حصل بنا،...أنا فقط أنتظر !

غرام : إذن أنا الضحية الوحيدة بينكم، أنا من دمرت نفسي بيدي بسببكم، لقد ضيعت عمري و قدرتي بين يديكم، أتم من يتحمل ذنبي، أنا لم أفعل شيئا !
فخر الدين : أنا أنتظر عقابي على يدك، أنا الآن بين يديك، عقابي أنت وحدك من يتحمله، لقد أخطأت في حقك و أنا الذي عشقتك بجنون، اعلمي أنني أحببتك بشدة، حبي لك كان بعيداً عن خطايانا، كل منا ارتكب ذنبا في حق الآخر، لكن

أنا أذنبت في حقك كثيراً، لا أستطيع طلب عفوك لأنه أمر لا يحق لي بعد الذي فعلته، عقابك هو من سيريح قلبنا !

سادت لحظة من الصمت بين الجميع و شافعة تنظر إليهم من بعيد بعدما تركتهم يعترفون بأخطائهم في حق بعضهم ثم عادت إليهم، و حصل أمر غريب بينهم ؛
شافعة : التكفير عن الخطايا يكون أولاً بالاعتراف بها، و هذا ما قمت به الآن، إن اعترفتم بها تهون عليكم معرفتها و الإحساس بخطورها و من تم الابتعاد عنها، اليوم بعضكم ميت و البعض الآخر على وشك الوقوع في حفرة الموت، لكن غدا سيكون شيء آخر !

اقتربت نورسين منها و هي تصرخ في وجهها قائلة : من أنت لتتدخلي بنا، من تكوينين وكيف تمتلكين الحق في اتخاذ قرارات تخص حياتنا...

مرت ثوان و شعرت بدوار رهيب فقدت الوعي بعده و لم تلبث داليا لتتفقد حالها إلى أن حصل معها الأمر نفسه و بدأ الجميع يغيب عن الوعي و يسقط أرضاً بثقل خطاياهم كلها...بينما في نفس اللحظة كان مراد يتأرجح داخل زنزانتة بعدما تم الحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات بسبب خطأه الطبي و تسببه بوفاة عهد، و الحكم على الفريق الطبي كاملاً و منعهم من مزاوله مهنة الطب في الوقت الذي كان فيه الجاني الحقيقي يخطط لشيء آخر يشغل باله و قلبه.

الفصل ٢ :

"هل موتي أطلق عنانكم جميعا!؟"

٩ روزالينا : أنت لي ولن أترك شخصا يبعدك عني ولو كلفني ذلك قتله !

استيقظت أخيراً بعدما استرجعت وعيها فوجدت نفسها داخل منزل والدها خليفة، على غير توقعها بعدما مرت بلحظات عصيبة و قاسية العيش على أي شخص كانت على إثرها ستفارق الحياة...ساءلت نفسها و هي تقول :

- هل كان ذلك حلماً أم عشته فعلاً، هل تم إنقاذنا من الموت أم ماذا حصل
....!

التفتت تبحث داخل المنزل ثم لاحظت وجود سعادة و هي تسترجع وعيها متكئة على أريكة عريضة مرتدية نفس الفستان الذي كانت ترتديه حين اختطفها نورسين، ثم رأت جلييلة بفستانها الأزرق نفسه الذي ارتدته في حفل السوبرانو، أزاحت نظرها بعد ذلك ثم وجدت خليفة، كل شخص منهم يسترجع وعيه و يتساءل عن حقيقة وجوده.

قال خليفة بهدوء و هو يتفحص أعضائه و دقائق قلبه بعدما مرت دقائق عديدة :

- أظن أننا على قيد الحياة ! لا أفهم كيف لكننا...

قاطعته غرام و هي تقترب منه قائلة : هل أنت سعيد لأنك عدت إلى الحياة بعد الذي فعلته بي، ألم تأتلك لحظة تمنيت فيها الموت بدل العودة إلى الحياة و مواجهة مصيرك، مواجهة قدرتي الذي حطمته بيدك، لقد...لقد حطمت حياتي و أنت الذي لست أبي، أنت نكرة بالنسبة لي و أعطيت نفسك الحق بتدميرها، هل كنت

ستفعل نفس الشيء مع ابنتك الحقيقية، هل كنت ستبيعها و تدفعها لتدمر نفسها
بيدها أكثر من الذي فعلته، أجل أنت من دفعني لارتكاب ظلم كبير في حق نفسي،
لقد أنهيت حياتي بيدي بسببك،...

جليلة : توقفي يا ابنتي أرجوك !

غرام : أنت من دفعني لارتكاب الجرائم في حق الناس، لقد غيرت نفسي و أظلمت
قلبي على من أحبهم، ابتعدت عن الشخص الذي أحبته و أنا أسير في طريقك،
كيف ستكفر عن ذنبك تجاهي، لا أظن أن هناك عقابا لك، ما فعلته بي لا يغتفر،
و ما فعلته بنفسني لا يغتفر، أنت الذي من المفروض أن تكون أبي الذي يعود بي
ممسكا يدي و يبعدني عن الخطأ، و ما الذي فعلته، كنت أنت الخطأ في حياتي !
انتهت حياتنا معا يا خليفة، لا عودة لنا من الذي ارتكبناه.

أمسكت نفسها عن ذرف دمعة واحدة و ابتعدت عنهم مغادرة البيت ليوقفها صوت
والدها المنتحب :

- أجل، لقد مررت بلحظة تمنيت فيها أن أموت لأنني لا أقوى على مواجهة
القدر البائس الذي جعلت الجميع يعيشه، لكن اعلمي يا ابنتي أنني سأفعل
المستحيل لأغفر خطيئتك، أنا المسؤول عنها و أنا الذي أتحمّل واجب
التكفير عنها !

قاطعته صارخة :

- أنا من ارتكب تلك الخطايا و لا يحق لك التدخل بها أو التظاهر أنك
ستكفر عنها بدلا مني، لن أسمح لك بأخذ ذلك الحق أيضا، أنا المسؤولة عن

خطاياي و إن لزم الأمر سأحرق نفسي لأكفر عنها و لا أسمح لك بفعل شيء
من أجلي !

تلقي كلماتها بصدمة قوية، إنه يواجه الآن كره و غضب ابنته التي خشي لقاءها منذ
مدة طويلة و ها هي الآن تنفجر في وجهه و تفضل الموت على أن تسمح له بامتلاك
فرصة واحدة للصفح عن نفسه... إنها ترتكب مجددا أكبر خطيئة في سبيل انتقامها.

غرام : أنت نقطة الضوء الوحيدة التي بقيت في حياتي !

دمعت عينا جليلة عندما حدثتها غرام ثم غادرت البيت هائمة في حزنها.



سعادة : لقد لفظت غرام بكلمة كان علينا جميعاً معرفتها قبل فوات أوانها، يجب
علينا التكفير عن أخطائنا، خاصة أنت خليفة، أنت من ارتكب أعظمها و نحن كنا
جميعاً ضحاياك، أنت الذي كنت سببا وجيها في اقتيادنا لارتكابها، لكن سنكون يدا
واحدة لفعل ذلك !



سعادة التي عادت إليها الحياة بمعنى الكلمة بعدما فقدت الأمل كليا عندما هُددت
بخطر الموت،...تنوي الآن العودة إلى خططها و بحثها الصعب عن ابنها، دون أن
تعرف اسمه، ملامحه، تفاصيل وجهه، أين يعيش، حالته و هل هو على قيد الحياة !
لكنها تبحث و تبحث دون أي وجهة، و لا تملك شيئا سوى رائحة ابنها و الشعور
الذي عاشته معه ليوم واحد منذ ثلاث و عشرين سنة !

جليلة : أظن أننا سنبدأ حكاية أخرى ! الوداع يا خليفة.

تركت جليلة البيت بينما همت سعادة بالخروج و التأمل في الطبيعة لتتأكد فعلا أنها حية ترزق و مازالت لديها فرصة للقاء ابنها... بينما بقي خليفة وحيداً في منزله ينتحب صعوبة أو استحالة القدر الذي يواجهه...و لم يكن الوحيد الذي يعيش نفس المأزق، بل فخر الدين أيضاً، الاثنان ارتكبا أشنع الخطايا في حق الآخرين، و حصلنا بذلك على عدد لا يحصى من الضحايا، إذن فالأمر كان شبه مستحيل لدى الاثنين على غرار الآخرين...فخر الدين الذي أستيقظ داخل منزله هو الآخر و لم يعلم كيف ترك السجن و هو الذي كان على شفا حفرة من اعتناقه مجدداً.

فخر الدين : هل ما مررت به كان حقيقة، و لو كان غير ذلك، كيف تركت السجن، لقد اقتادني الشرطة أمام أعين الجميع، إذن هل كانت شافعة من اقتدني حقا و قامت بتهريبي من السجن، أمر لا يصدق، لا أفقه شيئاً، سأفقد صوابي...لو كان ذلك حلماً، إذن ليس هناك طفل بيني و بين سعادة، أمر محير فعلاً، أحتاج جواباً قاطعاً، لكن هناك شيء يجب علي فعله، لن أستطيع انتظار المغفرة من سعادة، يجب أن أستحقها، يجب أن أفعل شيئاً !

داخل الزنزانة، مراد يفقد صوابه و هو يترنح ذهاباً و إياباً، يتقد قلبه حزناً على من فقده و مآل قدره و الظلم الذي تعرض له...ليوقف عصف أفكاره طرق حارس الزنزانة و هو يأمره بالخروج لمقابلة شخص أتى من أجل زيارة خاصة.

انصاع مراد إلى الأوامر و ترك الزنزانة لاحقاً بالحارس بخطى ثابتة و هو تائه ؛ لا يعلم من قد يستطيع المجيء لزيارته و الأمر ممنوع و هو في فترة الحكم، لا يعلم من تجراً و واجه الجميع و دخل ليقابله، هل هو أحد أصدقائه، أم شخص من عائلته

المزيفة و التي ظل منها شخص واحد يعلم جيدا انه لا يمكنه زيارته، أم الشخص الوحيد الذي يظن جيداً أنه لن يزوره مهما حصل، لكنها كان خاطئاً في أمرها، لقد رآها تنتظره عند المقعد بشعرها البني الطويل و عينيها الزرقاوتين الممتلئتين بنار الغضب و الألم، بحيث لم تستطع كبح جماحها و هي تراه يتقدم إليها و هو مثقل الجسد مثل كهل مر عليه الدهر.

ترك الحارس **مراد و غرام** في غرفة معزولة بعد تقديمها طلب زيارته بإلحاح على مدير السجن و قبل الأمر رغم كونه في فترة اعتقال.

مراد : لم أظن أنك ستكونين أول من يزورني في هذه الفترة !

غرام : أريد أن أرى حالك، أريد أن أعلم السبب، الذي حصل فعلاً، و كيف ماتت عهد، ما الذي حصل داخل تلك الغرفة، و لماذا تم الحكم عليك ؟! أريد أن أعرف كل هذا.

ظل ينظر إليها و يتربص انتهاء أسئلتها_ و هو يتذكر آخر لقاء بينهما و كيف كانا يخلقان من فرط الحب بينهما_ لينهال عليها بأجوبته قائلاً :

- عندما دخلنا غرفة العمليات كانت عهد في حال حرجة، لقد نزت الكثير و كانت جل أضلاعها مكسورة، لقد كسرت أطراف جمجمتها و لم نستطع إيقاف النزيف أولاً، بعدها شعرت بدوار رهيب لم أستطع إمساك نفسي بعده ثم و فجأة فقدت الوعي وسقطت وسط الغرفة لكنني لم أشعر حين أمسكت أحد الجراحين عند وقوعي، الشخص الذي قطع شريانها و ازداد النزيف إلى حد الموت أنا من أمسكت به و أوقعته معي فحدث الأمر، لقد كان ذلك سريعاً، كان موتها محققاً، أنا السبب في ذلك...

كانت تنصت إليه و قلبها يحترق ألما و الدموع لا تفارق مقلة عينيها فقالت :

- أنت لست السبب، إنما كان حادثا لم تكن لك يد فيه...

- لا بل أنا مخطئ بحقها، و بحقك، أنا مذنب، لقد أقمته في دوامة من الخطايا، أحببتها و أذنبت في حقها، أستحق فعلا عقابي هذا، أستحق ما آلت إليه حالتي، لقد أخطأت في حقك أيض...

- لا تكمل أرجوك،... أنت لا تستحق هذا العقاب، لا يمكنك أن تظل هنا ظلما، انظر، سأعمل جاهدة لأظهر براءتك.

تفاجأ مراد من تدخل غرام و محاولتها مساعدته فقال لها :

- كيف ستفعلين ذلك !؟

- سأفعل كل ما بوسعي لأساعدك، أنا مثل أي شخص آخر لا أحبذ الظلم !

فهم قصدها بلمح البصر ثم تركت الحارس يأخذه بعد انقضاء مهلة الزيارة و غادرت السجن.

يوم عرض أزياء جليلة، التقى خليفة ب بيير و نشأت صداقة بينهما و هي الشيء الذي تذكره اليوم خليفة لبدأ حياته من جديد محاولا إصلاح ما قد تحطم منها.

رنين على هاتف بيير...

- مرحبا خليفة، كيف حالك !؟

- أنا بخير...

طال الحديث عن الأحوال و الأهل و الأموال و عند وصولهم بيت القصيد قال خليفة :

- كنت عرضت علي العمل في شركتك الخاصة بالبناء، و قلت أنني سأجيبك بعد انقضاء بعض الأمور، و الآن أنا أقول أنني أوافق أن أكون شريكاً لك في مشروعك الجديد، لكن لدي سؤال !

- أجل تفضل !

- أ لا يهملك ماضي و ما قمت به سابقاً، أعني أن ملفي القضائي ليس نظ...

- اسمع، أنا لا انظر إلى الوراء أبداً، يجب أن يطمح الجميع في مستقبل واعد، و هذا ما أومن به، لذا فلنتقابل غدا لنوقع أوراق الشراكة... الوداع.

اتفق الاثنان على بدء الشراكة دون أن يعلم خليفة أنه في الطريق الذي ينوي المشي فيه ليحمي أخطائه و يبدأ حياة جديدة، يوجد **فخ عميق** ينصب له على مهل.

داخل منزل نورسين، عادت داليا إلى وعيها هي الأخرى قبل أمها و تساءلت نفس الأسئلة التي طرحت من قبل الآخرين لكن عندما استيقظت أمها كان الأمر مختلفاً.

نورسين : ما الذي حصل يا داليا، أين الجميع، أين اختفوا !؟

داليا : لم أجد شخصاً حين استيقظت، أظن أنهم هربوا !

- كيف أفلتوا، لقد حقنهم جميعاً بسم قاتل، كيف تمكنوا جميعاً من الهرب !؟

- أظن أن شخصاً منهم قد أنقذ نفسه و أنقذ الآخرين، هذا هو التفسير الوحيد للذي حصل، انظري إلى الترياق إنه فارغ كلياً...

- إذن استطاعوا الهرب، لكن لن يرتاح لي بال إلى أن أمسك كل شخص منهم و
أسحبه بيدي، لا تقلقي، لن ينجوا بعد أن أنهموا حياة ابنتي، لا يحق لهم ذلك !
كانت داليا تنظر إليها و الترقب يطبع ملامحها ثم عند صمتها قالت :

- أرى أن نوقف ما نفعله و نكتفي بهذا !

صرخت بقوة من شدة صدمتها :

- ماذا قلت، هل فقدت عقلك أم ماذا ! إنها أختك التي ماتت، لقد أحرقوا
جسدها بعدما اغتصبوها و تستروا على جريمتهم، هل أحتاج لأن أذكرك بهذا أم
ماذا !؟

- أنا أعلم جيدا الذي حصل و أنا أعلم حقيقة كل شخص و ما قام به و لم أصفح عن
أحدهم، لكن أقول أن كل شخص أخذ عقابه، لقد فعلنا الكثير، ألم نمنع سعادة من
أخذ حقها بعد اغتصابها من خليفة و عقدنا أكثر علاقتها مع مهجة ، ألم نبعد ابنة
خليفة و جليلة الحقيقية عنهما و جعلناهما يريان ابنة أخرى و يعيشان البؤس
بسببها،...

- هل هذا كاف بالنسبة لك، هل تظنين أنهم يعيشون البؤس فعلا، ألم تري كيف
كانوا جميعاً فرحين في العرض، ألم تلاحظي كيف يبدوون حياتهم من جديد كلما
سنحت لهم الفرصة، سعادة بحثت عن ابنها و تزوجت من جديد بعدما وجدته،
خليفة يستمتع رفقتها و جليلة في علاقة جديدة، لا أرى هنا علامة للبؤس و الحزن،
لذا لا تقولي لي الابتعاد، أنا ما زلت في بداية الأمر، لقد تطرقت لأمر سعادة
كثيراً، و ما زال ألامي الاثنين و لن ينعني شيء ! أريد تحقق موتهم ألامي لتخمد
النار داخل قلبي، أفهمت، أريد روحهم !

"حقيقة الحلم المدبر"

إذن كان لما فعلته شافعة وقعا كبيرا عليهم، لقد ظهر أثر خطتها بعدما أنقذتهم من الموت المحقق وحقنتهم بمواد مخدرة لتنفيذ خطتها و تحاول تنبيهم إلى أخطائهم، البعض منهم انصاع لأفكارها و البعض تمرو كليا.

الفصل ٣ :

إنك ابني الحبيب!

"شركة Pierre & dalis"

بعد نشرها قبل يومين لخبر على صفحاتها و جل الجرائد و المحطات الإعلامية، **بدون هوية ناشر**، مفاده أن مراد تعرض لفتح مدير لتدمير حياته المهنية، تلقت غرام تلة من الانتقادات مقابل بعض التعليقات الإيجابية، هناك من يقول أنها تستغل شهرتها لتحرير مجرم يتلاعب بأرواح البشر و هناك من يضحد مهنة الطب بقولهم أن أخطائهم الطبية دائما ما يتم التغاضي عنها، و هناك من يدعم مراد منتظرين تأكيد الخبر الذي نُشر بدليل قاطع أو اعتراف أحدهم... كل هذا كانت تتفحصه غرام عبر هاتفها و هي مرتدية بدلة الممرضات و بعد أن غيرت مظهرها قليلا لتبدو مثلهن : شعر معكوف بطريقة مرتبة، بدلة بيضاء طويلة، و وزرة متوسطة الطول، تنكرت بزيتها هذا و هي داخل المشفى الآن في غرفة معزولة بعيدة عن ضجيج البشر و عن أنظارهم لتختلي بنفسها و تحدد خطتها بإحكام... ثم انتهت بعد لحظة أنها أطالت جلستها تلك و ابتعدت عن هدفها و هو البحث عن أي شيء يساعدها في تحرير حبيبها.

غرام : ما الذي أفعله هنا، ما هو الشيء الذي أبحث عنه، أريد دليلا، شيئا، شيئا يساعدي للوصول إلى حقيقة ما جرى!... و لم تنفك تدور مكانها إلى أن رأتها تختلس الأنظار و تتربص المكان لتمر إلى غرفة الأطباء المداومين، لتندهش غرام من تواجدها هناك و تتساءل عن سبب مجيئها.

غرام : ما الذي تفعله **والدة مراد** هنا ! و لم تتح الفرصة لدماعها بالتفكير في أي شيء
و لحقت بها خلسة إلى أن دخلت غرفة الأطباء و أسرع غرام قبل أن تغلق
الغرفة فوضعت قدمها بخفة لتترك المجال لمرور حديثهما.
قالت مهجة و هي تصرخ دون أن تعير اهتماما للباب الذي لم يوصد خلفها من شدة
غضبها :

- كيف نشر ذلك الخبر و لماذا نشر، هل أنت من فعل ذلك، هل أنت من
دمر خطتنا !؟

صدمت غرام من سماعها حقيقة ما جرى و فهمها الأمر بسرعة...

- أنا لم أفعل شيئا، و لماذا أنشره و أنني اتفقا و أنني مصدر الرزق الجديد الذي
تزوديني به، لست غبيا لذلك الحد.

- إذن كيف حصل هذا، من علم أن مراد مخدرا، أتعلم ما الذي سيحصل إن
وصلوا لنا، أتعلم ما الذي سيحصل إن علموا أن لا دخل له في الوفاة، سيطلقون
سراحه و نعتقل مكانه !

- لماذا تخبريني بهذا، اذهبي و ابجثي عن الناشر، لدي وردية يجب أن أقوم بها !
كانت غرام في حالة صدمة بعد أن علمت الحقيقة التي بحثت عنها و وجدتتها على
السريع، إنها الأم من خدرت ابنها.

غرام : لا أفهم لماذا فعلت ذلك، كيف يعقل أن تخدر ابنها و تتسبب بوفاة ابنتها و
تعيش بهذه السهولة، كيف يعقل !

تراجعت للخلف و نسيت القدم الذي وضعته مواريا للباب بحيث عندما أزالته أحدث صوتا مدويا و ظهرت صورتها عندما التفتت مهجة لترى من يتعقبها فظهرت لها عند المرأة المقابلة للغرفة دون أن تلاحظ غرام ذلك، فتأهب الطبيب الجراح للحاق بها لكن مهجة أوقفته و قالت بهدوء :

- انتظر، إنها لن تفعل شيئا، لا دليل بين يديها، من الواضح أنها ستذهب لتخبره بما سمعته، لكن لا تقلق، سأفعل شيئا آخر، انتظر جوابا مني !
ذهبت مسرعة لتقابل مراد داخل السجن و هي مصممة على تركه مدمرا إلى آخر نفس له.

وصلت مهجة إلى السجن قبل غرام و طلبت لقاء "ابنها"، لكنها واجهت صعوبة أولا بعد الفضيحة التي عاشتها بسبب فخر الدين و الخطط التي قامت بها ضده و التي نشرت على نطاق واسع، لكنها أحت كثيرا و توسلت للقاء ابنها بحجة أن ماضيها لا يشكل فرقا في ما آلت إليه حالتها و حالة عائلتها...و بعد إصرار طويل دخلت غرفة الزيارة و انتظرت مجيئه.

مراد : من جاء لزيارتي مجددا، لا تقل لي أنها نفس الشخص التي قدمت إلي قبل يومين !

الحارس : أنا لست ساعي بريدك لأتلقى أخبارك و أخبار من أتى إليك، هيا تقدم !
دخل الغرفة عنوة و اهتز قلبه عند رؤيتها فقال غاضبا بعدما مرت رعشة أول اللقاء :

- ما الذي فعلينه هنا... لا تربطني علاقة بهذه المرأة، لماذا سمحت لها بالدخول
؟!

نظر إليه الحارس بعنف ففهم أنه مجبر على الجلوس لأنه لا يريد أن يثير مشاكل
أخرى فجلس مقابلاً لها و هو ينظر إلى عينيها المتقدتين و شعرها الأسود القصير
الطول التي قطعت أطرافه بعد موت ابنتها... ثم نظقت قائلة :

- أعلم أن لا شيء يجمع بيننا و أنه لا يحق لنا لقاء بعضنا مجدداً، لكن انظر إلي،
لقد فقدت ابنتي بسببك،...

صرخ في وجهها مبرئاً نفسه ثم قاطعته :

- أعلم أنك لم تفعل شيئاً، لكن أنت الآن أمام الجميع المذنب في موت عهد،
أنت من تسبب بموتها المباشر بعد الذي ألقى بها يوم الحفل و الذي لم يعثر
عليه لحد الآن، لكن هناك أخبار تتداول و تقول أنك كنت مخدراً طيلة شهر
كامل، يقولون أنك تعرضت لخطة محكمة اقتادتك للتسبب في الموت...

قاطعها قائلاً : و ماذا بعد، الكل الآن يعلم ذلك، ما الذي تريدينه الآن !؟

اقتربت منه و نظرت إليه بعينيها الناريتين قائلة :

- كانت لي صديقة منذ زمن بعيد، كنا ندرس معا و نتشارك كل شيء، لكن
عندما أحبني صديقها شعرت بالغيرة مني و حسدتي على سعادتي، خاصة
عندما تزوجته و ظهرت أنت في حياتي ضانة أنك ابني فعلاً، لذلك قررت
عدم تركي أعيش في سعادة مع إريك زوجي، و أشك كثيراً أنها هي من دبرت
لك تلك الخطة ! هي الوحيدة التي لم تتركني و شأني طوال عمري، و هي

الوحيدة التي تستطيع فعل شيء كهذا، إنها سعادة، تلك الحسودة التي لم تتركني حتى دمرت حياتي فعلا، لقد تسببت بموت ابنتي، لقد سلبت مني حياتي كلها، أخذت كل شيء و بقيت لوحدي...

كان ينصت إلى بهتانها و هو يصغي جيداً و يتعرف على عدوته دون أن يعلم أنه يتعرف على معالم والدته التي فقدته و النار تآكل قلبها...

- لكن انظر، لن أترك لها سبيلا للفرار بفعالها، سأخذ حق ابنتي و أحرك، اليوم سأفصح أفعالها و أخبر العالم بجريمتها، لن تلبث هنا و لن تلبث ابنتي إلى أن تتحرر روحها عندما يظهر الحق.

و أشارت بذلك إلى تحقيقات الشرطة التي مازالت قائمة للعثور على القاتل الأول الذي ألقى بعهد يوم الحفل، لذلك احتفظت الشرطة بجثتها من أجل التشريح للبحث عن بصمة أو أثر ضربة أو أي شيء يوصلهم للقاتل الرئيسي.

- سأذهب الآن و أوكل محاميا ليأخذ قضيتك لتظهر حقيقتها و تأخذ عقابها، الآن و اليوم أريدها أن تدخل السجن بدلا عنك !

ظل ينظر إليها و هو مصمم على رؤية المرأة التي تصف مهبجة أفعالها أمامه دون أن تظهر علامة أخرى غير الغضب على وجهه ثم ترك الغرفة مسرعا مناديا على الحارس ليأخذه.

- لقد وضعت طريقا جديداً لي لأدمر ما بينكما قبل أن ينشأ، إنها يا سعادة معركة حياتي، و لن أتخلي عنها مهما حبيت !

- وائل : إذن ما الخطة، ماذا سنفعل فيما بعد، ماذا تنوين فعله !
- كان الاثنان لوحدهما داخل المنزل، منزل خليفة، و سعادة بدأت التخطيط لتعود للانتقامها منه ثم وجدت طريقا سهلا بالنسبة لها و قالت مخاطبة "ابنها" :
- وجدت نقطة ضعف جديدة لخليفة، هل لاحظت أنه ضعف جداً خلال هذه الفترة، انه يظهر لي مثل فريسة سهلة...
- إذن ماذا تنوين أن تفعلني به !
- ابنته، غرام هي السبيل إلى الانتقام منه.
- لكنها ليست ابنته، لن يشكل ذلك فرقا كبيراً بالنسبة له، و أنت تعرفين طبعه جيداً !
- لا بالعكس، رغم أنها ليست ابنته، إنه يدين لها بحياته و مستعد لفعل أي شيء من أجلها، لقد أصبحت نقطة ضعفه... لذا عليك بها، أحضرها لي الآن !
- أمرك يا والدتي !
- ضحك الاثنان و قالت سعادة : كف عن الترهات !
- وائل : أ لست والدتي فعلا !
- سعادة : هيا اذهب و اعثر لي عليها، لدي أشياء كثيرة لفعلها بها !
- وائل : حسنا !
- توقف، كيف ستعثر عليها أولا !

- الأمر سهل، البنت مشهورة و أنتِ رسمت لي الطريق جيداً بعد الذي أخبرتني به، هاتفها سيخبرني مكانها !

و كان ذلك ما حصل فعلاً بحيث تعقب وائل هاتف غرام و تأكد من تواجدها عند الشارع المؤدي إلى مركز الشرطة المحلي و ضغط بشدة على دواسة فرامل سيارته الفيراري ليتمكن من اللحاق بها قبل أن تطأ قدمها المركز... و لحق بها في وقت مناسب كانت فيه على أهبة الدخول إلى المركز حيث كان مراد معتقلاً لتتفاجئ من تواجده هناك.

غرام : من أنت و لماذا قطعت طريقي !

وائل : أظن أننا التقينا سابقاً، في عرض أزياء والدتك !

تذكرت ملامح وجهه عند قدومه رفقة سعادة و خليفة يومها فقالت :

- أجل تذكرتك، ماذا تريد مني !؟

- إن والدتك متعبة جداً و هي في حاجة لك !

- أتقول هذا الآن، لماذا لم تخبرني أولاً !

صرخت في وجهه ثم صعدت السيارة رفقته و طار بها بعد أن قررت أن تحل قضية مراد فيما بعد لما لا يتطلبه الأمر من الاستعجال.

...

وصل الاثنان بعد عشر دقائق معدودة، ترجلت بعدها غرام مسرعة من السيارة و دلفت إلى بيت "والدها" خليفة ثم توجهت مباشرة إلى الغرف تبحث عن والدتها بدون جدوى إلى أن أمسك وائل بقبضة باب الغرفة التي دخلت إليها و أغلق عليها

عنوة، الغرفة المتواجدة بالطابق السفلي للبيت و التي لا يوضع فيها إلا ما هو قديم و غير مستعمل بشكل دائم...الغرفة التي ستكون ملجأ لغرام لأطول مدة.
صرخت فيه مرات عديدة و هي تضرب الباب بعنف بكامل قواها و تقول :

- ماذا تريد مني أيها المجنون، ماذا تريد....!؟!

لم يجب على سؤالها و تركها تصرخ دون أن يسمع لها صوت خلف الأبواب ثم اتجه إلى سعادة في الطابق العلوي.

كانت تطل عبر شرفة البهو و اطلعت على كل ما حصل و عندما دلف إليها وائل قالت :

- لقد أحضرتها فعلا، يا لك من خبيث !

- و ماذا تظنينني !

- إنك ابني الحبيب !

طرق قوي على الباب

فتح وائل و إذا به يجد الشرطة قائمة أمامه و الصدمة تعلو محياه ثم فتح الباب على مصراعيه لتظهر لهم سعادة و هي تحرق في وجه مهجة باستغراب كبير.

سعادة : ما الذي تفعلينه في بيتي !

قالت مهجة محدثة الشرطي بجانبها :

- ها هي إنها من سممت ابني و جعلته متورطا في موت ابنتي !

أسرعت سعادة إليها و هي تهزول خطواتها فقالت :

- ما الذي تقوله هذه المجنونة أمامي ! بماذا اتهمتي الآن !

عقب الشرطي على كلامها و أوقفها قائلاً : السيدة سعادة، المرجو منك القدوم معنا إلى المخفر، هناك شكاية خطيرة ضدك ! أرجو ألا تقاومي.

صرخت سعادة في وجه مهجة غير مبالية بكلام الشرطي أمامها :

- كيف تتجراين و تلفقي إلي تهمة كهذه، لم أظن أن الجنون سيصل بك إلى

هذا الحد، لقد جنيت على نفسك بهذا التصرف !

اقتادت الشرطة سعادة رغم تصدي وائل لهم ثم ذهبوا بها أمام أنظار انتصار مهجة... بينما بقيت غرام محتجزة في المنزل لوحدها في غياب خليفة الذي كان يعقد الشراكة مع بيير في الوقت نفسه، و ذهب جليلا إلى غرفة في فندق بعيد عن الاثنين.

و على أنظاره أخذت سعادة على يد الشرطة و هو قابع مكانه دون أن يستطيع فعل شيء في وجودهم، لذلك انتظر فخر الدين ذهابهم بعد أن سمع كل ما دار بينهم و فهم أن مهجة وضعت سعادة في مأزق جديد مثل الذي فعلته به، لذلك قرر أنها ستكون هذه فرصته لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فبدأ يبحث في هاتفه حتى وجد الخبر الذي نشرته غرام عن مراد و قضيته فبدأت تساوره شكوك عن علاقة مهجة بمراد خاصة بعد معرفتها قبل أشهر أنه ليس ابنها، فومضت الفكرة في دماغه و قرر أن يبدأ ببحثه من المشفى، منشأ المؤامرة.

أمام منشأة حديثة العهد لشركة بيير & داليس تواجد خليفة رفقة شريكه بيير و هما أمام البئر الضخم الذي تم بناؤه حديثا قرر بيير أن تكون خطته هنا.

بيير : سيحضرون لنا أوراق العقد الآن، إنها تحمل توقعي و توقعك على مشروع بناء الجسر الرابط بين شرق مدينة باريس و غربها.

اندهش خليفة قائلاً : أرى إنه مشروع ضخم !

بيير : أجل، لكن لا تقلق لقد بدأنا منذ مدة في تنفيذه و لم يتبقى إلا أيام قليلة لاختباره !

خليفة : و ماذا سيكون دوري في هاته الشراكة، إن كان المشروع بدأ فعلاً !

بيير : ما زال هناك الكثير لفعله في هذا المشروع، نحتاج آليات عديدة لربط أسلاك الكهرباء حوله، مواد بناء الأعمدة و القواعد، لذا نحتاج لشركاء جدد لنجدد شراء ما سبق و قلته لك و لبناء علاقات متعددة مع مصادر مختلفة من الشركات، و غير هذا فإننا لن نكون شركاء في هذا المشروع فقط، بل أريد أن تكون شراكتنا دائمة و أن نصبح يدا واحدة في الشركة.

قبل أن يضع يده في يد شريكه جاءت مساعدة بيير و قدمت له أوراق العقد ليوقع عليها خليفة دون أن يطلع على جل مضمونها بعد الثقة التي بنيت بينه و بين بيير...و بينما كان يوقع كانت الشرارة تزداد في أعين بيير و الحماس يسرع نبضات قلبه...ليتركه خليفة أمام منشأته و تلحق به روزالينا.

- أبي، أرى أنك مسرور جداً، أخبرني سر سعادتك !

- هنالك فرصة ضخمة تطبخ على نار هادئة !

- لكن أتدري من هذا الشخص الذي وقعت شراكة معه، إنه متهم منذ مدة أنه اغتصب فتاة و قتلها حرقاً و أفلت بعقوبته و الآن ظهرت أخباره أنه قام بتزويج ابنته رغماً عنها ليستعيد منصبه ! كيف سمحت له بالدخول إلى شركتك !؟

- قلت لك أن هناك فرصة ضخمة بيده انتظري و سترين !

- حسناً سأرى...ثم قالت محدثة نفسها :

- هنالك مشروع ضخم أمامي لأستهدفه، سأريك أيضاً يا أبي !

و على بعد أمتار من المنشأة كانت نورسين تراقب خليفة بعد أن تعقبت حركاته رفقة داليا.

نورسين : جيد أننا راقبنا خطواته، أترين إلى أين حط رحاله، إنه يقع بين أيدينا في كل فرصة تأتي إليه، الآن سأدعسه بيدي و لن يعود بعدها إلى حياته، لك أن تنتظري و تترين !

كانت داليا في حيرة من أمرها و هي تتذكر الحلم الذي مرت منه، و الكلام الذي سمعته من شافعة في كل خطوة تخطوها حذو أمها و هما عائدتان إلى منزلها بعد أن بدأتا في تمهيد الطريق التي ستدمر خليفة ؛

- أنت لا ذنب لك في كل هاته الحكاية، ما دمت مبتعدة عن طريق نورسين، طريق الظلام و الشر.

مخفر الشرطة

بدأت التحقيقات مع سعادة بعد الشكاية التي وضعتها مهجة ضدها...و بدأ المحقق ينهال بأسئلته عليها ؛

- ما علاقتك بمراد ؟ كيف اقتربت من مجال عمله و قمت بتسميمه، ما سر العداوة بينك و بينه ؟

- ليست لي علاقة به و لا أعرفه أبداً !

و لوهلة من الزمن دخل الشرطي ممسكا مراد من قبضة يده المكبلة بالأصفاذ و التقت أنظارهما للمرة الثانية، الفرصة التي أعطتها مهجة لسعادة للقاء ابنها دون أن تنوي ذلك.

نظرت إليه و الغضب يؤجج دماغها، الغضب على حالتها بسبب ما فعلته مهجة بها بتلفيق التهمة إليها و التحقيق معها، الغضب على قدرها الذي ربط بشكل وثيق مع أكبر عدوة لها... الغضب نفسه يحرق أعصاب مراد بعد رؤيته للمرأة التي تأكل دماغه عبر حديث مهجة عنها و هو ينتظر رؤيتها و التنفيس عن حقه لها...
تقابل الاثنان و استدرك المحقق كلامه :

- هذا هو مراد الذي لا تعرفينه و قمت بتسميمه لكي تسلمي عمله منه، إنه الشخص الذي بفعلتك تسببت بموت أخته على يده...

قاطعت كلامه صارخة و هي تنظر في عين ابنها :

- قلت لك أنتي لم أفعل له شيئا، أنا لا أعرفه و لا تربطني به علاقة، ما الذي يمكن أن يجمعني به.

- فعلا، أنا أيضاً لا أعرفك و لا أعرف لماذا قمت بكل هذا؟! لكن تأكدي أن ما فعلته دمر كل حياتي، إذا كان هذا هدفك فلقد نلتته.

- يا إلهي صبرك!

قبل أن يشتد النقاش أكثر دخل شرطي عنوة و نادى على المحقق قائلاً :

- سيدي هناك من يريد الاعتراف بشيء في قضية الطبيب القاتل.

استغرب مراد مما قاله الشرطي خاصة عند تلفظه بعنوان قضيته، لكنه تغاضى عن ذلك منتظراً مآل قدره و ما قد يحمله المحقق في جعبته عند عودته...بينما كانت تنظر إليه سعادة بغضب عارم و تطقطع أصابعها من شدة التوتر إلى أن دخل المحقق و أنهى محنتهما قائلاً :

- لقد اعترف الطبيب الذي قام بتسميمك أنه أخذ الأوامر من مهجة والدتك...ما علاقتك به و لماذا استطاع فعل ذلك؟! سنرى ذلك الآن حين نواجه بينكما!

أصدرت سعادة تهيدة أصرت من خلالها على إخلاء سبيلها و السماح لها بترك مستنقع المؤامرات هذا، فكان الأمر كما أرادت و تركت المخفر بعد دقائق من تسريحها...ليتعرف مراد على رفيقه الطبيب الذي تعاون رفقة "والدته" على تدمير حياته ليتفاجئ من أنه صديقه الذي تقرب منه داخل الكلية طيلة السنين العديدة. مراد : كنت سألتك ذات يوم كيف ستقرر إنهاء صداقتنا إن فرقت بيننا الأقدار، و لم أتخيل أن هذه كانت الطريقة الوحيدة التي وجدتها! لقد دمرتي فعلا.

قبل دقائق من ظهور الحقيقة لمحت مهجة قدوم شريكها في الخطة و فهمت من النظرة الأولى أن كل شيء فعلته سيفضح اليوم.

مهجة : ما الذي يفعله هذا هنا ؟! هل سيعترف أم ماذا، يا ويلي سيدمر كل شيء، لقد انتهيت، إن قال كل شيء سيدمرني، إنها نهايتي يجب أن أهرب بجلادي ! يجب أن أهرب.

و كان ذلك ما حصل فعلا، في لمح البصر أخذت مهجة كل خططها، مؤامراتها و خطاياها و هربت تاركة الطريق الذي رسمته للأم و ابنها واضحا على مرأى العين دون أن تشعر أنها كانت نهايتها فعلا...و بداية الطريق الذي عزمت سعادة على المشي فيه إلا أنها عند تركها للمخفر رأته بعيداً يختلس النظر إليها و أعينه مليئة بالحب و الألم، لم يستطع القدوم إليها لسببين واضحين ؛ أنه فار من العدالة، و أنه لا يريد تدمير سعادتها عند معرفتها أنه هو من عمل على إظهار الحقيقة، الشيء الذي من البديهي أنها لن تحبده... لذلك اكتفى بالترقب و انتظار تحريرها ليرى الراحة داخل أعينها...و حصل على ما أرادته بحيث رأى عبرهما أكثر مما تصوره، لقد رأى الحب الذي اشتاق إليه منذ سنوات، رأى تلك النظرة البريئة التي غابت عن أعينها بسببه، رأى قلبها ينبض و هي تعلم جيدا أنه سبب في إنقاذها و إنقاذ ابنها...و لم تلبث تلك النظرة إلى أن غابت عن أعينه و تركته وحيداً للحياة من جديد، منتظرا فرصة أخرى لإنقاذها و تحرير نفسه.

أكملت التحقيقات و ظهرت الحقيقة التي أدت إلى اعتقال الطبيب المداوم بتهمة المشاركة في جريمة قتل و تسميم شخص المؤدي إلى خطأ طبي، و إنشاء مذكرة بحث

عن مہجۃ من أجل التہم نفسها، و فی المقابل تحریر مراد و الفريق الطبی معہ و
تعليق الحكم في قضيتهم إلى أجل غير مسمى، بحکم أن ما حصل كان حادثاً خارجاً
عن الإرادة إضافة إلى تعميق البحث عن المتهم الحقيقي و الأول الذي ألقى جسد
عهد يوم الحفل.

عند تركه للمخفر اعترض طريقه وائل و عرف عن نفسه :

- أنا وائل ابن سعادة و خليفة، أظن أنك تعرف الاثنين الآن، أنا أخ غرام، التي
كنت على...

- لا تكمل أرجوك، أنا لا أعرفك و لا أعلم سبب تواجدك هنا و ما علاقتك بي !

- أعلم ذلك أيضاً، لقد سمعت عن علاقتك بأختي و أعلم أنك الوحيد القادر على
معرفة حل مشكلتها...

- أنا لست أقرب شخص لها، و لم تعد لي علاقة بها، لذا لست أنا الشخص المرجو،
ابتعد عن طريقي من فضلك !

- لا أنت الشخص الذي أبحث عنه، أريدك أن تأتي معي أرجوك، إنها طريجة
الفراش و لا تهلوس إلا باسمك !

تنهد مراد بعمق و أمام إصرار وائل قبل الأمر و صعد السيارة رفقة و طار الاثنين
إلى منزل خليفة، حيث تنتظر سعادة قدمهما بعدما اتصلت بوائل ليحلب مراد إليها.

دخل مراد رفقة وائل و هو يهرول بخطواته إلى أن وصلا إلى الغرفة السفلية حيث احتجرت غرام ليندهش من أنها على خير و لا شيء حل بها إلا أن رأته و صرخت في وجهه محذرة إياه :

- مراد انتبه، سيغلق الباب خلفك !

لكن وائل كان أسرع منه و احتجز الاثنين معا ليظلا سوية واحداً أمام الآخر.

سعادة : ستظل أنت بين يدي لي أن تظهر والدتك !

الفصل ٤ :

" لقاء منتظر "

" عطر أمي "

اقترب مراد من غرام بعدما تأكد أنها سيظلان سجينان عند سعادة لمدة طويلة...و عند اقترابه منها باغته شعور اللقاء الأول عند رؤيته لها رفقة عهد داخل الكلية قبل سنتين، اللقاء الذي نشب فيه حبهما طوال تلك المدة ليتوقف عند زواج غرام و فراقها عليه إلى لحظة هذه و هو يلاقيا بعدما تخلى كل منهما على الآخر.

عندما رآته يقترب منها و يهدب أعينه، أدارت وجهها و ضربت عرض الحائط كل مشاعرها تجاهه و كل ما كانت تنوي قوله له عما توصلت إليه من خطة مهيبة لتدميره، إلى أن سمعته يقول :

- أعلم أنك لا تريدين رؤيتي و لا سماع حديثي، لكن يجب عليك الإنصات إلي، أرجوك،...لقد أخطأت في حقك كثيراً، لم أكن لك الشخص الجدير بك و بجبك، لم أكن الشخص الذي وعدتك أن أكون، لقد تخليت عنك و أنت في أصعب مراحل حياتك، دمرتك أنت و دمرت...

- اصمت أرجوك، لا تكمل، لا تتلفظ بذلك، إنك تحرق قلبي في كل مرة تذكر هذا، إنك لا تعلم ما مررت به، لم تعلم شيئاً، لقد دمرت نفسي بيدي، اتفقوا على إنهاء أحلامي و تدمير قلبي، كنت لعبة بين يديهم،...كنت أتمنى أن تأتي و توقف كل شيء، لماذا لم تأتي و تقول أنك تحبني و توقف ما فعلوه بي، لماذا لم تأتي لإنقاذي من ارتكاب خطيئتي، لماذا لم تأتي لترى بنفسك إن كنت سعيدة في قراري و ابتعادي

عنك، لماذا لم تكن شجاعاً و تواجهني، رغبت فقط أن تواجهني و تفرغ غضبك أمامي، ربما حينها كنت توقفت عن فعل ما ارتكبته ظلماً، ربما إن أتيت لكنا الآن معا و لم يكن ليحصل كل هذا بنا...يا ليتك أتيت يا مراد...

- كيف لي أن آتي و أنت تخلت عني بين ليلة و ضحاها، لقد رحلت دون أن تعيريني اهتماماً و تقولي لي شيئاً، رحلت و تركتني لوحدي أتخبط في قراراتي و أدمر حياة الآخرين، تركتني كأني لم أكن ذا قيمة عندك، تركتني كما ترك بقايا الطعام عند موائد المطاعم، ماذا كنت تريدني أن أفعل، أن أركض ورائك بعد أن سمعت عن زفافك عبر الهواتف، أن ألحق بك لأدمر سعادتك التي بنيتها في ليلة واحدة، ماذا كنت تتوقعين مني أن أفعل، أن أتخلى عن كرامتي لأعلم ما بها حبيبي التي تخلت عني،... **ليتني فعلت كل هذا**، ليتني لم أفكر كذلك وقتها، ليت الزمان يعود و أتخلى عن كل شيء من أجلك، أفني حياتي لأظل قريبك و أنعم في حبك،...تبا لهذه الخطايا التي ارتكبتها في حق بعض، أين الحب و العشق الذي وعدنا أنفسنا أن نعيشه، تبا لهذه الأفكار التي دمرت الأسوار بيننا، سحقاً للحياة التي لا نعيشها معا...

كانت مشاعرهما تتضارب داخل الغرفة ليصل صداها إلى وائل الذي اقترب جيداً لينصت إليهما و لتأتي سعادة أيضاً لتقابل ضحاياها.

سعادة : ما الذي يحصل هنا، ما هذا الصراخ !؟

وائل : أظن أن نار العشق ستحرق بيتنا !

سعادة : عشق ماذا !؟

استغربت من حديثه ثم اتجهت نحو الغرفة و فتحت الباب عن الاثنين لتتسرب
أصداء روح الحب عبره تاركة الاثنين جسدا خاويا.

عند رؤيته لها انقض عليها و تصدى له وائل مانعا إياه من الاقتراب منها ثم قال :
- ماذا تريد مني ، لماذا أحضرتني هنا !؟

- أنت و تلك رميت علي تهمة بالغة الخطورة و تود أن أتمرر الأمر بسهولة، لن تترك
هذه الغرفة إلى أن يتم اعتقال مهجة تلك، ما دامت طليقة لن يرتاح لي بال و لن
تبرح مكانك أنت أيضاً.

- ابتعد عني أنت...

- اتركه يا وائل، لن يستطيع فعل شيء.

ابتعد عن وجهه و اقترب منها أكثر لتتأرجح أنفاسهما ثم قال :

- لقد كرهت وجهك منذ رؤيتي لك، و لن يجبرني شيء على البقاء تحت
رحمتك، إن كان بينك و بينها حساب فلا دخل لي بذلك، لا علاقة لي بك،
أو تدرين، إن الشيء الوحيد الذي جعلني أنفر من بيتك هذا هو رائحة
عطرك المبتدلة، أفضل أن أعود إلى السجن من حيث أتيت على أن أظل
هنا ليختنق صدري بها.

ضحكت سعادة بخفة و هي تحملق فيه لتثير أعصابه ثم استدركت غرام الحديث :

- انظري أنت، نحن لسنا مُجبرين على تحمل جنونك، أنت و لا ذلك الذي
يقع بجانبك، لماذا يجب أن نظل هنا تحت رحمتك !؟

انتظرت الجواب منها لكنه أتى من شخص آخر دون توقعات أي أحد منهم، كان خليل من تلقى كلامها، و الصدمة تعلو محياها عندما رآته شامخاً أمامها و الذنوب التي ارتكبتها في حقه و ذهبت ضحيتها كل عائلته، أوسمة على كتفيه.

خليل : لا يجب أن تظلي تحت رحمة أحد، إنك لي و لا يحق لشخص احتجازك غيري !

تصدى له وائل و حاول منعه من الدخول بعدما لن يتعرف على هويته ثم دفع خليل بجسده و تعارك الاثنان ليتلقى وائل ضربة قوية أفقدته توازنه و تتدخل سعادة لإنقاذه ليعدها بقوته من أمامه و تسقط أرضاً تتأوه ألم ضربتها،...ثم توجه بعد ذلك إلى غرام التي احتمت خلف مراد و مكنها عرض ظهره من إخفاء ملامح الخوف من وجهها عن رؤيته ليعترض طريقه مراد لأول مرة يلتقيان فيها.

خليل : ابتعد عن طريقي، أنت تخفي زوجتي خلفك، هيا أنت ابتعدي عن هناك و هي لنذهب من هنا ! دون أن تثير متاعب أكثر !

مراد : إن استطعت المرور أمامي فاقرب منها !

خليل : هكذا إذن !

أخرج سكيناً من سترته السوداء و أجهز به على مراد على حين غرة ليسقط من قوة الألم الذي حل به من شدة الطعنة تاركا غرام في مواجهة خطيئتها و هي ترتعش خوفاً من العواقب...في حين لم يترك لها خليل وقتاً للتفكير في مواجهته و أمسكها بكامل قوته ثم أخذها بعيداً عن المنزل رغم مقاومتها، و هي تنظر إلى مراد يفقد قواه أمام رحيلها من جديد.

و لم تكن الوحيدة التي مر أمامها مشهد طعنه، بل سعادة أيضاً، شعرت أن
السكين انغرز في قلبها، إنها المرة الأولى التي ترى فيها مشهدا داميا مثل ذلك منذ
تركها السجن، انفطر قلبها لرؤية الشاب المسكين يطعن و يترك على يد حبيبته،..
و هل كان ذلك حقيقة ما شعرت به فعلا!؟

قاومت ألمها و اتجهت إلى وائل الذي استعاد وعيه بالكامل فاتحدت معه لإنقاذ
"ابنها" بحيث ساعدته ليحمله على ظهره من أجل الإسراع به إلى المشفى، ليوقفها
أثر دمائه على معصمها و التي شعرت كأنها تمتزج بعروقها، أو أنها تعود إلى أصلها!

الفصل ٥ :

"هل الحب خطيئة أيضاً!"



كانت نبضات قلبه تسمع على بعد خطوات من قلب والدته، شعرت كأن قلبها يشترد مع كل دفعة دم يضحها من أجل تمسكه بالحياة، لحسن حظه أنه لم يفقد دما كثيراً، لأن دمه من الزمرة النادرة، لكن من سوء حظ والدته التي تحمل نفس الزمرة أن لا تعلم ذلك يوماً و لو احتاج قطرة دم لعرفت أنه ابنها الذي اختطف من بين أيديها.

تواجدت سعادة رفقة وائل قرب غرفة مراد بعد أن تم إسعافه في مركز المستعجلات بينما تلقى وائل هو الآخر علاجاً على مستوى الجرح في رقبته.

وائل : ما الذي فعله هنا بعد ؟!

ظهرت على ملامحها علامات التوتر و هي تطلق أصابعها دون أن تعي ذلك إلى أن سمعت استفساره و أجابت :

- أريد فقط أن أطمئن عليه ثم نذهب بعدها، هل استعدت عافيتك كليا !
- أجل أنا بخير، لكن لا أريد البقاء هنا، لا أتحمل البقاء في المستشفيات.
- حسناً إذا كنت بخير يمكنك الذهاب، سأنتظر فقط أن يسترجع وعيه و من ثم ألق بك.

- يا للعجب، من رآك قبل قليل كيف كنت تصرخين في وجهه لن يقول أنك الآن الشخص نفسه، لا بد أنك نسيت من يكون !

- لم أنسى، بل يعز علي تركه هنا بمفرده بعد أن تعرض للطعن بسببنا...نحن من اختطفناه!

- و ما ذنبنا نحن إن كان متورطا مع رجال عصابات و متوغل في مشاكل معقدة!
زاد حديثه من توترها فتركته ينصرف لتأخذ هاتفه الذي ظل معها بعد أن أخذته
عندما حملة وائل ثم أخذت تبحث في سجل اتصالاته الأخيرة لتعثر على رقم **روزالينا**
و تتصل بها.

دخلت غرام منزل خليل من جديد بعدما ألقى بجسدها بعنف قائلاً:
- أظننت أنك ستفلتين بفعلتك، هل اعتقدت أنني لن أعثر عليك و لن أجدك،
دمرت عائلتي و من تم تركتني!
صرخت غرام في وجهه بعد أن استجمعت نفسها و انهالت عليه بالضرب قائلة:
- اتركني أذهب من هنا، لقد طعنت مراد، إنه يموت الآن، لن ينقذه أحد، لماذا
فعلت ذلك، لماذا، ما الذي ارتكبه في حقك لتتركه يموت هناك أمام من ينوي
تدميره، اتركني أذهب لإنقاذه!
أمسك يديها بقوة و قال بصوت حاد:

- لن أتركك تذهبين إليه، من الممكن أن يكون مات الآن! و من يهتم، أنت قتلت
أمي و أدخلت أبي السجن طوال حياته، إذن ما الذي يفرق أمام موت حبيبك!
إنه حبيبك أليس كذلك، لن أتركك تعيشين بعد الذي فعلته، أنا مغرم بك و أريد
تدميرك و من تم أنني نفسي لأنتي أحببتك و أفنيت نفسي و أنا ألحق بك!

زادت نار الغضب داخل قلبها الذي يحترق من شدة الخوف من كل الجهات ثم قال
بهدهوء بعد أن هدت عاصفته :

- ماذا فعلت لك يا غرام، أنا فقط أحبتك و رغبت أن أمضي حياتي برفقتك، ما
الذنب الذي ارتكبته لتدمري عائلتي، أ تدرين ما الذي ارتكبته، إنك ظلمت
والداي، **ارتكبت ذنبا لا يغتفر...**

انهالت الدموع من أعينها فقالت :

- اصمت أرجوك، لا أستطيع تحمل ذلك، لا تقل ذلك مجددا أرجوك إنك تحرقني !

- لا، يجب أن تسمعي و تعي خطورة خطيئتك التي ارتكبت في حقي، لكي لا
تلوميني على العقاب الذي حضرته لك، إنه أقل ما يمكن أن أفعل في حقك،...لماذا
جعلتني أعيش هذا يا غرام، لماذا جعلتني أدفع ثمن حبي لك غاليا، ماذا فعلت، هل
الحب خطيئة أيضاً، **هل حبي لك كان خطيئتي التي أدفع ثمنها الآن**،...لا يمكن، إنهم
يقولون أن الحب شيء جميل يحيي الروح بملذاته و عقباته، لكنني أحترق، ليس هذا
هو عذاب الحب الذي سمعت عنه، ليس هذا العذاب الذي كنت مستعدا لتحمله
في طريق حبي لك، إن نار الألم تحرقني يا غرام و لا أستطيع إخمادها،... هل
انتقامي منك سيخمدها...؟

- أنت لم تفعل شيئا، آباؤنا هم السبب في كل ما حصل، هم من أشعلوا تلك
النار،...لكن إن كنت ترى أن الحل هو الانتقام مني فافعل ذلك، اقتلني ليرتاح
كلانا، أنا أيضاً أحترق كل يوم بسبب ما فعلته بك و بنفسي، إن كان الحل...

- لا تطيلي حديثك أكثر معي، أنا قررت عقابك و أظن أنه قريب الوصول إلي...

توقف كلامه عند سماع صوت رنين جرس الباب ليتأكد من وصولهما.

- ها، إنها آباؤك !

استغربت غرام من قدوم خليفة و جليلة إلى منزله و بدأت تتضح لها نواياه...للتقدم جليلة رفقة خليفة دون أن يعلم سبب اتصال خليل بهما قبل ساعة من الآن.

خليفة : خليل ! ما الذي يحصل هنا، ماذا تفعل ابنتي في منزلك مجددا ؟!

جليلة : غرام ؟ ماذا تفعلين هنا !

ضحك خليل عنوة و قال : اه لقد نسيت أنك طليقتي، لذلك تفاجئنا من تواجدك

هنا، لكن اسمعا، هناك شيء نحن مجتمعون من أجله، اليوم نحن بصدد تحديد

عقاب أكبر خطيئة ارتكبتها الأنسة غرام في حق عائلة بريئة، عائلتي، أنا لن
أحكي شيئا، سأتركها تحكي عن إبداعها و براعتها في تنفيذ الخطايا...تفضلي غرام لك
الكلمة !

صرخ خليفة في وجهه قائلا :

- ما بك يا خليل، لماذا تتحدث بهذا الشكل، هل جننت ؟ هل تناولت مخدرا ما،
ما الذي يحصل يا غرام، شخص ما يشرح !

- لا يا عمي، هل تسمح لي بقولها مرة أخرى أخيرة، أنا فقط تحت تأثير خطيئة
ابنتك، إن سمعت ما ستخبرك به ستصبح مثلي هكذا ! هيا يا غرام أخبري آباءك
كيف نصبت فخا لأمي لتقع مع والدك و كيف دخل والدي السجن بعد قتلها، هيا
قولي شيئا !

اهتزت الأرض تحت أقدام خليفة و جليلة عند سماع الحقيقة، حقيقة ابنتهما، حقيقة
ابنته والتي دمرته كما دمرها رغم أنه لا يربط بينهما شيء...

اقتربت غرام من خليل و واجهته قائلة :

- أجل أنا من نصبت ذلك الفخ، خدرت خليفة و عائشة ثم وضعت جسديهما قرب بعض ليأتي معتر و يضبطهما بجنحة الخيانة، و بذلك أكون دمرت أبي و أنهيت والدتك و عائلتك بأكملها و أنسفها...لكن الأمور أخذت مجرى آخر، لم أكن أظن أن والدك **سيتمادي** في غضبه و يقتل زوجته...أجل أنا من فعل ذلك و أنا من أنقذتك من الموت ليلتها يا خليفة، لم يكن قد حان موعد وفاتك، كنت مدينا لي بحياتي التي أفنيها بخطأ واحد منك و الذي جعلني أنساق في خطاياي، أجل أنت السبب في هذه الكارثة التي فعلت...

كان وقع الصدمة قويا عليهما، بحيث لم تستطع جليلة تحمل وقائع ابنتها و سقطت أرضا لعلها تقدر على رمي ثقل حزنها عليها، بينما بقي خليفة مشدوها أمام ما ارتكبه ابنته بسبب ما فعله بها.

غرام : آباؤنا هم السبب في عذابهم، لقد لعبوا بنا كما أرادوا و ها هم الآن يدفعون ثمن خطاياهم، يجب أن تعلم أننا فقط ضحاياهم، نحن أيضاً ارتكبنا خطايا فضيعة، لكن كل ذلك بسببهم !
صرخ في وجهها قائلاً :

- أنا لم أرتكب شيئاً، أنت الوحيدة الملامة في هذه الحكاية، لو كنت مكانك لما قبلت الزواج الذي فرض علي، لما استأصلت رحمي دون أي سبب، لما تواجهت مع والدي و دبرت له مكيدة دامية، لو كنت مكانك لتركت كل شيء و هربت إلى بلد لا يعرفني فيه شخص و أبتعد عن خطاياهم، لكنك فضلت إثباتها و تحقيقها، لذلك يجب عليك دفع ثمنها !

خليفة : ابتعد عن ابنتي و افعل بي ما تريد !

قال ذلك بجدة جعلت خليل يمسكه من رقبته بعنف و هو يقاومه ؛

- يجب أن تموت أنت أولاً، ثن خطيئتك هو الموت معها، يجب أن يفنى الجميع لتنتهي هذه القصة هنا، مت...مت...

اندفعت غرام و جليلة لتحرير خليفة من بين يديه و الإفلات بأرواحهما فاستطاع خليفة تحرير نفسه بمساعدتهما لينقض خليل على جليلة و ينهال عليه خليفة بالضرب لتخر قواه و ينبطح أرضاً و تصرخ غرام بكل قوتها لتنتهي صراعهما ؛

- توقفوا، اتركوا هذا البيت رجاءً و غادرا، اذهبي يا أمي من هنا أرجوك و خديه معك، لا أستطيع تحمل هذا !

قال خليل و هو راقد أرضاً و الدم ينساب من أنفه و فمه :

- لن يترك شخص هذا البيت اليوم، إلى أن تأخذوا عقابكم جميعاً !

غرام : لن أغادر البيت، سأظل معك هنا !

جليلة : ماذا تقولين يا ابنتي ! هل جنت، لن أتركك تظلين مع هذا الشخص في منزل واحد !

غرام : أنا من ارتكب الذنب و أنا من سأدفع الثمن، سأتحلى عن كل شيء، عن كل شخص أحبه من أجل هذا العقاب، يجب أن أكفر عن خطيئتي، هيا اذهبا من هنا و اتركاني معه.

اشتد الغضب في قلب جليلة و انقضت على خليفة تصرخ في وجهه قائلة :

- افعل شيئاً، ألا ترى ما يحصل أمامك، إن ابنتك تلقي بنفسها في النار من جديد بسببك، أنت السبب في ما حصل بها، أنت من يجب أن يعاني و ليس هي، هيا أبعد ابنتي عن هذا !

- قلت لك لا تتدخل، لا أريده أن يفعل شيئاً من أجلي، ليس له الحق في إنقاذي، هيا خديه من هنا و اذهبا قبل أن أرتكب سوءاً في نفسي، هيا اخرجالا !

صرخت بكل قوتها بينما كان خليل يضحك على وضعهما و العذاب النفسي الذي جعل غرام تعيشه و هي في غنى عنه.

تركت جليلة البيت و الدموع تحرق قلبها ألماً على ابنتها و الحال نفسه على خليفة أو أضعاف ذلك.

غرام : هيا أنا الآن بين يديك، لقد ذهبا، أنا من ارتكبت الذنب في حقك، افعل بي ما تشاء، لقد تخليت عن الكل من أجل هذا، أنا بلا حياة الآن، افعل بي ما تشاء !

قالت ذلك و الألم يعتصر قلبها خاصة عندما راودتها فكرة موت مراد.

اقتربت سعادة من جسد مراد بعدما سمح لها الطبيب المعالج بزيارته بعد استقرار حالته ليلحق بها نفس الشعور الذي باغتها قبل ساعات و هي ملطخة بدمائه.

سعادة : كيف استطاعت مہجة أن تفعل بك هذا، كيف لها ألا ترحم ابنها أيضاً، كيف؟!...و على حين غرة دخلت روزالينا بغثة و انقضت على سعادة و هي تصرخ في وجهها :

- ماذا حصل بمراد، من طعنه بهذا الشكل، ماذا فعلت به، قولي هيا، هل حاولت قتله أم ماذا؟!!

صرخت فيها سعادة بقوة و أبعدها عنها قائلة :

- أبعدي يديك عني، أنا لم أفعل شيئا، أنا من اتصلت بك، لقد وجدته مصابا و أحضرته هنا، هذا فقط ما حصل !

ابتعدت عنها روز بطولها الشامخ مرتدية فستانا قصيرا أبيض اللون لامع المظهر و حذاءها الرمادي البراق الذي ارتدته خصيصا لعرض الأزياء الذي غادرته بغتة بعد اتصال سعادة.

روز : أنا اسفة، لقد جن تفكيري عند سماع ما قلته، آسفة جدا، أعتذر منك...
قالت ذلك و هي ترتب ملابس سعادة و تطلب منها السماح و الامتنان.

- لا بأس، الأهم أن يكون بخير.

- أجل، شكرا لك لإنقاذك، أنت أنقذت حبيبي و أنقذت حياتي !

التفتت إليه و تمعنت في صدره العاري و الأسلاك المحاطة به و اقتربت فجلست بجانبه ثم قالت و الدمع يسيل على خدها ؛

- إنه لا يتركني أظل بجانبه، يبعديني في كل فرصة يراها أمامه، لا يجبني رغم أنني أعشقه بشدة، فعلت المستحيل من أجله، أجل، فعلت كل ما أستطيع لكي أكون بقربه، لكي يجبني، لكي أبعده أي شخص يقف عائقا في طريقنا، لقد وصل بي الأمر للقتل، أجل، إلى القتل، لقد قتلها لأنها وقفت عائقا في طريقي، تحدثني...

لم تعلم سعادة بماذا أصيبت عند سماعها كلمة القتل، ارتجف قلبها و ابيض وجهها و
تجمد جسدها على الأرض التي تحملها.

- ماذا قلت؟!...هل قتلت شخصا ما...

نهضت روز من مكانها مما زاد من رعب سعادة فوقفت صامدة أمامها تسمع حديثها ؛

- هي من واجهتني و حاولت إبعادي عنه، و لا شخص يستطيع التدخل في حياتي
و لا قراراتي، ليس لها الحق، **أجل لقد قتلتها بالنهاية، قتلت عهد،** رميت بجسدها
يوم الحفل، لقد كانت فريسة سهلة، قدمت إلى موتها...

زادت صدمة سعادة عندما علمت هوية الضحية بعدما ضعفت روز أمامها و
اعترفت لها بخطيئتها مما جعلها تقف صامدة و الخوف يقتلها.

ابتعدت عنها روز و عادت إلى حضن مراد الغائب عن الوعي و هي تنتحب قائلة :

- لم أنوي قتلها، هي من استفزتني و من أغضبني، لقد أثارت غضبي و عندما
رأيتها، رأيت مراد يضيع من بين يدي، لم أنوي قتلها...لن تخبري شخصًا، أليس
كذلك!؟

غيرت نبرة صوتها و ازداد حدة جعلت سعادة ترتعش منها فأجابتها :

- لا تقلقي، لن أخبر شخصًا، لا أعرف من عهد تلك، لا يهمني هذا الأمر أصلاً، لن
أخبر شخصًا!

- فعلا، لقد ارتاح قلبي الآن، شكرا لك يا سيدتي !

فاجأتها حين عانقتها دون وعي شعرت من خلاله سعادة أنها ليست بشخص طبيعي
و لم تمكث معها أكثر من ذلك و خرجت لاستنشاق هواء جديد و هي تقول :

- ما هذا الذي تعيشه يا مراد !



الفصل ٦ :

داخل المسرح البلدي و على الساعة التاسعة ليلا، تواجد وائل بين جمهور عرض مسرحي كوميدى، الأمر الذي آثر فعله بعد عراكه مع خليل...اختار أن يهدئ من أعصابه و يرفه عن نفسه بمشاهدة العرض الكوميدي كما كان يفعل سابقا رفقة أصدقائه حين كان يعمل بباريستا في مقهى معاصر قبل أن تلاقيه سعادة في عرض مسرحي لعب فيه دورا ثانويا و تطلب مساعدته ليمثل دور ابنها...و ها هو اليوم يعود إلى المسرح من جديد ليشاهد أحد أصدقائه بالدور الرئيسي إلى أن ظهرت له بجانب الستائر الحمراء مرتدية مريلة عاملات التنظيف، بشعرها الأسود الأشعث المعكوف بشكل عشوائي و عيونها النارية ليتعرف عليها في لمح البصر، مما جعله يمسك هاتفه و يترك القاعة ليجري اتصالا هاتفيا.



وائل : لقد رأيتها، وجدتها هنا داخل المسرح !

سعادة : من وجدت ؟!

وائل : لقد عثرت على مهبجة !

تلقت خبره بتوتر عارم و هي ترقد بجانب مراد من جديد منتظرة عودة روزالينا.

سعادة : لا أستطيع تركك بمفردك الآن، لقد ظهرت والدتك أخيراً...رغم أنها لا تستحق هذه المكانة، إلا أنها يجب أن تأخذ عقاب ما فعلته بك و بي، لكن أولاً من حقها أن تعلم من قتل ابنتها، يجب أن أخبرها بذلك !...

صمت حين سمعت خطوات روز بكعبها العالي و فتحتها الباب لتنهض سعادة من
مكائنها و تلتحق بها.

روز : أ لم يستيقظ بعد !؟

سعادة : ليس بعد، لقد قال الطبيب أنه سيأخذ وقتا ليسترجع وعيه !

روز : حسنا ! انظري ماذا أحضرت له !

أظهرت لها لعبة الدب القطبي الذي أحضرته هدية له و تظاهرت سعادة بالمبالاة ثم
قالت :

- روزالينا، مراد الآن ليس بمفرده، أنت معه، لا أستطيع البقاء أكثر من هذا، يجب
أن أذهب، لدي أمور مستعجلة لقضاءها.

- أجل لا تقلقي يمكنك الرحيل، أشكرك فعلا على وقتك هذا و إنقاذك حبيبي، لا
أستطيع فعل شيء لأجزيك على خيرك هذا.

- أنا لم أقدم إلا الواجب، أودعك الآن !

- مع السلامة.

بقيت روزالينا مع مراد تداعب جسده القوي و تمنع نظرها في جماله، الأمر الذي
حلمت به منذ أول مرة رآته فيها و انجذبت إليه بشكل جنوني، تمت دائما أن تختلي
به و تمضي كامل وقتها معه دون أن تعلم أن التي تركتها ترحل الآن ستنتهي حياتها و
آمالها بصفة نهائية.

وصلت سعادة إلى المسرح بعد ساعة من تحررها من ضيق روزالينا و وصلت مع انتهاء العرض فوجدت وائل ينتظرها عند البوابة الرئيسية و التوتر ظاهر على محياه ليأخذ بيدها و يذهب بها إلى حيث وجد مهجة ثم قالت له :

- هل ظللت هنا تراقبها ؟

وائل : أجل ، لقد بقيت أنظر إليها و لم تغب عن ناظري ، إنها ما زالت في موقعها ، أظن أنها تلبث هنا.

سعادة : حسنا لنذهب !

أوقفها قائلاً :

- انظري ، يجب أن ترفعي راتبي على الذي أفعله معك ! إن حياتك مليئة بالإثارة ! لم أظن يوماً أنني سأقوم بهذه التحريات كلها.

- الحق بي الآن و كف عن الثثرة !

نزلا الدرج و أسرعاً إلى غرفة التغيير ليجدا مهجة هناك ترتب مكان نومها ليقطع عملها صوت سعادة.

- أخيراً عثرت عليك !

اندهشت حين سمعت قولها و ارتجف قلبها مما سيحصل لها...فحاولت الفرار لتوقفها سعادة عنوة و تقول :

- ألا تريدان معرفة قاتل ابنتك !؟

وقفت مكانها جامدة ثم التفتت إليها قائلة :

- ما شأنك أنت بابنتي، كيف تذكرينها على لسانك !

- أنا فقط علمت من قام بقتلها و آثرت أن أخبرك قبل أن تعانقي السجن !

- من قتل ابنتي، أخبريني هيا أسرع !

- إنها روزالينا.

- من هذه؟! و ما علاقتها بابنتي ؟

- إنها حبيبة مراد ابنك، لقد اعترفت لي بذلك قبل ساعة من الآن، إنها الآن في المشفى بجانبه ! صدمتها باعترافها دون أن تفكر في عواقب فعلتها...فانهارت مهجة بالبكاء و هي تقول :

- آه، لماذا فعلت بي هذا، لماذا قتلت ابنتي، ما ذنبا !

- أترين يا مهجة، أنت تعيشين الآن و تأخذين عقاب أخطائك، لقد دمرت حياة أبناءك بيدك، دمرت الجميع و أنت تقفين برود أممي، لم تتركي فرصة إلا و استغللتها للانتقام مني أيضاً على شيء ليست له قيمة...

انهمرت دموعها و هي تصغي بتمعن إلى كلامها دون أن تنتفض عليها لأنها علمت أخيراً حجم أخطائها و تأكدت أنها تدفع ثمنها و المحزن أنها تدفع ذلك بأبنائها.

- كنت تعذبنني في كل فرصة تسمح لك بذلك، ماذا فعلت لك غير أنني تعرضت للحب، ماذا فعلت أخبريني، هل ذهبت إليه و أخذته من يدك، إنه هو من أحبني، هو من بحث عني و عثر علي، لماذا تكرهينني لدرجة جعلتك توقعي بي لأدخل السجن، لماذا كل هذا ! ماذا جنيت ؟ لا شيء، انظري إلى حالك، أنت وحيدة و ضائعة أمام أخطائك، انظري، أنت هنا حيث كنت تغنين و تجعلي الجميع

يركع أمام الحانك، و ماذا الآن، لم يعد شيء، لقد بقيت مرمية لوحداك أمام
رغباتك...لوحداك.

تركت سعادة المسرح بعد أن أسقطت قناع الكره عن مهجة و أمسكت يد وائل
تاركينها لوحدها مع فكرة الانتقام لقاتلة ابنتها.

الفصل ٧ :

Dîner de Gala

العشاء الأخير

داخل إحدى منشئاته الخاصة بإقامة الحفلات اختار بيير أن يجري حفلا على شرف مشروع الجسر الجديد بمعية شركائه، و هنا أقام الحفل و عزم ضيوفا قليلو العدد و كبرو الأهمية، منهم شريكه الجديد خليفة و عائلته بأكلها.

كانت ساحة المنشأة ضخمة تضم مقاعد كثيرة تتسع لأزيد من مئة شخص، و المطبخ حيث يتم تحضير الوجبات على مقربة من بهو الساحة، أما المعدات المسؤولة عن الزينة و المفرقات النارية التي أعدها فريق الديكور مفاجأة للضيوف كانت بعيدة عن المطبخ لسبب واحد و هو أنها تحتوي على غاز قابل للانفجار في حال ملامسته لشيء ساخن أو مشتعل.

و على إيقاع نغمات موسيقى الكالا دخل بيير رفقة عدد من أصدقائه و العاملين في شركته، مرتديا بدلة سوداء مخملية و بتسريحة شعر لامعة تظهر اللون الأبيض لخصلاته المتقدمة العمر. تقدم و هو يجي ضيوفه المعدودين ثم دخل من بعده خليفة برفقة سعادة و ابنهما وائل بحيث ارتدى خليفة بدلة رمادية اللون بينما ارتدت سعادة معطفا أخضر مخملي من مجموعة المصمم بيدران و من نفس المجموعة ارتدى وائل بدلة سوداء تلاءم والدته.

انظم خليفة و عائلته إلى بيير و تبادلوا التحية و التهانى بمناسبة المشروع الجديد إلى أن دخلت روزالينا متأخرة بعد أن أنهت عرض أزياء المصمم سنسي.

دخلت مرتدية فستانا أبيض اللون قصير يبرز ملامح جسدها و كانت تنوي بعد ذلك الذهاب به إلى المشفى لمقابلة مراد بعد أن أخبرها طبيبه أنه من الممكن أن يستعيد وعيه الليلة.

روزالينا : مبروك عليك المشروع الجديد يا أبي، ستحقق نجاحا باهرا به أيضا.
بيير : شكرا يا ابنتي، أقدم لك السيد خليفة، نحن شركاء في هذا المشروع ! قلمي له التحية.

ألت روز التحية على خليفة و عائلته الصغيرة بوجه مبتسم ليكمل بيير كلامه :

- أنت أيضاً ستتعرف على شركائي الكبار في جل مشاريعي يا خليفة، هن من شيدت بفضلهن العديد من المنشآت و المكاتب، بفضلهن كبر اسم بيير على نطاق واسع، و أنت أيضاً سيسمع اسمك على **صدي بعيد!**

خليفة : أتمنى ذلك بأسرع ما يمكن !

ضحك الاثنان بينما لم يفقه الآخرون شيئا من المعنى الحقيقي لما يقصده بيير ثم قال فجأة حين رأى شريكاته :

- ها، ها هما، لقد وصلتا أخيرا !

عندما التفت خليفة لرؤيتهما سرت بجسده قشعريرة و رجفة قوية طغت على سعادة أيضاً حين علمت أن شريكات بيير هما نورسين و ابنتها داليا.

دخلت نورسين بستان أحمر طويل براق و حذاء كعب عال فرحت بارتدائه احتفالا باسترجاعها لقوتها و خطواتها من جديد أما داليا فدخلت و شعرها الذهبي

يتطير مع نسيمات الهواء العليل الذي أنعش قلبها بعد أن ساد عليه الغبار مما اضطرت لتعيشه بسبب انتقامها.

بيير : مرحبا بكما، خليفة، أقدم إليك السيدة داليا، المهندسة العظيمة التي وضعت ثقتها بي و صنعنا الكثير معا، و هذه السيدة نورسين والدتها، أستاذة الطب سابقا... مرحبا بكما تفضلا.

تبادل الجميع التحية و خليفة ما زال تحت صدمته و هلعه حين علم أن شراكة نورسين مع بيير لن تكون مجرد محض صدفة و شراكته أيضاً...

بدأ الحفل و تقدمت المأكولات و انسابت الموسيقى على مسامع الجميع و كثر الحديث عن المال و الأعمال و المشاريع لتدخل **مهجة** و تطفئ ضجيجهم بصراخها.

•

- أين تلك القاتلة، أين هي من قتلت ابنتي !؟

تفاجئ الجميع من مباغتتها لهم و هي تصرخ حاملة سلاحا ناريا بعدما سرقتهم من أحد حراس المسرح حيث كانت تلبث بعد أن قامت بوضع منوم في طعام قدمته له.

اهتز الجميع عند رؤيته و الكل ترك مقعده بما فيهم روزالينا عند سماع كلمة **القاتلة**.

مهجة : أين روزالينا ! أين تلك القاتلة !

"بعدما أخبرت سعادة الحقيقة عن روزالينا لحقت بها إلى المشفى و علمت أنها ستكون في الحفل المنظم من قبل الشركة لذلك آثرت أن تفضح جريمتها أمام الجميع و تأخذ حق ابنتها اليوم"

اقترب بيير من مهجة و هو يصرخ في وجهها حفاظا على عرض ابنته قائلا :

- ما الذي تتفوهين به أنت، كيف تتهمين ابنتي بمثل هذا !

وقفت مهجة أمامه بقوة و كان ردها :

- ابنتك قتلت ابنتي يوم حفل السوبرانو، إنها من قذفت بجسدها يومها !

اندهش الجميع من سماع كلامها و ألفت روزالينا بنظرها إلى سعادة بعدما ظهر لها بوضوح أنها من وشت بها... كانت نظرتها إليها ثابتة تحمل معاني الانتقام و الغضب اللذان سيطرا على روز وقتها، ثم عادت بنظرها إلى مهجة و اقتربت منها لتواجهها و تنكر فعلتها مبرئة نفسها أمام الجميع ليتصدى لها والدها دفاعا عنها من السلاح الموجه إليها.

قالت روزالينا معترضا بيير طريقها و هي تصرخ في وجه من اتهمتها :

- أنا لم أفعل شيئا ! لم أقتل شخصا، لا أعلم عنم تتحدثين !؟

- قتلت ابنتي عهد، حرمتني من ابنتي دون أي سبب، لم ترحمي ابنتي و قذفت بها مثل كتلة من القذارة، لكن لن تغفلي من عقابك...

أجهزت سلاحها و وضعت اصبعها على المقبض ليقفها صوت نورسين :

- قبل أن تقتلي شخصا يجب أن تعلمي هويته الحقيقية، من أجل تحمل الذنب

كاملا، التي أمامك ليست ابنة بيير، إنها روزالينا، ابنة خليفة و جليلة.

نزل الخبر كالصاعقة عليهم، بحيث لم يستطع بيير تمالك نفسه و انتابه هلع سيطر على قلبه و عقله و هو ينظر إلى ابنته التي لم تفقه شيئا مما قالته نور، كانت الصدمة قوية عليهم و على خليفة الذي لبث جامدا مكانه و هو الذي يعلم من تكون ابنته الحقيقية الآن و هي أمامه متهمة بجرمة قتل بشعة.

قطعت مهجة حيرتهم و اندهاشهم قائلة :

- لا يهمني ابنة من هي، إنها قاتلة ابنتي !

ثم أجهزت سلاحها من جديد و صوبت نحوها ليمسك بها بيير بقوة و تتعالى صرخات الحاضرين و الكل يركض خوفا من الطلقة المميتة لتنساب مهجة من يديه و تأخذ روز بقوة و سكين حاد باليد الأخرى وضعتة على عنقها، وسط صراخ روزالينا و محاولتها الإفلات من قبضتها دون جدوى أمام قوة الغضب التي اعتلت مهجة، و لم تترك حلا آخر لبيير إلا أن يصوب عليها و يسقطها مع جسد ابنته دون أن يكون قد انتبه للشموع التي كانت خلفها و التي امتزجت نيرانها مع كثافة غاز البوتان بجانبها لتنفجر الآلة و تذهب ضحيتها مهجة و قاتلة ابنتها...بينما انبطح الجميع أرضاً خوفا من الانفجار.

داخل المشفى استعاد مراد وعيه و كان ذلك الأمر الذي ترك روز تلمي دعوة والدها إلى الحفل و لولا ذلك للبث بجانبه مثلما أرادت، لكن القدر أراد شيئا آخر...قدمت إليه جلييلة و الدموع تملؤ عينيها مما زاد من استغرابه لقدمها.

مراد : تفضلي أرجوك !

كان يرتدي قميصا أبيض اللون و بنطالا مريحا بنيا قدمتهم له روز و ظل بهما اليوم بأكله منتظرا صبيحة الغد ليترك المشفى دون أن يعلم ما الذي حل بغرام بعد طعنه.

جلييلة : لقد علمت أنك أصبت للتو، أتمنى أن تتحسن حالتك في أقرب وقت !

مراد : أنا سعيد جداً بقدومك، شكرا لك !

جلیلة : لقد أتیت إلیک من أجل غرام !

استوی فی جلسته عند سماع اسمها و نبرة الحزن فی کلام أمها ثم قال :

- ما بها غرام، ما الذي حصل ؟!

استدرکت نوبة البكاء التي ترکتها عندما دخلت إلیه و قالت :

- لقد اختطفها خليل، لقد جن و اختطف ابنتي ! إنه یحتجزها فی منزله !

تغيرت ملامحه و سيطر الغضب علیه قائلاً :

- کیف یجرؤ علی اختطافها ! یجب أن نذهب إلیها و نحررها من بین یدیه !

- أنت الآن مصاب یا بني ! لا تذهب و حالتك هكذا ! انتظر قليلاً !

- لا أستطیع الانتظار و غرام محتجزة عند شخص ما يبدو علیه الجنون.

- أنا أردت فقط أن أجد شخصاً یقف بجانبی و یساعدنی فی تحریر ابنتي و لم أجد غیرك یا مراد، أنت سندی الآن و سند ابنتي، یمكننا الذهاب صباحاً و اصطحاب الشرطة معنا !

-أنا بجانبك، لا تقلقي، لن أسمح بمكروه أن یصیب حبيب...غرام !

قرر الاثنان تحریر غرام بأي ثمن و هي التي تستعد الآن لتقابل خليل و تلبي طلبه و دعوته لها للعشاء خارج البيت فی أفخم المطاعم، و من أجل ذلك أمرها أن ترتدي أجمل الفساتین و أن تجعل من نفسها أروع امرأة فی ذلك المطعم و كان ذلك ما رآه حين استقبلها تنزل الدرج بفستان طویل بني مزركش و تسريحة راقية لشعرها

البنى الطويل، لكنه قبل أن يترك البيت رفقتها آثر أن يرقص معها ليتمتع بجمالها
للحظات قبل أن تخطفها منه أنظار الآخرين... و وافقت على طلبه، كيف لا و هي
سلمت نفسها له لتكفر عن خطاياها العظيمة و لو كان الحل لخلاصها هو مجرد رقصة
مع ضحيتها لما كانت ارتكبتها أصلاً.

"...لقد أخذت ابنتك الحقيقية روز و وضعت مكانها غرام، لو لم أفعل هذا لما
عاشت الاثنتين حياة الأخرى، لكنك عذبت بأفعالك ابنتك روز، لكنت هي
التي قاست مع عاشته غرام، لكن الأمر سيان، كنت في الحال نفسه
ستعذب ابنتك، و كانت ابنتك الأخرى ستعاني عند معرفتك والدها، إذن
ادفع ثمن خطيئتك و خطايانا معا، هذا هو قدرنا جميعاً..."

الفصل ٨ :

" مهجة العهد تنطفئ اليوم "

تكاثفت جهود الأطباء لإنقاذ ضحيتي الانفجار داخل قاعة الحفلات لليلة بأكملها و لم تنتهي عملية إنقاذهما إلا مع حلول الصباح بينما كان البعض في مركز الشرطة للتحقيق في ملابسات الحادث و البعض الآخر منتظرين قرب غرفة العمليات، منتظرين

شفاء روز.

كان بيير وحده من ينتظر ابنته و هو عند باب مركب الجراحة، وحيداً طيلة الليل و الحزن يخيم عليه، خوفاً من فقدانها، خوفاً من الحقيقة التي انفجرت خلال حفله، خوفاً من العواقب التي ستحدث إن ماتت ابنته و العكس إن أخذها منه القدر و هي على قيد الحياة...قطع انهياره مرور الجراح الذي دخل قبل ساعات برفقة عدد كبير من الأطباء و الممرضين ثم سارع إليه و طلب سماع الخبر الذي انتظره بشدة :

- أرجوك، أخبرني، ما الذي حل بابنتي، هل هي بخير،...؟!!

- إن ابنتك بخير، لكن الحريق تمكن من وجهها و الجزء الأعلى من كتفها، أتأسف لإخبارك بهذا، لكن حصل معها تشوه دائم، كنا نحاول طيلة هذه الساعات لوقف النزيف و العمل على الحفاظ على تدفق الدم خوفاً من ضمور عضلات الفك و حفاظاً على القليل منها لمنع أي تعفن ممكن....سننقلها الآن إلى غرفتها الخاصة و يمكنك رؤيتها بعد استيقاظها.

ذهب الجراح و ترك بيير مفزوعاً مما قاله و مآل ابنته ليعود مجدداً و يهدم سقف آماله الذي بدأ في الانهيار :

- أجل و نسيت أن أخبرك أن الشرطة تريد التحقيق مع ابنتك في قضية قتل اتهمت بها، من أجل ذلك تحدثت معهم و أخبرتهم أن يتركوها ترتاح لمدة ثم يواصلون بحثهم،...

حرك رأسه بإيماءة خفيفة و عيناه متسعة مليئة بالدموع، كيف له أن يتقبل وابل الضربات تلك، كيف له أن يواجه ابنته عند معرفتها أنها لن تستطيع استعادة جمال وجهها الذي تعنت به أمام العالم، كيف سيستطيع أن يتقبل حقيقة أنه ليس والدها و أنها ليست ابنته، كيف سيواجه حقيقة أنها قتلت شخصا دون أن ترحمه ! كيف سيتقبل نتيجة الخطايا التي ارتكباها معا !

في الغرفة الأخرى خرجت **جثة مهجة** مغطاة على كاملها بالأبيض دون أن يتلقى لها شخص من عائلتها، دون أن يبكي أحد على جثتها النازفة، دون أن ينتحب شخص... كانت تلك نهايتها المريرة التي لم يتوقعها شخص، كما لم يتوقعوا نهاية ابنتها عهد، ماتت وحيدتين لسبب واحد و هو الخطيئة، انساقا بشكل عميق في خطيئتهما و أحرقت الاثنين، إلا أن عهد ماتت بذنب خطايا الآخرين، هم من انساقوا بشكل أعمى و دفعوا بها إلى الموت، و منهم والدتها أيضاً... فهل موتها يمحو خطاياها و يكفر عنها أم أنه مجرد مفارقة للروح !

مر الليل و مراد مستلقيا في فراشه داخل غرفة المشفى يستعيد عافيته منتظرا سطوع الشمس ليشن حربا ضد من تجرأ و تطاول على محبوبته، و كان ذلك ما حصل بحيث ترك مكانه رفقة جليلة و اتجها برفقة الشرطة إلى منزل خليل الذي كان وقتها داخل غرفته منتظرا قدوم غرام من أجل تلبية شهوته، و التي فهمت قصده عندما استيقظت بجانبه متعبة من ليلة البارحة و نسيت بذلك إعطائه المنوم الذي اعتادته بعد زواجهما، فتركته صبيحتها مسرعة بحجة ألم في المعدة و أغلقت على نفسها باب المرحاض.

خليل : غرام حبيبتى، إنك متأخرة جدا، هل حصل مكروه لك ! أنا أنتظر.

ارتبكت بشدة و لم تعلم ما الحل إلى الخلاص منه، لم ترد وقتها أن يقترب منها أو يلمس شعرة منها و بدأت **تتلاشى** فكرة التضحية من بالها و عاد وعيها إليها، بل اندثرت خطيئة الغضب من قلبها و أيقنت أنها الآن في ورطة لا مهرب منها.

ازداد غضب خليل و هو ينتظر خروجها دون جدوى فبدأ يصرخ فيها و عيناه تلتهب شررا إلى أن كسر الباب و وجدها واقفة ترتعد خوفا ليقرب منها و يمسكها بقوة في ظل صرخاتها و مقاومتها بدون فائدة و يقذف بجسدها إلى السرير و العنف سيد الموقف...بينما في نفس الأثناء وصل مراد و جليلة رفقة الشرطة التي استطاعت بمعداتها كسر باب المنزل و مدهمته، ليسرع مراد متجها إلى مصدر صراخها و ينقذها من بين مخالفه.

أمسكت الشرطة بخليل و هو يقذف مراد بكلمات قاسية فانهالت عليه جليلة باللطم و الضرب لتريح عن قلبها قليلا من الألم مما فعلته ابنتها بنفسها.

توقف الزمن لحظتها و خليل بين أيدي الشرطة و غرام بين أحضان مراد و دقائق قلبها تتسارع لتعيده إلى وضعه الطبيعي في مكانه الأصلي بجانب قلب محبوبه...ليتحدث خليل مرة أخرى و ينهي اللحظة بكلامه اللاذع :

- لقد تمكنت مني الآن و نجوت، لكن اعلمي أن من ارتكب ذنبا، لن يستطيع الإفلات منه ما دامت روحه ملازمة لجسده، انتظري العقاب يا غرام، انتظري و سترين !

أخذته الشرطة و ذهبت به إلى المخفر تاركة مراد رفقة غرام و جليلة التي عانقت ابنتها و حاولت تهدئتها بعد الكلام الذي ألقى به خليل كالسم الذي سيجعل روحها تتحلل يوماً بعد يوم.

غرام : لن أرتاح أبدا بسبب ما فعلته، إن ذلك يحرقني، لن أستطيع الخلاص أبداً !
جليلة : أنا دائماً بجانبك، سنجد الخلاص معا يا حبيبتي، أعدك، لا تقلقي، سير كل هذا، ثقي به، **كله سير**.
اقترب مراد من غرام و قال :

- أجل يا غرام، كله سير، سننسى كل هذه الأيام المريرة و نمضي بحياتنا...
صمت قليلا وسط رياح الصباح الباردة و توقف الزمن من جديد لحظتها لينطق مراد بالكلمة التي تعيد الحياة لأي قلب مات قهرا و ألما :

مراد : **أنا أحبك يا غرام**، أحبك و أضحي بأي شيء لأستعيد ضحكك و سعادتك، أحبك و أريد تمضية هذا الألم معك، سنمحي خطايانا معا، نحن الاثنين !
ابتسمت جليلة و اقتربت غرام من مراد و قلبها يرجف من تلك المشاعر التي غابت عنه لأيام عديدة لن يغفرها إلا الزمن و قوة الحب لتقول هي أيضاً حين امتزجت أنفاسها بأنفاسه :

- أنا أيضاً أحبك و لا أستطيع العيش بدونك، أحبك يا مراد !

تعانق الاثنان و فاضت مشاعر حبهما بعدما كانت حبيسة الحياة مدة لا تغتفر، مدة طويلة جعلت عشقهما يذبل و هي تلاحظ من بعيد دون أن تقدر على التدخل، تلك المشاعر ذات الكبرياء المتعالي و العنفوان النفسي التي تفصل بين الأحباء و

تتعاضم عليهم، أجهشت اليوم و انصاعت لأوامر العشق الذي أبى أن يحرم نفسه من هذا الحب الذي كان سيضيع هباء من بين يديه.

نُقلت روز إلى غرفتها الخاصة و لحق بها بيير منتظرا استيقاظها و هو يتألم من رؤية حالتها و التشوه البادي على نصف وجهها، و ماذا بإمكانه القيام به غير الانتظار...انتظار مواجهة القدر القاسي الذي ينتظره.

بعد لحظات قدم خليفة إلى المشفى و التحق بوالد ابنته و التوتر يعلو محياه قائلاً :

- كيف حال روزالينا ؟!

فأجابه بيير بعصبية :

- لقد وصلت ابنتي إلى هذه الحال بسببكم جميعاً، دمرتم ابنتي و أنهيتم حياتها !

- انظر يا بيير، ما قالته نورسين كان حقيقياً، لقد قامت بخطة لتنتقم مني و غيرت

ابنتي بابنتك، ابنتي هي روزالينا !

- لا تتلفظ بمثل هذا مجدداً، لن أسمح لك بأخذ ابنتي مني، إنها ابنتي وحدي و أنا

من ربيتها و فعلت المستحيل من أجلها و في الأخير تقولون أنها ليست ابنتي !

- لن يأخذ شخص ابنتك منك كما لن يستطيع أحد فراقني عن غرام، نحن الآن واحد

و لا فرق بيننا يا بيير، ابنتي هي ابنتك و لن يغير شيء هذه الحقيقة !

كان خليفة يتحدث بهدوء رغم حزنه و صدمته بينما كان بيير يواجهه بعنف و غضب

إلى أن قطع حديثهما صراخ روزالينا عندما استيقظت و رأت وجهها عند حافة

السريـر الزجاجة...فسارع والداها إليها و حاولا الإمساك بها و تهدئتها، الأمر الذي لم يجبذه بيير و ظل ينظر إلى خليفة بغضب.

بيير : اهدأي يا ابنتي أرجوك !

كانت تتلوى ألما بعد الصدمة التي تعرضت إليها عند رؤية تشوه وجهها و عواقب تلك النتيجة على حياتها الخاصة و العملية...

روز : لقد تدمرت، انتهيت، أنتهى كل شيء يا أبي ! لماذا حصل بي هذا !؟

عانق ابنته أمام أنظار خليفة و قال لها مواسيا :

- أنا بجانبك يا ابنتي، لن أتخلى عنك و لن يصيبك سوء ما حيت ! أرجوك لا تتدمري هكذا، لم ينتهي شيء، سيعود كل شيء إلى مجراه الطبيعي فقط ارتاحي الآن و لا تنسي أنني سأكون دائما بجانبك !

- لا تتركني وحدي أرجوك، لا تتخلى عني !

- لا تقلقي.

شعر خليفة بنوع من الحزن خيم على قلبه و هو يرى كيف أن ابنته الحقيقية التي ضاعت منه بسبب خطاياها تتألم الآن دون أن يستطيع مواساتها فتحدى نفسه و قدره و لم يبخل عليها بذلك :

- أرجوك ارتاحي يا ابنتي، أنت الآن في حاجة...

قاطعته صارخة بجنون :

- لا تخاطبني و لا تقل أنني ابنتك، أنا لا أعلم من أنت و لا سبب قدومك هنا، ارحل من أمامي و لا ترني وجهك مجددا ! اصرفه عني يا أبي.

- سأرحل يا ابنتي لا تقلقي !

صرخت بجنون مجددا: قلت لك أنني لست ابنتك، ارحل !

لتأتي الممرضات ليهديئها و يلحق بهم المحقق بعد لحظات :

- أريد الحديث مع المريضة من فضلكم، غادروا الغرفة الآن !

وجه حديثه ذلك إلى بيير و خليفة الذي ظل قريبا إلى أن هدأت من جنونها فقال
بيير :

- في ماذا تريد التحقيق مع ابنتي، لم تفعل شيئا و لا يمكن أن تكون قد
ارتكبت شيئا، أ ولا ترى حالتها هذه، كيف تريد التحقيق معها في مثل هذه
الظروف !

المحقق : لا تخاطبني هكذا لو سمحت و اترك الغرفة أريد الحديث مع المريضة لخمس
دقائق فقط، لقد أخذت إذن طبييها ! هيا من فضلك.

ترك بيير و خليفة الغرفة بعدما حاول هو أيضاً منعه من استجوابها و هي في تلك
الحالة دون جدوى فبدأ المحقق حديثه ؛

- أنت متهمه في جريمة قتل المغنية عهد يوم حفل السوبرانو، هذا هو ما تم
نشره يوم حفل مشروع والدك بيير، والدة الضحية هي من قالت ذلك و
اعترفت به أمام الجميع و كان ذلك سبب نيتها في قتلك يومها... ماذا يمكنك أن
تخبريني به الآن !؟

ظل الهدوء يطبع ملامحها و كتلة الاتهام تلقى على عاتقها ثم أجابت برود :

- لم أفعل شيئاً، كل تلك اتهامات باطلة، أنا لا أعلم عمن تتحدث و لا أعرف المدعوة عهد و لا والدتها، أظن أن تلك المرأة مجنونة، و هي الآن سبب ما تراه، لقد أنهت حياتي بفعاليتها و أنت الآن تحقق معي أنا بدلها.

- السيدة مهجة توفيت بسبب والدك الذي أطلق النار عليها !

- و لم تجد إلا أن تحقق معي أنا، حسنا، لقد أخبرتك، أنا لا أعلم شيئاً عن هذا الموضوع.

- حسنا سأذهب الآن، لكن سنحتاجك فيما بعد، لا تغادري المدينة أو البلد. تركها المحقق و في نيتها أشياء كبيرة الوقع للقيام بها و من أجل ذلك نادى الممرضة و طلبت إليها ألا تترك شخصاً يدخل إليها و تحجبت بتعبها ثم طلبت منها هاتفاً لتحدث قريباً إليها و تطمئنه على حالها، فحصلت على ما أرادته و تركتها الممرضة لتحدثه في انفراد.

روز على الهاتف

- جيم، أريدك أن تساعدني، أنا في المشفى و هناك من يحاول تليفق تهمة إلي، أنا في وضع خطير و هناك خطة محكمة ضدي، لقد حاولوا قتلي و عندما نجوت أرادوا الإيقاع بي، أرجوك ساعدني، يجب أن أترك مكاني هذا اليوم.

و من حسن حظها ترك خليفة المشفى ليلتحق بسعادة في المخفر و بيير توصل
ياشعار عندما بدأ تنفيذ مشروعه و طلب منه المجيء إلى شركته على الفور،
فاطمئن على حال ابنته ثم غادر.

داخل المخفر حيث أشعر مراد بنجر موت والدته و الكشف عن قاتلة أخته ليهرع
على الفور بصحبة جليلة و غرام إلى مركز الشرطة و يلتقي بسعادة و وائل هناك و
يؤكد له الخبر.

سعادة : أجل يا مراد، لقد اعترفت لي روز أنها من قتلت عهد و أنا أخبرت مهجة
بذلك، لذلك تعاركا و قام بيير حماية لابنته بإطلاق النار عليها فماتت من حينها،...
هذا ما حصل !

صدمة مراد كانت قوية و هو يتلقى وابل الأخبار القاسية ثم قال :

- كيف استطاعت روز قتل عهد، و ما علاقتها بها، و كيف صرحت لك بكل
ذلك، ما علاقتكما ببعض !؟

- لقد اعترفت لي يوم كنا في المشفى و كنت أنا هناك بجانبك و قدمت إليك،
كانت وقتها في حالة غير طبيعية كأنها تهلوس و أفضت لي بكل ما في جعبتها، و أنا
لم أستطع إخفاء الحقيقة و أسرعت بها إلى مهجة.

- إنها لكارثة قامت بها روز، إنها مريضة بالصرع و هذا ما جعلها تختل و تفضي لك
بكل الحقيقة، ماذا فعلت يا روز ! لقد قتلت روحي و دمرت حياتنا جميعاً، لماذا
قتلتها، ماذا فعلت المسكينة لها، ماذا !؟

دمعت عينا مراد من شدة حزنه و اشتد الألم في قلب غرام بعد معرفتها أخيراً سبب وفاة صديقة عمرها لتقول سعادة مجددا :

- و هناك شيء آخر يجب عليكم معرفته، قبل وفاة مہجہ، اعترفت نورسين أن روزالينا ليست ابنة بيير بل هي...بل هي ابنة خليفة !

جلیلة : ماذا قلت يا سعادة، هل صحيح ما تقولينه ؟!

سعادة : أجل، لقد اعترفت بذلك خلال الحفل ! قالت أن روزالينا ابنة خليفة و ابنتك يا جلیلة، و بذلك تكون...غرام ابنة بيير !

اهتزت الأرض حول غرام و جلیلة التي اكتشفت أخيراً الحقيقة التي ظلت مخفية لسنوات طويلة و التي غطت عنها و وضعت عليها غبارا كثيفا أزاحته الرياح أخيرا و كشفت عن سره الذي بعثر حياة الجميع.

اكتشفت جلیلة أخيرا من تكون ابنتها التي سرقت من رحمها و وضعت مكانها فتاة أخرى لتلقى نفس مصيرها و تعيش حياتها السوداء.

مراد : هل اعترفت للشرطة عن قاتلة عهد ؟!

سعادة : ليس بعد !

مراد : و ماذا تنتظرين ؟

سعادة : أنتظر عودة المحقق المكلف بقضيتها، أخبرني الشرطي أنه ذهب ليحقق مع روز...

و لم تلبث لتكمل جوابها إلى أن دخل عليهم و أخبره الشرطي عن شهادة سعادة و التي ستتبت جريمة روزالينا و تتهي القضية، ليأخذها المحقق و يترك الآخرين يتزعزعون في صدماتهم.

بعد انتهاء التحقيق معهم تركت نورسين و داليا المخفر و ذهبتا إلى منزلها ثم اتجهت نورسين إلى غرفة معزولة و فتحت الباب و لحقت بها داليا قائلة :

- ما الذي تريدان أن تفعليه !؟

- انظري و اصمتي !

اقتربت منها قائلة :

- أريدك أن تخبريني كيف حررت فخر الدين من قبضة الشرطة يوم جمعتنا كلنا يا شافعة !

كانت المرأة تتنفس بصعوبة و هي مسجونة داخل غرفة مظلمة و شعرها الرمادي الطويل يحجب عنها رؤية النور الذي تراه لأول مرة بعد أيام من سجنها من طرف نورسين.

شافعة : سأخبرك بشرط أن تحرريني قليلا، أنا لا أستطيع البقاء في أماكن مغلقة لوقت طويل، أرجوك !

نظرت إليها نورسين بتعالي و تعجرف ثم قالت :

- حسنا سنرى حيال ذلك، الأهم أن تخبريني كيف حررت فخر الدين من يدهم، أريد أن أحرر خليل !

داليا : ماذا تريدان بخليل أيضاً !

نورسين : لقد أحببته و أحببت خبثه، إنه من يصلح لي للانتقام من خليفة !
شعرت داليا أن والدتها تمادت كثيرا في انتقامها فلم تستطع أن توقفها فقالت شافعة :

- **عندي أناس** جعلت لهم مصدر رزق من العمل معي و مساعدتي في ترقبكم
جميعاً منذ وفاة فرح المفجع لأعرف من القاتل الحقيقي و منذ ذلك الوقت و
هم يعملون لدي إلى ذلك اليوم الذي أخبروني باعتقال فخر الدين في الوقت
الذي كنت أريده أن يجتمع معكم من أجل فض النزاعات و المؤامرات، فطلبت
من أحد رجال الشرطة أن يدبر حادثا مفبركا ليهربه مدة مؤقتة فوافق على
الفور و كان هذا حقيقة ما فعلته !

اندهشت نورسين و داليا من أفعال شافعة و قالت نورسين :

- فعلا لقد صدمتني بقولك، يا إلهي ما هذه المرأة، مما هي مصنوعة، هل أنت
طبيعية أم أن شيطان يسبح داخلك، تظهرين عجوزا مر عليها الدهر تنتظر
فقط موعد وفاتها، و الحقيقي أنك جاسوسة من الطراز الرفيع، يا إلهي من
أفعالك !... حسنا ستجددين فعلتك هذه لإنقاذ خليل، أريده بين يدي في
أقرب وقت.

الفصل ٩ :

Empathy Mothers

عطر أمي²

وردتها رسالة نصية على هاتفها من جيم مفادها:

- انظري سأشعل نارا بطريقة ما تجعل الجميع يتأهب و تلزم الشرطي الذي يقف عند بابك بالتنحي و تركك رغما عنه لتقديم يد العون، و عندها ستهربين من المشفى و تجديني أنتظرُك عند البوابة.

و كان ذلك ما حصل فعلا بعد لحظات من تلقيها الرسالة بحيث شعرت بحركة غير معهودة حول غرفتها و تسارع الخطوات أكد لها أن الخطة نجحت و بإمكانها الهرب. روزالينا : سأختفي قليلا الآن لكن عند عودتي لن يفلت شخص دون عقاب، لن أرحم شخصا خاصة أنت سعادة.

" المغنية السابقة مهجة تتعرض للقتل داخل حفل إطلاق مشروع المهندس بيير "



" تحرير المهندس بيير بعد تبرئته من تهمة قتل مهجة و إنهاء القضية بالدفاع عن النفس "



" ظهور حقيقة قاتل عهد مغنية الأوبرا التي توفيت خلال حفل تتويج السوبرانو غرام "



" اليوم مراسيم دفن مهجة و ابنتها عهد "



" قاتلة عهد هاربة من العدالة، و هي روزالينا ابنة بيير
المهندس "



" شهادة سعادة تدين روزالينا الهاربة "

تم دفن مهجة و عهد أخيرا بعد ظهور حقيقة قاتلها و تسليم جثمانها إلى عائلتها التي لم يبق منها سوى مراد...و بعدها دخلت غرام منزلها رفقة والدتها منهكة و محبطة و اتجهت إلى غرفتها و أغلقت عليها رفقة ذكرى صديقتها.

غرام : أنت الشيء الوحيد الذي تبقى لي من صديقة عمري...كيف سأنسى حزني هذا و كيف سأتعاش به، كيف ؟

كانت تحدث بذلك لعبة الدب الأسود الذي أهدها مراد إلى عهد و الذي احتفظت به غرام بعد موتها كآخر ذكرى منها...و هي تنتحب الآن أمامه رافضة تحمل كل ذلك

الأم...لتدخل والدتها إليها و تواسيها، أمام أنظار روزالينا المتخفية خلف باب غرفة الضيوف.

جليلة : اسمعي يا ابنتي، أعلم أن حزنك ثقيل و يصعب محوه بلمح البصر، لكن يجب عليك أن تتعايشين معه، القدر يكتب علينا أن نفترق عن أحبائنا، إنها سنة الحياة، يجب أن نتقبلها و نتعايش معها، لا تفقدي أملك في الحياة، هناك الكثير أمامك لتعيشيه، و أنا بجانبك لن أتخلي عنك يوما، سمنحي هذا الألم معا،...

كانت روزالينا تسمع كلام والدتها العذب و التي تحملت عناء الخوف و الارتباك لتقتحم منزلها بعد بحثها عنها لتسمع و لو كلمة حنان منها، إلا أنها تسمعها الآن تُصدّر لشخص آخر غيرها فانهالت دموعها من شدة ألم قلبها و هي تنظر إلى مكانها الأصلي الذي سُلب منها و هي في أمس الحاجة إليه...تنتحب البنتان و تواسى واحدة منهما...ليقطع هذا التجاوز طرق على الباب و تتفقد جليلة هوية الطارق لتجده مراد و تدهش من مرافقته سعادة.

جليلة : مرحبا بك يا مراد تفضل...

أمسك مراد يد سعادة بلطف و قال محدثا جليلة :

- أرجو أن تتقبلي ضيفتي، لقد حصل حادث معنا و لم أستطع تركها بمفردها إلى أن تتعافى كليا.

كان التعب مسيطرا على سعادة و وجنتاها ملطختين باللون الأحمر و كان ذلك بفعل الحادث الذي تعرضت له.

قبل لحظات من الآن

عادت سعادة لتلتحق بخليفة إلى شركة بيير بعدما ذهب وائل إلى عمله فارتأت أن تظل رفقة زوجها...فقدمت و غيرت من ثيابها التي ذهبت بها إلى المقبرة الإسلامية و ارتدت فستانا أبيضاً قصيرا و سترة من الجلد الأحمر بينما تركت شعرها منسابا على كتفها ثم التقت بخليفة داخل مكتبه و قال لها :

- هل دفنت صديقة عمرك أخيرا !

- أجل، لقد عدت من المقبرة لتوي و ارتأيت أن أظل هنا بجانبك، لم أرد العودة للمنزل و هو فارغ.

- كيف استطعت الحضور إلى جنازتها بعد ما فعلته بك، حاولت أن تزج بك في السجن بعد أن دمرت ابنها و لفقت التهمة إليك، و فارقت بينك و بين من تحبين بعد أن أبلغت عنه الشرطة و أفنت وجوده ! كيف نسيت كل هذا و عفوت عنها ؟!

- أنا لم أنسى كل ذلك بل تغاضيت و تناسيت لأنها ماتت الآن و ما الفائدة إن حملت لها الغل في قلبي، كل شيء سيمحوه الزمن، و ها أنا الآن بخير و لم يمسنني شرها، لذلك وضعت كل شيء جانبا و تركت الله يغفر لها...

- يا لحسن حظك يا سعادة، تسامحين الناس و تعفين عنهم، ليت الجميع مثلك، ليت الجميع يستطيع السماح لأفعالي و التغاضي عن خطاياي.

- إنك أنت المحظوظ الذي لديه زوجة مثلي و ابن جميل لين القلب،...

- لو يعفو الجميع عني كما فعلت الآن، لكنت أسعد شخص في هذه الدنيا، مستعد أن أفعل أي شيء ليغفر الجميع خطاياي، أي شيء لأعيش يوماً واحداً مرتاح البال.

تذكرت سعادة وحشيتته عندما اغتصبها و كل تلك السنين التي أمضتها ظلماً في السجن و ابنها الذي لم تعثر عليه لحد الآن فلم تستطع أن تنظر إلى وجهه أكثر من ذلك و تركت المكتب متجهة إلى أي مكان يبعد عنه ليوقفها صوت بيير و هو يصرخ على الهاتف دون أن ينتبه للباب الذي تركه أحد عملائه مفتوحاً قبل خروجه ليصادف حديثه على الهاتف مرور سعادة و فضولها عند سماع كلمة " ابنتي " .

سعادة : هل هذا يحدث ابنته فعلاً !

اقتربت عند الباب لتصغي إلى كامل حديثها فقال بيير :

- أرجوك يا ابنتي أن تعودتي إلي، أعلم أنك بريئة من تلك الجريمة، أنا والدك و أصدقك، تعلمين أنني نفذت خطتي ضد خليفة و أريدك أن تكوني بجانبني حين أراه يهوي أمامي، أرجوك أن تعودتي و لن أسمح لشخص أن يلمسك...

قطع الاتصال لوهلة ثم قال :

- سمعت كل شيء أليس كذلك !

اتسعت مقلتا عينيها و اشتد قلبها من الرعب و بقيت جامدة مكانها لينهض من مقعده بعد أن رآها في انعكاس المرآة امامه.

- أظن أنك سمعت خطتي نوعاً ما ضد زوجك !

اقترب منها بينما بقيت لابثة مكانها ثم قالت بعد أن تحكمت في خوفها و هي ترى لهيب الشر في عينيه الزرقاوين :

- خليفة ليس زوجي كما تظن، أريد أن أعلم الخطة التي تنوي تدميره بها و أعدك أنني سأساعدك في تحقيقها !

تفاجئ من قولها و استغرب بشدة ثم قال :

- كيف لي أن أثق بك و أنت تنوين تدمير زوجك بعد أيام من زواجك به !

- لدي حساب ثقيل مع خليفة و أنا منذ زواجي به و أنا أبحث عن طريقة لأدمره و أنهبي حياته كما فعله بي، أخبرني الآن ما هي خطتك !؟

رفع حاجبيه و قال لها :

- الجسر الذي بني قبل أيام، **سيتحطم** و زوجك سيدخل السجن أما أنا فسأفوز بتعويضات يدفعها هو بنفسه، أليس هذا مشروعاً مربحاً !

- فعلاً إنه مربح، لكن، إنه جسر، ألن يعبره أحد !

- لا، لن يعبره أحد في أيامه الأولى، خلال ذلك سيتحطم لأن مواد بنائه و قوامه غير صالحة للاستعمال و منتهية الصلاحية و زوجك من وقع على تسلمها، بعد وفاة مساعدي الذي كلفته بذلك قبل لقائي بخليفة الفريسة السهلة.

- و كيف أستطيع أن أساعدك لأرى زوجي الحبيب يقع في أسفل الأرض !

- مجرد وقفك هذه معي بمثابة مساعدة، لكن إن أردت مساعدة فعلية فعليك ببطاقته أريدها بين يدي اليوم قبل غد.

وضعت يدها بيده معلنة جوابها و موافقتها على تدمير خليفة.

مرت لحظات بعد تركها مكتبه و اتفاقها معه ثم غادرت و اتجهت نحو المصعد ليفتح بابه و تفاجئ بتواجد مراد هناك لدرجة أنها لم تنتبه لروزالينا المتلثمة و التي

اصطدمت بها و وضعت علبة مفتوحة داخل حقيبتها دون أن تشعر بها و دفعت جسدها إلى داخل المصعد لترتطم بمراد و يقع الاثنان لتلتفت إليها دون أن ترى وجهها بعد أن أسرع الخطفى...فتركها و هي تشتمها قائلة :

- ارتطمت بي كأنتي حشرة هنا ! يا لقة الأدب.

ساعدها مراد على النهوض فوقعت منها العلبة دون أن ينتبه لها أحدهما ليغلق باب المصعد عليهما و يشتاط مراد غضبا :

- يا لهذه الأفعال ! لقد دفعت جسديك عمدا ! و لقد أغلق الباب علينا الآن، إنه يصعد، أتمنى ألا نحصر هنا.

- و ما الذي أتى بك إلى شركة بيير !؟

- لقد جئت إليه لأحدثه عن ابنته القتالة، أريد أن أعرف مكانها و أتمنى أن أجدها و أمسك بها لأعلم سبب قتلها لعهد...

اشتد الغضب داخل قلبه و لم يزعزعه إلا توقف المصعد عند اقترابه من الطريق إلى الطابق العلوي و اهتز جسد الاثني فهلعت سعادة و خافت من شدة الموقف لينساب غاز من العلبة التي وضعتها روز دون أن ينتبه لها الاثنان من جديد بحكم صغر حجمها و لونها الرمادي الذي يشبه لون المصعد.

بدأت سعادة تستنشق الغاز الخانق فقالت و هي تسعل :

- أظن أن شيئاً ما تسرب هنا، إن الرائحة تزداد يا مراد، رائحة تعيق التنفس !

- لن تكون إلا رائحة عطرك الفواح و التي أكرهها بشكل رهيب !

- لا تتحدث عن عطري مجددا !

ابتسم في وجهها ثم تقيتها من الضحك ليتوقف ضحكها عند سعال سعادة الذي ازدادت حدته و شعر به مراد أيضاً، اختنق الاثنان داخل المصعد المعطل دون أن يلقي لهما أحد بالاً.

سعادة : نحن نختنق ، ما هذا الذي يحصل !؟

كانت تتحدث بصعوبة بالغة و لون وجهها يتحول من الأحمر الغامق إلى أزرق واضح، كان الغاز شديد الخطورة و يقتل من يتعرض له لخمس دقائق متواصلة، عندما اشتد عليهما الحال أخذ مراد من قوته و ضغط على يديه محاولاً فتح باب المصعد بكل جهده، الأمر الذي استصعب عليه أول الأمر، لكن صراخ سعادة و فقدانها الوعي زاد من تحديه للموت و ضاعف من قوته ثم عاد إليها لينع تسرب الغاز إلى رئتيها بحيث ساعدها على وضع عنق سترتها على مستوى أنفها دون أن ينجح ذلك لأنها كانت تشارف على فقدان الوعي، فاستحال الأمر و رأى أنه من الأفضل له الإسراع في فتح الباب و منع تسرب الغاز إليه لينقذها و ينقذ نفسه.

وضع عنق قميصه لينع نفسه من استنشاق جزء مهم من الغاز ثم شد هيمته و قاوم قسوة الموقف و نجح في فتح الباب فوجد أمامه جداراً تعلوه فتحة الباب... فحمل جسد سعادة على كتفيه و قذف به بسرعة خارج المصعد مستغيثاً بنجدة أحدهم دون أن يتلقى إجابة، فاستطاع إخراج جسدها لوحده ثم تطاول على الجدار و أجهض نفسه من خطر الموت الذي كان على شفا حفرة من اعتناقه.

كان الطابق العلوي خالياً من العملاء بحكم اجتماع عام عقده بيير من أجل تحديد مناصب عليا... الأمر الذي منع مراد من تلقي المساعدة التي لم يكن في الواقع قد احتاج إليها فعلاً، لأنه تحدى قدره و أنقذ نفسه و والدته أيضاً، كما سبق و أنقذته.

استلقى أرضاً يستنشق الهواء بصعوبة و عيناه على وشك الخروج من مكانهما بسبب الجهد الذي يقوم به و هو يسترجع أنفاسه بحيث شلت حركته و خرت قواه و لم يعد يستطيع الحراك بعدها إلى حين سمع أنين سعادة بجانبه فأثر أن يهب لنجدتها و يقاوم عيائه لإتقاذها و تفقد حالها.

استجمع قواه المتبقية و اقترب من جسدها و هو يحاول أن يكلمها لكي تستعيد وعيها :

- سعادة، انهضي، أرجوك استفيقي، لا تغبي عن الوعي ! سأخذك إلى المشفى الآن.

فتحت عينها و بدأ شفاهها تستعيد اللون الوردي تدريجياً ففهم أنها بخير و لا تحتاج إلى إنعاش للقلب، خاصة بعد أن حدثته بكلمات متقطعة اجتمعت شيئاً فشيئاً :

- مراد، هل أنت بخير !

- أنا بخير، لا تخافي لقد تجاوزنا الخطر، ثقي بي، لا تقلقي.

- أجل أنا أثق فيك، دوما ما كنت أثق في كلام الأطباء، لولاك لكنت ميتة الآن !

- فعلت واجبي فقط !

- تقول هذا الآن لترد إلي الجميل !

- إذا اعتبرته أنت جميلاً فماذا أقول أنا !؟

- لا، لم أنوي ذلك !

- لا تقلقي، أعلم قصدك، هيا انهضي سأخذك معي !

- إلى أين؟! -

- لا تتوقعي أن أتركك لوحديك بعد الذي حصل الآن! ستذهبين معي.

جليلة: كل هذا حصل معكما اليوم!؟

مراد: أجل، لكن نحن الآن بخير، حمدا لله.

غرام: لقد كنت في الوقت المناسب يا مراد!

مراد: أجل و سأكون دوما في وقتي المناسب من أجلك حبيبتي!

احمر وجه سعادة و جليلة نخجلا بينما لم يكثر مراد لما قاله و النابع من قلبه الصافي...لكن عندما سمعت روز كلامه العذب فهمت أنه يجب غرام خاصة بعدما عانقها بشدة أمام الجميع و تبادل كلمات الحب بينهما من جديد فتيقنت أن غرام أخذت مكانها فعلا.

روز: أخذت مني حب والدتي، و أخذت مني محبوبتي، ماذا تريدان أخذه أكثر من هذا، لقد أخذت حياتي، و أنا سأخذ روحك!

الفصل ١٠ :

" حادث الجسر المفجع "

" أرى الجميع يحارب من أجل انتقامه و هو يتعفن داخل خطاياها، أرى كيف أن سعادة تتلخبط بين انتقامها من خليفة و حفاظها على الوجه البريء الذي اختلقته له و بحثها عن ابنها الذي لا ينتهي، أرى كيف قتلت روزالينا عهد بسبب بسيط و هو تهديدها بجها مراد، أرى كيف انتقمت نورسين من خليفة و دمرت عائلته بفعل بسيط ذهبت صحيته حياة فتاتين، أرى كيف تحب غرام محبوبها مراد و كيف ابتعدا عن بعضهما مرضاة لخطيئتهما ثم اجتمعا من جديد نتيجة لخطيئة خليل، أرى حب الأم جليلة لابنتها رغم أنها ليست ابنتها في الوقت الذي تختبئ فيه ابنتها الحقيقية من

عدالة القوانين، أرى الحرب الذي ستندلع بين بيبير و خليفة على ابنتيهما و الخطيئة هي النار التي ستحرق الاثنين، أرى كيف يتألم الجميع بسبب ما أخطأ فيه و تسبب بأذى الآخرين،...أرى و أرى و لا يسعني إلا أن أسرد قصصهما لكم و أنا أحتسي كأساً من الشاي الذي صنعه بنفسي لنفسي و أنا أشاهد مسلسل الخاص مع منتصف الليل بمنزل والدي المزيف الذي ارتكب أبشع الخطايا، أجل، لقد استمتعت بقصصهم كما تأملت لجروحهم مثلكم أيضاً، و ماذا يسعني أن أفعل إلا المشاهدة و التمثيل أنتي ابن سعادة،... هذا ما اعتدته في حياتي، أن أعد أفضل قهوة و أنا أقدمها لطابور الزبائن متنصتاً لحياتهم و أفعالهم و هم يحدثون أعز أناسهم على الهواتف، لكني الآن صرت أرى أكثر مما سمعته خلسة، بل و صرت أعيش داخله، أرجو من خالقي ألا أصبح مخطئاً بشكل لاذع مثلهم."

وائل

...

سعادة : يمكنني أن أرحل إن لم تريدي تواجدي هنا !
اقتربت جليلة من سعادة و قالت : لماذا لن أريك هنا في منزلي، أنت مرحب بك في أي وقت !

استغربت من كلامها فلاحظت جليلة ذلك ثم قالت :

- انظري يا سعادة، أنا... أنا كنت شاهدة على ما قاسيته خلال ما مضى بسبب خليفة، و كنت أنا السبب أيضاً...

قاطعتها قائلة :

- لا أنت لم تتسببي بشيء، أنا من حررت خليفة و جعلته ينقلب ضدي و يدمر حياتي !

- لا، أنا أيضاً تماديت في حبي له و كنت أنانية لا يهمني سوى استقرار عائلتي، لقد ضحيت بحياة فرح و كم ندمت حين علمت حقيقة ما فعله بها خليفة، لقد أجبرتك على سحب شهادتك فقط لمصلحته، تواطئت مع مهجة "صديقتك" التي أخبرتني بعنوان منزلك و كنت بذلك سببا في انسياقك إلى الخطيئة، أنا آسفة يا سعادة. قالت كلمتها و أصدرت تهيدة عميقة شعرت بها سعادة التي قالت لتخفف عنها :

- انظري يا جليلة، كان بإمكانني ألا آخذ مالك و أن أصر و أقر بشهادتي لكني تماديت و أغشي على قلبي بنار الغضب، لا شيء كان يهمني سوى انتقامي من عدوي، لا شيء، و لو تعلق الأمر بحياتي، إذن فأنا أيضاً مذنب، فلذلك لا تتحملي مسؤولية أخطاء الآخرين أيضاً، لا ذنب لك في خطاياي، المرجو ألا تطلبي مني العفو، أنت لست مذنب في شيء.

- لقد دمرنا نحن الاثنين، أمضينا جل عمرنا نعالج ندوب جراحه التي تركها بداخلنا.

- و سنظل نعالج إلى أن يخلي سبيلنا ! الأمر الذي ليس بالبعيد أو المستحيل !

الباريسستا

• مقهى سان بيدرو

لم يمنع عدد مراتادي المقهى الهائل و ضجيج أحاديثهم المزعجة، تفكير خليفة من أن يسرح في مخيلته و يبدع في طرق طلبه العفو من كل ضحاياه، ليلجأ أخيرا إلى ابنه

المزعوم عندما قدم إليه يحمل القهوة المفضلة عنده، قهوة إيطالية حلوة ! أجل هكذا يفضلها خليفة الضابط على غير عادة الجميع، يفضل أن يخرق القوانين التي كان يكرس حياته من أجل تطبيقها و الحفاظ عليها.

وائل : ها هي قهوتك يا أبي الحبيب !

تقدم إليه مرتديا بدلة الباريسا السوداء و شعره الأسود المذهب مثبت على جلد جمجمته.

خليفة : إذن هذا هو عمك يا ابني.

وائل : أجل، كيف وجدته !؟

ابتسم خليفة و قال : أجده ممتعا، إنك تتفنن في إعداد تلك المشروبات رغم أنها حرام في ديننا، لكنك لا تكثرت، فقط تقدمها بوجه بشوش رغما عنك و عن ظروفك، مضطر لأن تبتسم في وجه العالم بأسره، دون أن تجعل الآخرين يشعرون بأية مسألة عنك لأن واجبك فقط أن تقدم لهم ما طلبوه منك كخدمة...

- ما بك يا والدي !

- أنا متعب،...

انهار خليفة و سالت دموعه بعدما أخفاها بكلماته الصارخة دون جدوى :

- أنا منك من خطاياي، لا أجد سبيلا للخلاص منها، الكل لا يريد منحي أية فرصة للتكفير عنها، أنا محاصر و أنتظر عقابي منهم و من خالقي.

شعر وائل بثقل الحزن على قلب خليفة و اقترب منه قائلا :

- الطريق إلى الخلاص يكون بالتكفير و لا يمكن القيام به إلا بالاعتراف بالخطيئة
أولا، أنت تنوي التكفير عنها، لذلك يجب عليك أن تعترف بها أنت أولا...

- أنا معترف بقذاراتي و أنايتي، لكنني لن أسلم منهم، أريد أن أرتاح من هذا
الذنب، لا أريد أن يعذبني خالقي أيضاً !

كان ينظر إلى ابنه بنظرات تتوسل إلى من يرحمها و يزيل عبء الألم عنها، الألم
الذي سببته لنفسها و ظلت تحترق به طيلة عمر صاحبها ؛

- أنا ابنك يا خليفة و اسمع، لن أترك تعاني أكثر من هذا، سنحارب أملك معا،
ستكفر عن خطيئتك بقربك من خالقك، التضرع إليه و طلب الرحمة ليلا و نهارا،
اسمع، يجب أن تهب نفسك لخالقها.

- لكنني دائما بقربه، ما الذي تحاول قوله !؟

نظر إليه وائل نظرة ثقة متأكدا أن والده قد فهم قصده و ما زاد يقينه هو يد والده
التي أمسكت بيده و عانقت جسده بجمرة هي الملاذ إلى بداية علاج الجراح.

وصلت سعادة إلى منزل بيير بعدما هاتفها قبل نصف ساعة_تواجدت خلالها في
منزل جلييلة و التي ودعت رفقتها مراد و غرام اللذان تركا البيت من أجل نزهة
خارجية في شوارع باريس المكتضة_مخبرا إياها عن بدء تنفيذ خطة حادثة الجسر.

بيير : أخيرا قدمت، لقد انتظرت طويلا !

دخلت منزله مرتدية فستانا أسود مخملي و تسريحة **coupe cheval** أعطتها قوة كانت
في حاجة إليها لتنتهي حياة أحد أعدائها.

سعادة : ما الذي سيحصل الآن !

بيير : لقد أعطيت الانطلاقة لتفعيل خدمة الجسر و الآن سترين كيف سينهار زوجك مع حطامه و كيف سأخذ ثروة هائلة و أزداد شهرة واسعة...انظري !

أشار إليها لتراقب عبر نافذة صالون منزله، النافذة الكبيرة الحجم التي تطل عبر مسافة قريبة على الجسر الرابط بين تلتين في آخر المدينة و هنا أكثرى بيير منزلا آخر يراقب مشروع أحلامه ينهار أمامه ليبنى به أحلاما جديدة.

ظهر الجسر لسعادة و انتظرت موعد انهياره إلا أنها لم تتوقع أن يمر عدد من السيارة و الدراجين و سائقي سيارات الإسعاف، دون علمهم أن الجسر الذي يعبرونه مصنوع من مواد هشة تنكسر عند عبور دراجة عليها، لينهار بهم الجسر و تقذف أجسادهم إلى الوادي أسفلهم رفقة سياراتهم، ممتلكاتهم و أرواحهم.

كان المنظر صادما أمام سعادة و هي ترى كيف يقع الناس واحدا تلو الآخر و كيف ترتطم أجسادهم بقوة المياه و يسقط العديد منهم صريعا، غرقا داخل سيارته، غرقا بين أحضان مياه الوادي العميق، أو مجرد ارتطام رأس أحدهم مع إطارات سيارة أحدهم الآخر،...كان المنظر مفاجعا لها لدرجة جعلتها تسقط مشلولة الأطراف و اللسان و هي تنطق بكلمات متقطعة :

- النا...س... إن الناس يمو...تون...توقف...أو...قف...ه...ذا !

بينما كان بيير ينظر بقلب جامد إلى المنظر الدامي و سعادة قرب قدميه دون أن يشعر بحرارة النار التي أحرقتها للتو.

استجمعت قواها و اعتدلت واقفة ثم أمسكت بعنقه في غفلة منه و هو ينعش نظره ثم صرخت فيه :

- قلت لك أن الناس يموتون الآن، ماذا فعلت ؟...هل كنت تقصد هذا، إنهم يسقطون واحدا تلو الآخر، إنهم يموتون أ تفهم، إنهم يسقطون عن الجسر !

اخرق للحظات شعر فيها أنه في خطر بين يديها ثم أبعدا عنه رغم قوتها التي ضاعفت منها قوة الغضب التي كانت تكبتها منذ مجيئها إلى هذا البلد...فاستطاع تحرير نفسه منها و هي تصرخ فيه ليمسك بها بقوة و يتمكن منها بيديه و يعيد فعلتها :

- اصمتي، تتحدثين أكثر من اللازم، أريد الاستمتاع بلحظتي و لا أريد أي إزعاج، انظري معي، انظري كيف سيغرق زوجك الحبيب الذي تمنيت طوال عمرك أن تدمريه، انظري كيف سيغرق مثل هؤلاء الناس دون أن يجد من ينقذه...هيا استمتعي معي ! و إن قلت كلمة واحدة سأقتلك و أقتل كل شخص يقربك ! سمعت، حسنا سأبعد يدي الآن و أتركك تسترجعين أنفاسك و إياك و الحركة !

سالت الدموع من عينيها الحمراء و خذها المائل إلى الأزرق ليرك عنقها و يسقطها أرضا بعنف لتعود إلى وعيها و تتقبل واقع الحادث المدبر الذي حصل أمامها. اقترب بيير من النافذة ليشاهد إنجازة عن كذب بينما حملت سعادة هاتفها و حدثت بيير و المسجل الصوتي يؤرخ حديثها :

- إذن كنت تنوي أن تغرق زوجي بكل هذه الجرائم و تأخذ أنت الأموال و الشهرة !

أجابه دون أن ينظر إليها و هي قابعة مكانها :
- أخيرا بدأت تفهمين و تعودين إلى صوابك !
- و ما ذنب كل هاته الأرواح البريئة بينكما !
- لا يهمني أحد، المهم أن الجسر انتهى و مهمتي انتهت معه أيضاً ! اتركي منزلي فوراً
!

همت سعادة بالخروج فوراً بعد أن أخذت دليلاً مهماً يدينه و يجعله يقر بأفعاله
ليوقفها لوهلة من الزمن المنظر مجدداً و قد عجز بالناس عند التلال ينظرون إلى تلك
المأساة، شرطة المياه، فرق الإنقاذ، الغواصون، المروحيات التي ستنتقل الجرحى
لإسعافهم بأسرع ما يمكن... كل ذلك المنظر دمر شيئاً بداخلها و هي التي بدأت لتوها
تلائم جراحها.

عاد كل من مراد و غرام من جولتهما التي اقترحا مراد بنفسه عليها ليغير من حالها و
ينسيها شيئاً ما موت عهد، فنجح شيئاً ما على قدر مستطاعه، إلا أنه ليس بالأمر
السهيل على كليهما.

عند بوابة المنزل ودع مراد محبوبته غرام و الهدوء يطبع ملامحها بعد أن طبع قبلة
خفيفة على خدها قبل أن يترك المنزل، القبلة التي أفاضت الكأس، كأس المرار الذي
ترتشفه روزالينا في منزل والدتها و هي الآن تشاهد حبيبها يضيع من بين يديها للمرة
الأخيرة، الشيء الذي لن تمره بسهولة... قوة الغضب تملكها هي الأخرى و أفاضت
مشاعرها لتترك مخبئها و تواجه غرام التي أغلقت الباب و التفت لتجدها أمامها
مباشرة.

انتابها صدمة قوية عندما رأت المجرمة التي قتلت صديقة عمرها و مزقت كيانها دون أن تترك بيدها حيلة...لتنقض عليها و هي تصرخ :

- قتلت صديقتي و تختبئين في منزلي، هل تنوين الإفلات من جريمته !

شدت شعرها بقوة و الجنون يتملكها بينما قاومت روز أيضاً قائلة و هي تصرخ :

- أنت من أخذت حياتي، لقد سرقت مني كل عمري و كل حياتي، ماذا تريد مني أيضاً، أنا انتهيت و أنت تعيشين الحب مع الشخص الذي أحبه، أخذت مني كل شيء...

- من أنت لآخذ حياتك، أنت من سرقتني مني فرحتي و سعادتي، لقد قتلت الأمل الذي كان لدي، قتلته...

زادت حدة صوتها و عراكها ليصل صداها إلى جليلة في الطابق العلوي و تنزل الدرجات مسرعة لتصعق من منظرهما و هما يتعاركان.

جليلة : روز، غرام ! ما الذي يحصل هنا !؟

* انهيار مهول للجسر الحديث ذهب إثره العديد من الضحايا

*

~

مشروع بيبير يتهاوى أمام أعينه و الموت يتعقب ضحاياه

~

*مجرىات التحقيق في ملابسات الحادث تفضي إلى اعتقال
خليفة شريك بدير بعد توقيعه على استعمال مواد غير صالحة
للبناء*

~

*القبض على خليفة الضابط السابق بتهمة التزوير، النصب،
الاحتيال و القتل العمد*

الفصل ١١ :

"كنت أعانق ابني إلى أن باغتتني الشرطة و اتهموني بأشياء خطيرة، علمت وقتها
أن القدر لن يرضى توبتي و أن معاناتي ستطول أكثر مما توقعته، هل أنا أستحق
كل هذا!"

•الشاهدة•

صرخت جليلة في ابنتها فابتعدتا عن بعضها لتقترب منها و تقول :

- ما الذي يحصل بينكما، كيف تتعاركان بشكل وحشي هكذا!

ابتعدت غرام عن روزالينا و قالت :

- إنها ابنتك يا والدتي، ابنتك القاتلة الهاربة من العدالة ! ها هي بين يديك الآن، ما الذي ستفعلينه !

بقيت جليلة تنظر إلى غرام باستغراب و هي تفكر في كلامها ثم قالت روزالينا بعد ان اقتربت من والدتها و انهارت دموعها :

- أجل أنا قاتلة، قتلت عهد، قتلت شخصا دون أن أعي ما فعلته، دون أن أعلم عواقب فعلتي، أجل أنا قاتلة و **أنتيك يا أمي هاربة من العدالة**، أجل، لقد اختبأت في منزلك و كأنتي أحتمي في حضنك، أجل لقد كنت دائما في حاجة إليك و إلى وجودك في حياتي، لم أحظى بأم طوال حياتي مثل صديقاتي، كنت دائما أتخيلك في حلمي دون أن أستطيع تمييز ملامحك، فقط كنت أرقد في حضنك و أنا سعيدة أتمنى ألا ينتهي حلمي القصير و المبهم، كنت دائما أستيقظ و أجد نفسي أعانق و سادتي بقوة و في كل مرة أقذف بها بعيداً لأنها ليست أنت، لأنها ليست أمي، لقد كرهت و سادتي بقدر ما أحببت أحلامي و أنا أعانقها، كنت دائما أتمنى أن ترافقيني إلى حصص علاجاتي و أن أذهب برفقتك إلى أي مكان أحببته، كنت أتمنى أن تكوني أول شخص أحكي له عن نجاحاتي، عن إخفاقاتي، عن مرضي، عن حبي الفاشل، لو لم تسرق تلك المرأة حياتي مني لو لم أكن أنا القاتلة اليوم.

دمعت عينا جليلة و احترق قلبها على ابنتها الضائعة بينما شعرت غرام أيضاً بنوع من الألم من سماع حقيقة و نتيجة خطايا والدها.

جليلة : انظري يا ابنتي، لم يأخذ شخص منكما حياة الآخر، كل واحدة منكما عاشت حياة الأخرى بحكم القدر، فقط، وحده القدر من أراد ذلك و هو يرى الخير فيه،

أنا أيضاً عانيت عندما علمت أن لي ابنة تعيش بدوني دون أن أعلم مكانها و كيف سأعثر عليها، كيف كنت سأجدك، هل كنت سأجوب الشوارع و أتفقدك بين كل من يمر أمامي إذا شعرت بعاطفة الأم تجاهه، كنت أستطيع فعل ذلك، لكن لم أرد أن أتحدى قدرتي و عقاب خطيئتي، كان يجب أن أعاقب ! و ها أنا الآن أجد ابنتي، لكن للأسف كان الوقت متأخرا !

روزالينا : يكفيني أن أشعر بقلبك ينبض عندما أعانق جسدك، يكفيني أن أحقق الحلم الذي عشت بداخله و احترق قلبي طوال حياتي من ألمه، أجل أنا مذنبه و أستحق العقاب، لكن احضنيني، أحبيني كما حضنت غرام قبلي، اجعليني أستنشق عبقك !

ساد صمت طويل بينهم و توقفت أفكارهم و ألسنتهم عن الحديث لتكسر جليلة قوانين العدالة و تعانق ابنتها التي سلبت منها لأكثر من عشرين سنة.

انتحبت الاثنتان و خمدت نار قلبيهما رغم قسوة الظروف و حقيقة القدر الذي ينتظرهما فتمردا عليه ليعيشا تلك اللحظة التي لا تنسى...بينما كانت غرام تنظر في حيرة إليهما بوجه مبتسم متناسية للحظات حقيقة الشخص الذي تبكي عليه الآن لتنظر إليها جليلة بعين دامعة و تشير إليها بيدها لتلتحق بهما و يكتمل المنظر الذي كتبه القدر.

جليلة : لا أريد أن تتعاركا فيما بينكما، أتما ابنتي معا، لا شيء يفرق بينكما، أريد أن تحبا بعضكما إلى الأبد و ألا تلوم واحدة منكما قدرها، عيشا حياتكما كما تريدان و أبقوا على علاقتكما، رغم قسوة الظروف و حقيقتها، لا تيأسا، هناك دائماً مخرج !

ترك بيير غرفة التحقيق بعدما أنهى استجوابه باتهام خليفة و قال أنه احتال عليه و أخذ ماله مشترى مواد هشة رخيصة الثمن أدت إلى انهيار مقدمة الجسر التي تم بناؤها مؤخرًا، ليغادر غرفة التحقيق بريئًا و يلتحق بوائل الذي كان ينتظر مجريات التحقيق قبل أن يتصل بسعادة.. والتي قدمت إلى المخفر و مرت عبر العشرات من عائلات الضحايا الذين يصرخون ألما و غضبا منتظرين تحقيق العدالة و سجن المتهم خليفة.

دخلت سعادة بثقة و اتجهت إلى مكتب المحقق المكلف بالقضية دون أن تنطق بكلمة واحدة و هي تعبر أمام وائل و بيير الذي لم يستطع الإمساك بها عند رؤيتها تقرب من المحقق الذي قال عند رؤيتها :

- إنها أنت مجددا، لقد اعتدت رؤيتك في المخفر، ما الذي تحملينه في جعبتك مجددا أيتها الشاهدة !

- أتيت لأقدم واجبي "مجددا".

سمع بيير كلامهما و انتابته حيرة و هلع من تحقق ما يفكر فيه لتدخل سعادة إلى مكتب المحقق و تنظر إلى بيير نظرة حادة تشير إلى الانتقام.

ظل يتلخبط بخطواته و طالت مدة مكوث سعادة داخل المكتب لأكثر من نصف ساعة لتترك المكتب بعدها برفقة المحقق و اثنان من رجال الشرطة الذين سارعوا خطواتهم و ألقوا عليه القبض... في ظل صراخه و مقاومته لهم متسائلا عن السبب الذي كان يعرفه تمام المعرفة.

المحقق : بيير، أنت متهم في قضية حادثة الجسر المميته، هناك دليل يدينك و هو اعترافك المسجل على هاتف سعادة يوم خطفتها و هددتها بأن تسرب لك معلومات خليفة و تتعقب حركاته !

فهم بيير أنه وقع في فخها و أنها سحقتة قبل أن ينفذ تهديده لها و أنه لا محرب له الآن من نتيجة خطيئته.

بيير : سأترك هذا المكان و أقتلك يا سعادة، لن تنتظري طويلا، سأعود و أقتلك !
ذهب به رجال الشرطة بعيداً أمام أنظار سعادة التي التحق بها وائل و أمام أنظار كل العائلات التي ظلت تشتمه و تقذفه ليخدموا النيران التي أحرقت هدوء حياتهم، و مر أمام أنظار نورسين و داليا اللتان استدعيتا للتحقيق أيضاً.

~

مر منتصف اليوم و سعادة تنتظر رفقة وائل خروج خليفة بعدما برأته مجددا للمرة الثالثة أمام دهشة وائل مما فعلته به ؛

- أحاول دوما فهمك يا سعادة، لكنني غالبا ما أفشل !

- صعب أن تفهم ما يدور بعقل شخص و أنت في بعض الأحيان لا تفهم نفسك أولاً.

- أنا دائما ما أفهم نفسي و أصارحها بأفعالي، أنا متصالح مع ذاتي و أظن أنك لست بالمثل !

- أنا أفهم نفسي أكثر منك !

- إذن هل لي بشرح للذي يحصل الآن ! كيف حررت خليفة مجددا بينما كان بإمكانك أن تتركه في غيابات الظلم و العذاب و تحققي انتقامك بذلك، كنت وشيكة جدا !

- أجل، كنت وشيكة، ليس من انتقامي، بل من حافة الهاوية و أنا الآن أمامك، أنقذت نفسي !

~

بعد لحظات غادر خليفة غرفة التحقيق حر اليدين ليلتقي بسعادة التي اقتربت منه رفقة وائل و يسرع إليها ليعانقها بعد معرفته بما فعلته لتخلي سبيله... لكنها واجهت عناقه بالبرود، الشيء الذي أثار استغرابه.

خليفة : أخبرني المحقق أنك من قام بتحريرني ! كيف فعلت ذلك، كيف استطعت أن توقعي بيير في شباكك !

سعادة : كما استطعت فعل نفس الشيء بك !

استغرب لكلامها فقال :

- ما الذي ترمين إليه، ماذا تقولين !؟

- هل صدقت فعلا أنني عفوت عنك و نسيت ما فعلته بي !

- لم أفهم جيداً ما تنوين قوله !؟

- **وائل ليس ابنك !**

ضحك خليفة للحظة ثم تغيرت ملامحه و أكفهر وجهه عندما علم أنه وقع في الفخ ؛

سعادة : كنت أظن أنني سأستطيع الانتقام منك و إيجاد ابني الذي ظننت أنك أخذته من حضني، لذلك قدمت إلى هنا و أقسمت على إيجاده، لكنني فشلت، لم أعر على أثر له، لا في حياتك و لا حولك، لم أعر على ابني الذي سلب مني بسببك، لولا قدومك يومها لما فقدت ابني، لذلك اختلقت قصة أواجهك بها و أبحث عنه، أ لم تفهم شيئاً عن علاقتي ب بيير و لماذا وقع بين يدي،...
لم يستطع الرد عليها في ظل الصدمة التي ألقها عليه لتكمل حديثها :

- كانت بين يدي فرصة قوية لإنهاءك و تدمير حياتك و أن أفني وجودك عن الأرض، كان قدرك بين يدي لكنني لم أستطع، لقد حررتك من ذلك القدر الذي كنت أنتظره طوال حياتي، لم أرد أن يحطمك بيير و أن يذهب العديد من الأبرياء دون أن يأخذ عقابه، أنت لم تفعل شيئاً و لم أرد أن يكون عقابك على يده، لم أرد انتصاره الظالم، لذلك حررتك !...

كان يسمع كلامها بقلب نابض و محترق ليقول لها :

- حررتني من السجن و الظلم و تركتني وحدي في العالم الذي لم أكن أريده و خفت كثيراً من مواجهته، الذي قمت به الآن يا سعادة أتمنى أن يشعرك بالراحة و أن يهدئ نار قلبك و أن يجعلك تغفرين ذنوبي و ينسيك مرارة ما جعلتك تعيشينه...اغفري لي يا سعادة !

نظرت إليه بكره و بحدة و من تم تركته و ذهبت برفقة وائل الذي شعر بحزن خليفة بعد معرفته بانتقام سعادة منه و كيف تركته وحيداً يتلخبط في التكفير عن خطاياهم ليخاطبه مع قرارة نفسه :

- أنا آسف لأنني اضطرت لخداعك، لكن أعلم جيداً أنك ستجد الطريق إلى الخلاص لو كنت تصغي جيداً.

تركت سعادة و وائل المخفر على أمل ألا تعود إليه مجدداً بأية صفة بينما ترقت نورسين و برفقتها داليا و خليل خروج خليفة من المخفر للانقضاء عليه.

● السجن الأبدي

طلبت جليلة رؤية بيير بعد فترة من اعتقاله فقبل طلبها و التقت به لخمس دقائق داخل غرفة الزيارة... لتدخل إليه و الغضب يأكل دماغها و ناره تهشم قلبها بينهما كان هو في عالم بعيد عنها و هو يهلوس باسم سعادة.

- إذن كانت علاقتي بك مجرد مسلك لك لتحقق خطتك !

- أريد رؤية سعادة !

- تقربت مني فقط لتوقع بخليفة... استغللتني لحقق هدفك.

- أين هي سعادة تلك، لقد لعبت بي، إنها من شهدت ضدي و زجت بي هنا، أريد

قتلها أتسمعين، أريد أن أراها تتألم، أريد أن أمسك عنقها من جديد و لا أتركه إلا بعد أن أتأكد من جديد من موتها، لن أعيد نفس الخطأ، لن أكرره...

كان يتحدث كالمجنون في الوقت الذي كانت فيه جليلة ترتجف من شدة غضبها عليه و استغلاله لها لينفذ جريمته القاسية و التي تألمت لآثارها جداً.

جلیلة : لقد استغللت الشخص الخطأ، انتهت حیاتك عندما فكرت أن تلعب بنا،
لقد أخطأت في حق الشخص الخطأ و سننال عقابك عما قريب.
تركته جلیلة و هو یردد اسم سعادة مرات عديدة قبل أن یغلق باب الزيارة على
اسمها....سعادة !

الفصل ١٢ :

A lovely Day in Paris

يوم رائع في المغرب

آخر الأموات

احتقن جو باريس اليوم بكثرة الزوار و المتجولين في كل أرجاء المدينة حيث
اختارت جلیلة أن تمضي اليوم برفقة ابنتها و أطلقن العنان لأنفسهن مرتدين أجمل
الفساتين و أبهجها ؛ بحيث ارتدت جلیلة فستانا طويلا مزركش بورود متعددة
الألوان و صفت شعرها بشكل موج و مكياج ملفت بينما تركت غرام شعرها
منسدل على كتفها مرتدية فستانا نصفه الأعلى وردي و الأسفل مزین بمكعبات
سوداء و وسطها عقد فضي لامع، أما روزالينا فارتدت فستانا مزركشا باللون
الأخضر و سرحت شعرها بصفيرة على شكل سنبله زيتنها بأقراط من اللؤلؤ...

اخترن أن يمضين يومهن في التبضع و التنزه داخل مولات المدينة و شوارعها و الأمر الغريب الذي اختارته جليلة هو إطلاق موسيقى بشكل صاحب قرب برج إيثل و الرقص على إيقاعات جميع أغاني *Indila, lady jojo, Edith Piaf*...

الأمر الذي وجده المارة غريباً للوهلة الأولى لكن بعد حين انظموا إليهم و رقص الجميع بشكل جنوني و أجسادهم تتطاير إلى السماء بكثرة الفرح و البهجة... كل شخص منهم يعانق جسد الآخر و هو يرقص دون أن يعرف هويته، فقط فرح في سعادة،...مرت ساعات و زوار إيثل يرقصون رفقة الأم و ابنتها بشغف لنتهي الحفلة بذهاب الثلاثي المرح عائدين إلى المولات لأخذ الملابس التي سبق و اقتنوها و تركوها هناك لكي لا تعيق حفلتهم الخاصة، لذلك عادوا من أجلها و تفاجأ من كثرة الحقائب الممتلئة عن آخرها بالذي اشتروه من حلي و مواد تجميل و ملابس باهظة الثمن و دمي كبيرة الحجم من أجل الفتاتين في العشرينيات من عمرهن حيث قالت غرام :

- لا تضحكي علي يا أمي لكن أريد شراء تلك الدمية الكبيرة !

ضحكت جليلة بصوت عال و قالت بينما كانت روز تموت من قهقهتها :

- لقد قلت لك مرارا أنك ستظلين صغيرة في عيني، لكن اليوم أنت صغيرة أيضاً في عين هذه الدمية.

ضحكت غرام فأخذت الدمية العملاقة ذات الشعر البني المموج بينما أخذت روزالينا نفس الدمية بعدما قالت :

- أنا أيضاً أريد أختاً لهذه الدمية، لا أريد أن أبعدها عن أختها و عن الأخريات، لنأخذ هذه أيضاً !

ضحكت جليلة بينما ابتسمت غرام فرحاً لما قالت روز ثم قالت الأم :

- يا إلهي، ما زالت لدي طفلتان حنونتان، كيف ستواجهان العالم أخبراني رحمة لنفسي، هل بهاته الدمى !

ضحك الجميع بخفة و انتقلن إلى مطعم فاخر داخل المول و أخذت كل منهن قطعة من الدجاج المشوي و عصائر من مختلف الاذواق...

قد تجدون هذا غريباً وسط المشاكل الكبرى التي واجهتها كل منهن لكن رغم ذلك أرادوا أن يستعيدوا من القدر تلك اللحظات السعيدة التي سرقها منهم طوال عمرهم، و لو كلفهم ذلك بقية حياتهم...لم تفكر روزالينا و هي على الهواء أمام العديد من الناس الذين من الممكن أن يتعرفوا عليها بتركيزهم على الملامح التي ظهرت على صورتها من عروض أزيائها السابقة، و كان من حسن حظها الضمادة التي وضعت على وجهها لتغطي جرحها و حروقها، لم تأبه للقانون الذي يلحق بها جراء جريمتها الشنعاء، لم تأبه غرام للخطايا التي ارتكبتها في حق ضحاياها و في حق نفسها، لم تلقي جليلة بالا لحزن ابنتها بل آثرت أن تمحيه قطعة من قلوبهم، الأمر الذي ليس بتلك السهولة خاصة أنها في مواجهة القدر.

 مطعم العشاء الدافئ

كانت أصدقاء أغاني فرنسية شهيرة تجوب المطعم الهادئ و عبق المكان مختلط بين روائح الطعام المختلفة من دجاج مشوي و لحم مدخن...، و بين العطور الممتازة للزبائن و منهم مراد و وائل منتظرين قدوم سعادة التي دعت الاثنين إلى وجبة الغداء في أفخر مطاعم باريس.

مراد : ذلك اليوم كنت مختطفي و ها نحن الآن على مائدة واحدة، غريبة هذه الحياة.

وائل : و من يدري إن كان هناك سر لهذا اللقاء !

مراد : لا أحد يدري ! سنستمتع بوقتنا فقط و ننظر إلى القدر أمامنا و نتلذذ في طبياته.

وائل : تلذذ جيداً يا صديقي.

ابتسم له و هو الذي يجلس مقابلاً له على مائدة مستديرة الشكل من ثلاث مقاعد متقابلة وسط المطعم، لتدخل سعادة بعد عشر دقائق تأخرتها عن موعد لقاءهم، و دعت الاثنين شكراً من أجل كل ما فعلوه من أجلها، وائل من أجل تمثيله دور ابن لها لتواجه برفقته أكبر أعدائها، الشيء الذي لن يستطيع أي شخص فعله، و مراد لتطلب العفو منه و ترد جزءاً قليلاً من إنقاذه لها.

دخلت مرتدية بدلة رمادية بها أزرار كبيرة ذهبية اللون و شعرها البني الطويل مموج بشكل لافت... اقتربت من الاثنين و قدما لها التحية.

مراد : المعتاد أن المعزوم من يصل متأخراً و ليس العكس !

جلست سعادة في مقعدها و قالت بابتسامة خفيفة مأكرة :

- هل غيرتم عبارة "مرحبا بك" " أهلا بقدومك"... فعلا يتقدم العالم بسرعة !
وائل : ليس العالم من يتقدم بسرعة، بل هذا الشاب الوسيم المائل أمامنا يبطئ في
تعلم دروسه !

ضحكا معا و قال مراد معقبا على وائل :

- و ما فائدة البطء أو السرعة الأهم هو أنني أتعلم دروسي...الأهم أيضاً أنك
مصرة أن تضعي **عطرك المزجج**، أستطيع شمّه من أعلى هاته البناية !

وائل : ثقيل الفهم و ثقيل على القلب، إلا على قلبي يا أخي البني !
ضحك الاثنان و قالت سعادة :

- شباب هناك غداء ينتظرنا، ليس وقت قصف القنابل الآن !

استمتع الثلاثة بغدائهم و ضحكا على صوت الأكل الذي يصدره بعض الزبائن، و
التنمر الذي مارساه عليهم لم يمارسه شخص من قبلهم.

وائل : انظر إلى ذلك البدين، إنه لا يأكل، إنه يشفط الأكل، إن الدجاجة تطلب
الرحمة عندما يقطع أطرافها...

تفهقر مراد من الضحك و قال :

- إنني أتخيل كيف تقول الدجاجة، الرحمة، ارحمني أرجوك، الرحمة...

ماتت سعادة من الضحك و قالت :

- أتم رأيتم فقط الدجاجة المقتولة، أ لم تروا الشاب الذي بجانبه، انظرا إلى
وجهه، لقد أصبح أخضر اللون من شدة القيء الذي تجمع داخله، المسكين،

لا أدري كيف استطاع تملك نفسه، لو رأيت ذلك المنظر لتقيأت على وجهكما...

وائل : تريدان تقسيم قياك علينا أيضاً، لم أدرك أنك بتلك السخاوة !

سعادة : إن تعلق الأمر بالقيء فأنا سخية جداً.

مراد : اوووه كفاكما حديثاً عنه أرجوكم !

ضحك وائل و قال : انظري إلى الطبيب الجراح ! الوسيم البني، إنه يتمخض من القيء.

مراد : بل أتمخض إن رأيتك على وجهك !

سعادة : و ماذا إن كان على وجهك أنت !

وائل : سيموت.

انفجروا من الضحك و تملكتمهم هستيريا أوقفت عنانها ألحان أغنية **non je ne regrette Rien** و التي كانت سعادة تعشق سماعها دوماً في طريقها إلى الكلية قبل أكثر من عشرين سنة.

سعادة : اوووه، أموت لأسمع هذه الأغنية مجدداً، أريد أن أرقص عليها ! من يريد منكم الرقص !

مراد : إنها أغنية نسائية !

وائل : أجل، لكن قبل أن ترقصي لوحديك، انظري إلى تلك الفتاة الهزيلة و البارزة عظامها إن كانت تريد الرقص معك، إنها تظهر من عشاق الغناء الفرنسي،

ستظهرين كأنك ترقصين مع جثة مراد !

مراد : ترقص مع جثتك أنت إن شاء الخالق قريبا.

وائل : و كم أعشق دعاباتك أيها النبي...سأرقص معك يا سعادة كي لا تحققي حلمه
و ترقصي مع جثتي !

أمسكت سعادة يد وائل و تناغما مع إيقاع الموسيقى المتزايد لينظم إليهم مراد من
شدة حماسه من رؤيتهم فقال وائل :

- فعلا إنك بطيء في التعلم.

لتكون تلك أول رقصة بين الأم و ابنها المفقود.

الموطن الأصلي

مسجد الرحمة .

تقدم بخطوة بقدمه اليمنى ليعبر باب المسجد مرتديا بنطالا أسودا ثوبه خفيف و
قميصا أبيض طويل بثوب مخملي، كانت تلك ملابسه و صنف الملابس الذي حبه
خلال فترة اعتكافه داخل المسجد، النمط الروحي للملابس و الملابس لهدوء
المسجد و صفائه.

كان يتعبد ليلا و نهارا منتظرا أن يشعر بشيء يلامس روحه علامة على تكفيره و
قبول توبته،...تصور أن الأمر لن يكون سهلا أول الأمر، لكنه و مع أول سجدة
شعر بذلك الهدوء و الطمأنينة الذي سرى داخل قلبه و لامسه طيلة مدة اعتكافه،
فاطمأن لتواجده بالمكان الصحيح، المكان الذي جعله ينسى كل زلاته، المكان الذي

طهر روحه و جعله يصالح نفسه و يفارق ماضيه البائس...هنا في بيت الله تمحي
جل الخطايا كأنها لم تكن أو تقع، هناك سر عظيم يكمن بداخله، كيف تدخل مثل
الهموم و الأوزار و بمجرد أن تطأ قدمك أرضية المسجد تنجلي كل تلك الأعباء
عنك، كيف؟! إنه السر العظيم الذي يحرم منه جل البشر الآن، إلا أن خليفة تمكن
منه و أمسك به شدة الأعمى في ظلمته...إلا أنه مجبر الآن على المكوث داخله، لأنه
كان محروسا و مترقبا من طرف نورسين و خليل و داليا الذين لحقوا به من مركز
الشرطة في باريس وصولا إلى موطنهم الأصلي المغرب.

نورسين : إنه يتعبد الآن، منذ مدة و نحن ننتظر هذا اليوم، إن الخطة انتهت اليوم
و ستنفذ اليوم،...لن أتركه يكفر عن خطيئته، لن أتركه ينال العفو من خالقه،
أتسمعون، لا أريد ترك مجال له ليكفر عما فعله بابنتي، أريد حرقه مثلما فعل بها!
اندهشت داليا عندما سمعت كلام والدتها فقالت :

- هل جنت أم ماذا؟! كيف ستحرقينه، هل تريد حرقه داخل المسجد!
- أجل، كل ما يتطلبه الأمر هناك داخل السيارة، سنفجر هذا المسجد فوق
رأسه، ما دام لوحده هنا!

صعقت داليا من شدة هول خطة نورسين و خليل فقالت :

- لكنها ليست الخطة التي اتفقنا عليها جميعاً، أ لم نتفق على تسليمه للشرطة و إثبات
جريمته مجددا!

- لو كان القانون سيأخذ حق ابنتي منه لفعل ذلك منذ عشرين سنة مضت، لم
يفعلوا شيئا و أطلقوا سراحه، لقد برأوه من التهمة التي كان وحده من شارك فيها، و

الآن تريدان أن أتوسل إليهم من جديد، لا يمكن، سأخذ حق ابنتي بيدي، قتلها و سأقولها مجدداً، سأقتله كما قتلها...

- أنا لا أستطيع تركك ترتكبين هذه الجريمة، ماذا تريدان أكثر، لقد انتقمنا منهم جميعاً، لا نريد سفك دماء أخرى أرجوك.

- أنا أريد سفك الدماء

- و أنا لا أريد، قلت لك أننا سنسلمه إلى الشرطة و هذا ما فعلته سابقاً، لقد أعلمتهم و هم في طريقهم إليه.

خليل : ماذا فعلت ؟ هل اتصلت بالشرطة دون إخبارنا، كيف ارتكبت هذه الحماقة، سيلقون القبض علينا جميعاً !

اشتد الغيظ في قلب نورسين و قالت :

- لقد تحدثت كثيراً و ازعجتني بكلامك، خليل تكلف بها بسرعة و الحق بي لنمسك به !

تراجعت داليا خطوات بينما أمسك بها خليل و صفع وجهها ثم وجه ضربة قوية إلى مستوى أذنها أفقدتها الوعي ليلتحق بنورسين التي كانت ترتدي فستاناً وردياً لامعاً قصير الطول، الأمر الذي لم يمنعها من دخول المسجد و تدنيسه و تواجه خليفة القابع لوحده وسطه ليتفاجئ من تواجدهما هناك و مظهرها المشين و عدم احترامها حرمة المكان، ليعلم أن الأمر لن يستطيع التأجيل و أنه سيواجه القدر الذي خشيه الآن للمرة الأخيرة.

خليفة : ماذا تفعلان هنا، هل لحقنا بي، ماذا تريدان !

لم يسمح له خليل بإطالة الحديث و انقض عليه ليتعارك الاثنان داخل المسجد و
يسمع الإمام طه جدالهما و يخرج مسرعاً لتفقد الأمر ليجد خليفة بين قبضة خليل و
نورسين فاذا للوعي.

- ماذا تفعلان داخل المسجد، ما هذه الفوضى، أطلقوا سراح الرجل، سأنادي
الشرطة الآن !

نورسين : إن تقدمت خطوة واحدة، سأفجر المكان و أهدمه على رأسك !
جمد الإمام طه مكانه لوهلة ثم أسرع إليهما و سارعا إلى السيارة ليقحم خليفة داخلها
عند وصول الإمام إليهما و يحاول إخراجه عنوة لكن خليل منعه و وجه إليه ضربة
قوية تركته طريح الأرض، و كان ذلك كله في ثوان جعلت الأمر يبدو سريعا و
يصل المنقذون في وقت متأخر.

داليا على الطرف الآخر من المسجد تسترجع وعيها :

- لا تفعلها يا أمي أرجوك، لا تفعلها !

باريس، مشفى المدينة

قرب غرفة العمليات تواجدت غرف تحضير المرضى قبل العملية و مريضتنا اليوم
هي غرام التي قبلت أخيرا أن تزرع الرحم الذي تبرعت به امرأة مجهولة الهوية.
كانت برفقة الممرضات اللواتي ساعدنها لتغير ملابسها و ترتدي بدلة خاصة بالعملية
الجراحية، بدلة باللون الأزرق، لتدخل جليلة بغثة عليهن و تطلب الإذن لرؤية
ابنتها.

واقفت الممرضات و تركهن لدقائق معدودة.

غرام : اقتربي يا أمي، أنا متوترة جدا ! هل سينجح الأمر فعلا.

جليلة : أكيد يا ابنتي، لقد سألت الطبيب مرارا و قال أن العملية ليست بتلك الخطورة لا عليك و لا على المتبرع، فقط يجب أن تتبعي علاجك بعد زرع العضو.

غرام : أنا خائفة بشكل لا يوصف، و هل تدرين من هذه المتبرعة و لماذا تبرعت لي، هل أعرفها، هل تعلم بماضيي، هل تعرفني، ما علاقتها بي، كيف استطاعت أن تضحي برحمها من أجلي.

جليلة : إنها تصر على إخفاء هويتها يا ابنتي، المهم أن أنسجتكما متطابقة، هي من أرادت ذلك و وقعت على كل ما تتطلبه العملية من شروط !

ابتسمت غرام ثم قالت :

- هل سأصبح أما جيدة.

دمعت عينا جليلة و قالت :

- ستصبحين أما رائعة.

ضحكت و قالت :

- أريد أن أصبح مثلك، أريد أن أصبح أما رائعة مثلك.

قالت جليلة بتهكم :

- أن تصبحي مثلي شيء صعب قليلا !

- إذن كيف السبيل إلى ذلك !

- يجب أن تكون لديك ابنة مثلك لتصبحي أما رائعة من أجلها !
دمعت عينها و قالت :

- إذن يبدو الأمر صعبا كما قلت ! لن أستطيع تحمل حماقات ابنة مثلي.

- إذن ستستطيعين تحمل جنون ابن مثل مراد، هذا يبدو هينا.

- اوووه، لا أريد أن يصبح متكبرا مثل والده...الحقيقة أريد قليلا !

- يا لك من خبيثة ! اسمعي يا ابنتي، أريدك أن تعيشي بسعادة مع من أحببت و ألا تتركي المجال للهموم و البؤس لدخول حياتك، سيكون لك زوج رائع يحبك و يحترمك، لقد عانيتم بما يكفي، حان الوقت للتكفير عن ذلك الحزن، الفرصة أمامك الآن لتجاوزه...

قاطعتها المريضة معلنة وصول الوقت المحدد للعملية فقالت مودعة ابنتها :

- سيكون كل شيء على ما يرام، أحبك جدا يا ابنتي، سيمر ذلك سريعا و نلتقي في المصلحة.

ذهبت جليلة بعدما ودعتها غرام قائلة قبل أن تغلق المريضة الباب عليها :

- أمي، أنا أحبك جدا !

التفت إليها جليلة و سمعت كلمتها التي لامست قلبها بشكل لطيف لتلتحق بروزالينا التي كانت تنتظر عند بوابة المركب الجراحي.

روزالينا : كيف تجري الأمور بالداخل، كيف حال غرام !

جليلة : إنها خائفة !

روزالينا : أمر طبيعي ، فذلك ليس سهلا ، أخبريني أين كنت قبل قليل !
جلىلة : متى ؟

روزالينا : قبل نصف ساعة من الآن ؟!

جلىلة : ااه ، ذهبت فقط إلى المنزل لأجلب بعض الملابس لغرام لتغير ، تعلمين أنها
ستمكث هنا طويلا !

روزالينا : ااه حسنا ، أتمنى أن يمر كل شيء بخير .

جلىلة : سير يا ابنتي ، لا تقلقي ، ستشفى غرام في أسرع وقت و تعود إلينا ذات
يوم تحمل طفلها بين يديها .

تخيلت روزالينا الأمر و كيف أنه سيحدث فتغير مزاجها و شعرت جلىلة بذلك
فقالت :

- لقد سبق و وعدتني أنك ستحافظين على هذه العلاقة مهما حصل ! أليس
كذلك ، أنا والدتك و أحبك جدا ، أنت ابنتي الحبيبة و سنعيش معا كل لحظة
حرمانا منها !

- أجل ، سنعيشها .

عانقت الأم ابنتها و همست في أذنها :

- أنت مضطرة للذهاب إلى المنزل الآن لان الأعين كثيرة هنا ، و أنا أريد أن أقضي
مزيدا من الوقت معك يا حبيبتي !

- فعلا أنا مضطرة ، أردت أن أنتظر معك هنا ، لكن الأمر صعب ، لو بقيت أكثر
فسأحرم منك طوال عمري ،... سأذهب الآن !

ودعتها متخفية في معطفها الأسود و الضمادة تساعدنا أيضاً لتذهب بسرعة و تترك
جليلة في مواجهة المركب الجراحي.

• قبل نصف ساعة من الآن •

• داخل السجن المحلي

أمسك الحارس القفة من أيدي مرسلتها و توجه بها إلى مجموعة الزنانات العديدة و
فتح باب الزنانة رقم 24 و وقف ثابتاً منادياً على السجين الحديث بيير.

أمسك بيير القفة و تساءل عن مرسلها فأجابه الحارس :

- إنها ابنتك روزالينا !

تفاجئ بيير و قال مجددا :

- إذن ليست سعادة من أرسلتها، ألم تأت سعادة، أريد رؤية سعادة حالا، أريدها
أن تأتي.

- أنا لست مرسولا لك، أمسك قفتك و اغرب...هيا !

صرخ الحارس في وجهه و أغلق البوابة.

بيير : ظننت أنها سعادة، كنت أريد الإمساك بها و قتلها، أردت أن اخنقها بيدي...

ظل يحدث نفسه ليثير استغراب السجناء معه و يقول أحدهما :

- هيا، أنت، أيها المجنون، ماذا يوجد في تلك القفة، أ لن تشاركنا قليلا منها.

- لا إنها من ابنتي، لقد أرسلت لي لآكلها وحدي، اغرب عني.

- يا له من جائع، يقولون أنك كنت مهندساً، لماذا كل هذا الجشع، شاركنا وليمة ابنتك...

ضحك الجميع على قوله و تركاه في سبيله ليلتحق بسريره و يفتح القفة و يجد داخلها علبة أكل عريضة الحجم كتب على أعلاها :

- تأكلها بالهناء يا أبي الحبيب.

ابتسم و فتح العلبة ليجد بداخلها كيك شوكولا ساخن يبدو أنه أعد قبل لحظات ليقضم شريحة منه و يزيد شريحة أخرى من شدة لذته و هو يثير شهوة السجناء الذين لا يستطيعون الاقتراب منه بحكم تواجد الحارس قرب الزنزانة... تناول بيير نصف الكيك لتظهر له ورقة أخرى أسفل العلبة و يقرأ محتواها :

" كيف وجدته، لذيذ أليس كذلك، حسناً، أتمنى أن تكون تستطيع القراءة الآن و أن تكون وصلت إلى رسالتي،...كنت تستحق هذه النهاية و ما سيحصل لك الآن هو جزاء فعلتك و ذنب الأرواح التي ماتت بسببك،...كنت مخطئاً لتعقبك لي و استغلالي...أخطأت يا بيير.

جليلة "

أمسك بطنه و تيقن أنه لتوه تلذذ بسم البلادونة الذي وضعته جليلة و هي تصنع الكعك بحب قبل أن تلتحق بالمشفى...تلوى ألماً و سقطت العلبة من يده ليسرع إليه السجناء و يجدون سائلاً أيضاً يسيل من فمه و الدم يخرج من أنفه، ظل يعتصر و يتلوى إلى أن فارق الحياة.

أسرع السجناء إلى الحارس و صرخوا فيه لإنقاذ بيير بينما ظل السجين الذي تهكم عليه جامدا مكانه و يقول :

- جيد لي أن أغلق فوهة فمي في قادم الأيام.

إلى جنة في أعالي السماء...

مرت أربع ساعات انتهت فيها عملية غرام و استرجعت و عيها رويدا بعد انتهاء مفعول المخدر لتفتش حولها عن والدتها أو روزالينا دون أن تجد إحداهما لتسأل الممرضة عنهما و تجيبها :

- الفتاة التي كانت بجانبك التحقت بسرعة إلى الغرفة المجاورة.

- يمكنك أن تساعدني أريد الذهاب إليها.

- لا يمكنك يا أنستي ! لقد أجربت لتوك عملية صعبة، المرجو أن ترتاحي قليلا.

- لا يمكن أن أرتاح هكذا، أريد رؤيتهما أرجوك ساعدني !

- لا يمكنك النهوض الآن، لكن إن أردت لقاءهما سأذهب للبحث عن إحداهما و

إخبارهما بطلبك، حسنا !؟

- حسنا، شكرا جزيلاً لك.

تركت الممرضة الغرفة لتبحث عن جلييلة او روزالينا بينما شعرت غرام بإحساس غريب راودها منذ تركها لغرفة العملية، لذلك آثرت أن تنهض و تذهب لتبحث عنهما بنفسها و تريح شعورها.

نهضت من سريرها و اتجهت حافية القدمين بدلتها الزرقاء القصيرة الطول دون أن تعير اهتماما لألم بطنها أو مظهرها و مظهر شعرها الأشعث...لتواصل السير داخل ممرات المشفى و تبحث عن وجهيما لتظهر لها أخيرا روزالينا بشعرها الذهبي جاثمة أرضاً قرب مستودع الأموات و هي تقابل جثة شخص ما مغطاة على الكامل بثوب أبيض.

اهتز قلبها عند رؤية ذلك المنظر المفزع و المحير فأسرعت إليها و دفعت الباب عنوة لتظهر ملامح روز الحزينة و المحطمة و هي تدير وجهها الجامد مثبتة نظرها إلى الجثة أعلى السرير.

ارتجف جسد غرام و هي تتم كلماتها و تقول :

- ماذا تفعلين هنا يا روز، ما الذي جاء بك إلى هنا، من مات؟! لماذا تبكين...من الميت هنا! من...

قالت روزالينا بعد أن أبت الكلمات أن تترك داخلها :

- **لقد ماتت بسببك، أنت من قتلها، ماتت بسببك أنت.**

تركتها تنتحب أرضا و اقتربت من الجثة و يدها ترتعش لتزيل الغطاء عن وجهها و تصعق لرؤية صاحبة الجثة التي لم تكن سوى والدتها... جليلة.
سقطت أرضا من شدة هولها غير مصدقة لما رآته للتو.

غرام : كيف حصل ذلك، كيف أخبريني، لماذا؟! أخبريني يا روز أرجوك.

- أنت السبب، أنت قاتلة، قتلت أُمي...

صرخت غرام باسم والدتها التي صارت الآن جثة مزرقّة اللون و هي تنتحب على جثتها دون أن تستطيع فعل شيء و دون أن تعلم السبب...و ما الفائدة، لقد ماتت الآن.

وصلت نورسين بعد انتهاءها من قضية أخيرة كانت تشغل بالها لتلتحق بخليل داخل منزلها حيث كانت تظن أنها ستجد خليفة بين يديه، لكن صوتا فاجئها عند دخولها مخالف لصوت خليل التي اعتادته خلال الأيام القليلة السابقة.

- عدت مسرعة يا نورسين !

وجدت العكس...كان خليفة من يمسك بخليل.

كان خليل مكبل اليدين جاثما على ركبتيه و خليفة فوق رأسه يقف شامخا منتظرا عودتها.

اندهشت عند رؤيتهما و فهمت أن خليفة تمكن من خليل.

نورسين : إذن لقد تركته ينهال عليك، كنت أعلم أنك فاشل ! ماذا الآن يا خليفة
عل تريد أن نموت معا كما قتلت ابنتي !

صرخ خليفة بأعلى صوته :

- أنا لم أقتل ابنتك.

- بلى قتلت ابنتي بعدما اغتصبته و أحرقت جسدها و أنهيت حياتنا جميعاً بذلك.

- أجل لقد اغتصبتها و مستعد لأمضي ما بقي من عمري مسجوناً لذلك، إنني
أعترف بذلك الذنب العظيم الذي اقترفته في حقها و الذي دمر حياتي و حياة
الجميع، مستعد أن أعترف أمام العالم أنني مرتكب ذلك الذنب، لكن صدقيني يا
نورسين، لم أقتل ابنتك، لست بذلك الوحش الذي بإمكانه حرق شخص حياً، لا
أستطيع، أنا أضعف مما تتصورين، لذلك اختبأت وراء تلك الحقيقة التي ما كان
على نكرانها و عيش حياتي كأنني لم أفعل شيئاً، أنا جبان، أنا حقير، لكنني لست
بقاتل، صدقيني !

اقتربت منه و قالت برود :

- قتلت ابنتي و تريد الآن أن تصبح جيداً في أعين الجميع !

- لم أقتلها، أنت حرمتني من فرصتي الأخيرة في التكفير عن خطأي، كنت سأبتعد
عن الجميع و أضحي بحياتي المدمرة بأكملها و أجا إلى خالقي و أتوب إليه، لكنك
حرمتني من ذلك أيضاً، ماذا تريد مني، هل موتي سيعيد ابنتك، إن كنت
توقنين بذلك فسأحققه لك، إن كان موتي سيحيي ابنتك و يكفر عن خطاياي
فسأقبل بذلك !

- لا يحق لك التكفير عن خطيئتك، هل كنت تنوي أن تقتل ابنتي و تهرب من
العدالة و من بعد تلجأ إلى الله و تطلب العفو بكل هذه السهولة، **ماذا عن قلبي**
أنا، ماذا عن الألم الذي عانته بسببك و بسبب عائلتك، ماذا عن حياتي التي
ضاعت و أنا أتعقبك يوماً بعد يوم و أنا أتألم لأمسك بك و أنهي كل ذلك العذاب
بضربة واحدة، ماذا عن ابنتي التي ضاعت مني و هي تحترق أمام أعيني، ماذا عن
الغضب و الألم و الكره الذي زرعه في قلب ابنتي الأخرى و جعلتها تعيش حياة

غير الآخرين، أنت السبب و أنت القاتل و لن يمر كل هذا على خير، و ماذا عن هذا الفاشل أمامك الذي دخلت حياته و دمرتها أيضاً، بسببك فقد والديه و حرم من حياته بأكملها، هو أيضاً مستعد لقتلك بأي ثمن، أ لم يخبرك عن القنابل التي زرعها في البيت قبل أن تستعيد وعيك و تتمكن منه، أنا متأكدة أنه لم يخبرك،... ترزعزع قلبه عند سماع كلامها و اهتزت الأرض أسفل قدميه لتكمل نورسين :

- ستموت يا خليفة مثلما قتلت ابنتي، تلك النار التي دمرت حياتنا جميعاً ستنهي ألمانا اليوم،...أظن أننا تحدثنا كثيراً، لم يبق وقت كثير، انظر لديك عشر ثوان لتموت فيها، الآن يمكنك أن تطلب الرحمة و تكمل تعبدك !

نظر إلى القنابل التي أشارت إليها و المزروعة بدقة داخل اللوحات الزيتية و أسفل الموائد و الكنبات تزامنا مع ازدياد نبضات قلبه ليتأكد أنه لا يريد الموت على يدها و كما أرادت لنهايته أن تكون، لأنه لا يستحق تلك النهاية بسبب شيء لم يفعله، فعاد بنظره إلى نورسين و التي همت بالخروج من المنزل قبل أن ينفجر و تأكل النيران أجسادهما ليسرع إليها و يمسك بقوة بجسدها و **يقذف بجسديهما عبر النافذة العريضة و يلقي بأرواحهما بعيداً** عن عالم كثرت فيه خطاياهما و ترعرعت بشكل سريع لتلقي بهما إلى قبضة الموت في لمح البصر.

انفجرت القنابل و تمكنت نيرانها من خليل الذي لم يستطع أن ينقذ نفسه بعدما تركته نورسين في مواجهتها، لينظر إلى نفسه و النيران تأكل جسده بعدما انساق هو الآخر في طريق حُتِمت عليه و فُرض عليه أن يسير فيها بعدما تحكم والديه فيها و قلبه هو الآخر لم يرحمه عندما داس على أول لغم في تلك الطريق، كان يخطو فيها

و هو ينظر إلى قسوة القدر عليه و رغم ذلك واصل السير، واصل بقوة لم يعلم من أين أتته، إنها تلك القوة التي يحتاجها الآن ليحرر نفسه من قبضة الموت هو الآخر.

~

وصلت داليا إلى منزل والدتها داخل سيارة الشرطة لتجد العديد من الناس ملتفين حول شيء ما و النيران تقذف من نوافذ المنزل، لتفهم أن والدتها نفذت الخطة و أحرقت خليفة داخلها.

استرجلت من سيارة الشرطة التي صعدت إليها بعدما أخبرت فريق الشرطة عن العنوان، عندما استرجعت وعبها، و ذهبت معهم بأمر من المحقق، و لوهلة رأت فستان والدتها الوردي اللامع يجثم أرضا فهولت من بين أيديهم و أسرعت إلى داخل الزحام فتملصت من بين العديد من الناس و رأت جثة والدتها ملقاة قرب جثة خليفة و الدماء تسيل من جسديهما.

سالت الدموع و انتحب القلب و انعدم السبيل إلى الخلاص عندما عاشت داليا موت والدتها المفاجئ، هي التي كانت تتمنى أن تبعتها عن طريق الخطيئة و أن تطفى النار التي اجتاحت حياتها دون أن تستطيع لأن تلك النار كانت جامحة أكثر من رغبات قلبها و هيمنت عليها لتحرقها هي الأخرى.

~ ~ ~

كانت عصفير الرياح توصل أخبار محبوبته إليه، لأنه في السجن لا يوجد تلفاز و لا جرائد على بواباته، غير أن تلك العصفير كانت توصل إليه فقط

الأخبار التي كان يؤلفها في دماغه، أخبار وهمية سعيدة، الأخبار التي كان يود سماعها عن سعادة الغائبة عن حياته و المملكة لقلبه...

- أجل لقد عدت إلى المكان الذي أستحقه، عدت إلى حيث انتميت طوال حياتي، عدت إلى سجنني الذي بنيتة بيدي، لم أكن أنوي الهرب لولا إرادة شافعة تهذيب نفوسنا و إرشادنا إلى الطريق، أظن أنها فشلت نوعا ما في ذلك و تسببت لي بسنوات أخرى في سجنني، كم هذا مخزي... أنا فخر الدين سأظل أحبك يا سعادة، سأحبك من هنا و أنا أنتظر عسافيري التي تحمل لي أخبارك السارة، سأعيش بهذا الحب الذي يجعلني حيا و يرغمني على التثبيت بالحياة، أجل سأعيش من أجلك و أترك لك الفرصة التي طالما انتظرتها، سأعيش يا سعادة من أجلك و أحبك من سجنني هذا !

الفصل ١٣ :

لا يحق لي دفنك !

~

خلال العملية فقدت والدتك دما كثيرا و عندما قمنا بحقن دم لها تأكد لنا أنه ليس مطابقا لدمها بعدما قامت الطبيبة السابقة نورسين بتغيير في نتيجة تحليلاتها منذ يوم ولادتك يا روزالينا...

- لكن، كيف عرفت هذا الآن !

- لقد كتبت لي رسالة قبل موعد العملية تخبرني فيها عن حقيقة فعلتها قبل أن تجري العملية، لكن الرسالة وصلت متأخرة إلي، في الوقت الذي كنا فيه نحقن المريضة بدم مختلف عن دمها و تسبب في موتها بدل إنقاذها...نحن نتأسف بشدة لوفاة والدتك !

- ما فائدة الأسف الآن، أتم جميعاً قتلتهم أمي !

غرام: كنت أنتحب و أنا أسمع كلام الطبيب الذي ماتت أمي على يديه و كان سبب وفاتها هو انتقام نورسين منها،...لقد حرمتني منها في لحظة، كنت أنظر إلى روزالينا و ألمها على فقدان والدتها التي قدمت أخيراً إلى حياتها لمدة لا تتجاوز الأسبوع و تفقدها في لمح البصر، كنت أنظر إلى نار الغضب تشتعل في قلبها و أنظر إلى تلك النار و أعلم أنها ستحرقني من جديد، ستلهب نيرانها و تنسف حياتي عن آخرها...و ما لي إلا أن أنظر و أنتظر...مرت ثلاث أيام على وفاة أمي جليلة، أنا أنتظر عند بوابة المشفى لأطلب الإذن للسفر إلى بلادي و دفن أمي في موطنها الأصلي، لا أستطيع تركها هنا في هذه البلاد المظلمة، هنا عانينا كثيراً و تألمنا لقسوة أخطائنا، لا أريد ترك أمي هنا أو العودة إلى هذه البلاد السوداء، أريد أن أعود إلى وطني و بلادي الهادئة و النقية، حيث يسود السلام و البراءة، أريد أن تعود معي أمي أيضاً و أن أزور قبرها كل يوم...لقد فقدت أمي و لا أريد أن أفقد حياتي معها و عبقها الطيب، أريد أن أظل بجانبها على طول.

عاد مراد من الكافيتيريا حاملاً كوبين من الشاي الساخن و التحق بغرام التي كانت تنتظر عودة الطبيب الجراح الذي أجرى لها العملية.

- ألم يعد بعد ؟!

- أنا أنتظر منذ ذهابك !

أطالت النظر إليه و فهمت قلقه فقالت :

- أنا آسفة جدا يا مراد لأنني لم أخبرك بخصوص عمليتي، لكن...

قاطعها قائلاً :

- اسمعي يا غرام، لقد عهدت إليك أنني سأكون بجانبك طوال العمر، سأحبك

دائماً و أكون سنداً لك، أحترم قرارك و أفهمه، نحن الآن في غنى عن ذلك،

سأواسيك يا حبيبتى و أبعد الحزن عنك، ما دمت تريدين ذلك !

اقتربت منه و عانقته بدمعة سائلة عند الخد ليعود الطبيب حاملاً طلبها موقعا و

يقول :

- آنسة غرام، ها هو طلبك موقع، لكن افهمي خطورة الوضع، لقد سبق و

شرحت لك و سأعيد كلامي، لقد تركت لك حرية الذهاب لإصرارك و

لوجود الطبيب مراد بجانبك، لولا ذلك لما تركتك، لقد خضت عملية صعبة

قبل يومين و أنت في حاجة للراحة المثلى، يجب أن ترتاحي خلال كل الأيام

القادمة، يجب أن ترتاحي من كل شيء، فهمت، و أقدم لك تعازي من

جديد...

مراد : لا تقلق، سأراقبها كل ثانية و لا أسمح لها بالقيام بأية مجهود !

ودعت غرام الطبيب و غادرت المشفى برفقة مراد و هرعاً إلى سيارته للحاق

بالطائرة التي ستحلق بهما إلى المغرب بعد نصف ساعة من الآن، السيارة التي

قطعت روزالينا فراملها قبل دقائق من خروجها.

•

"- ماذا كنتم تنتظرون أن أفعل لها، هل سأتركها تذهب لتدفن أُمي بينما أن أختبئ هنا، لن أسمح بذلك، إن كنت لا أستطيع الذهاب لأودع أُمي في قبرها فلن أتركها تعيش ذلك رفقة الرجل الوحيد الذي أحببته و الذي تركني من أجلها، إنه يستحق الموت و إنه لمحظوظ، أتدرون لماذا، لأنني لم أستطع فعل شيء آخر غير هذا، سيموت معها... سيموت اليوم كل من آلمني و أحرق قلبي، و إن لم يكن اليوم سيكون يوماً آخر قريباً جداً، إن كنت سأسجن طوال حياتي فسيكون ذلك لسبب قوي فعلته من أجل نفسي."

١١١

صعدت غرام السيارة رفقة مراد و أخذت معها حقيبة واحدة بها بعض ملابسها و لعبة الدب الخاصة بعهد و الدمية التي اشترتها لها والدتها و أخذ مراد طريق المطار... ليلحق بسعادة و وائل و شافعة.

عند المطار تواجدت سعادة عند البوابة المؤدية إلى الطائرة و برفقتها وائل الذي أخذ عطلة مطولة من مقر عمله ليلتحق بها و يذهب معها بعد أن قرر ألا يتركها مجدداً رغم انتهاء عمله معها...

اقتربت سعادة من البوابة لتسمع شخصاً يناديها باسمها و تحدد لكنته لتلتفت و تجد أنها شافعة التي استطاعت النجاة بحياتها بعدما كانت على وشك أن تفارقها. أسرع إليها سعادة من حرارة الشوق إليها و عانقتها بشدة ثم قالت لها :

- ما الذي حل بك يا شافعة، لقد انقطعت أخبارك عني منذ مدة، ما الذي حصل بك، كان بالي مشغولا بك جدا !

- لقد اختطفني نورسين و كانت على وشك قتلي !

انصعقت سعادة مما قالته لها و ضمتهإ إليها بشدة جعلت دموعها تنساب على خديها و الألم يشتد عليها :

- لكن كيف استطعت الإفلات من يديها !؟

- بعد موتها الرهيب قدمت الشرطة إلى منزلها هنا في باريس و قنشت كل أرجاءه لتعثر على دليل أو أي شيء يطلعهم على السر و الموقع الذي أخذت منه القنابل التي فجرت منزلها و التي كانت تنوي تفجير المسجد بها قبل ذلك، لم يعثروا على شيء و وجدوني أنا بدلا عنها، مكورة في مكاني و أنتظر أن تحررني و تحنو علي،...لقد انتشلوني من قبضة الموت.

كان الاثنان يصغيان إليها في دهشة من أمرهم ليقطع تواصلهم صوت الإنذار ليصعد الركاب على متن الطائرة.

سعادة : لقد تأخرت غرام و مراد أكثر من اللازم، ماذا سنفعل الآن !

قال وائل :

- لا يمكننا دفن جلييلة بدون حضور ابنتها !

- أجل، و لا يمكننا الرجوع إلى الخلف، إن جثمانها داخل الطائرة الآن و لا نستطيع أن نعيده، فلننتظر قليلا !

شافعة : لنتنظر إلى حين موعد الإقلاع !

وصل مراد و هو يقود سيارته عند منعطف و كانت هناك سائقة دراجة في الطريق المقابل له، لذلك ضغط على دواسة الفرامل ليكتشف فح الموت المعهود أخيراً، ضغط مرات متوالية دون أن يستطيع إيقاف السيارة و يعلم أنه في خطر رفقة غرام، حياتها على المحك، بضربة واحدة يمكنها أن تفقد حياتها التي كرس كل قواها لتبقيها على قيد الحياة، أجل حياة على قيد الحياة، هكذا كانت تفكر حين فهمت أن مراد لن يستطيع التحكم بالسيارة و لا إيقاف موتها المحتوم، هكذا فهمت أنها ستلحق بوالدتها بشكل مباشر، هكذا فكرت حين انعطف مراد بسرعة ليحمي الفتاة المقابلة له من الحادث و تنقلب السيارة بفعل السرعة على المنعطف رأساً على عقب و تتحطم أشلاؤها و تسقط معها خطايا الاثنين التي احتضنتها لعبة الدب الخاصة بعهد و التي لم تعد على سابق عهدا بعد أن لطختها دماء أقربائها.

مرت نصف الساعة المتبقية لموعد الإقلاع و اضطرت سعادة إلى صعود الطائرة برفقة وائل و شافعة منتظرين أملاً أخيراً في عودتهما دون جدوى... حلقت الطائرة و لم تستطع سعادة منعها كما لم يستطع مراد أن يمنع السيارة من الانقلاب و أن تحول دون وصول كل منهما إلى والدته... قررت سعادة حينها أنها عند وصولها ستنتظر خبراً منها أو أنها ستقوم بمراسيم الدفن برفقة من سافر معها دون انتظار أكثر، قررت أنها ستكرم جليلة بدفنها في بلادها كما أرادت ابنتها و أنها ستقوم بشيء جيد من أجلها بعد أن تأسست علاقة وطيبة بينهما... و كان ذلك ما فعلته عند وصولهم و انتظارهم ساعات أخرى دون أي خبر،... عند صلاة الظهر بدأت مراسيم دفن جليلة دون حضور ابنتها، الشيء الذي ألم سعادة و زاد من حزنها عليها دون

أن تعرف ما حل بغرام و مراد بسبب روزالينا التي جعلت منها هاربة من أيدي العدالة.

عندما حلقت الطائرة أصدرت صوتا مدويا لم يتمكن من إزعاج روز التي اختبأت حاملة آخر فستان ارتدته والدتها بعدما حالفها الحظ من جديد و عاشت يوماً آخر حرة على جنبات مطار باريس و هي تشاهد الطائرة التي تقل جثة والدتها بين أيدي أناس لا يمتنون لها بصلة، و هي التي عهدت إليها أن تمضي ما بقي من عمرها بجانبها، إلا أن جل العهود تذهب مهب الريح و تحلق في سماء الخذلان.

- لقد قتلت تلك التي حرمتني منك، قتلت الرجل الذي أحبته و سأقتل المرأة التي تسببت في بعدي عنك، سأتي إليك و أبقى بقربك إلى الأبد كما وعدتك !

أخذت سيارة الإسعاف جسدي مراد و غرام إلى المشفى و دخلت بهما بسرعة إلى مقر المستعجلات في غرفتين منفصلتين ليستعيد مراد وعيه للحظات و ينظر إلى جسد غرام يتعد عنه شيئاً فشيئاً و يفصل بينهما العديد من الأطباء و الممرضين الذين تدخلوا على الفور لإسعافهم... ثم غاب عن الوعي من جديد و كان آخر ما رآه هو الدماء التي تسيل بغزارة من رأسه و كتفه الأيمن لا سيما عن الألم الحاد الذي شعر و كأنه جزء لا يفارق جسده...

- اعترفي أنك كنت شريكة لوالدتك في جريمتها، اعترفي من أين لكما بتلك القنابل، اعترفي بكل ما اقترفته بسببها !

داليا : سأعترف بكل شيء، سأعترف بأكثر من ذلك، إن كان السجن هو سبيل الخلاص من عذابي هذا و التكفير عن خطاياي فسأعتنقه، و لو طال ذلك كل حياتي.

يوم قتل خليفة أختي بعدما اغتصبها قررنا أنا و والدي الانتقام منه و كل من ساندته لإخفاء جريمته، أجل هو القاتل الذي حرره القضاء بيده و قمنا نحن بإدائه، نحن من اتفقنا على تشويه سمعة سعادة و منعها من أخذ حقها منه و أشعلنا الحرب بينها و بين مهجة، نحن من قمنا بتبديل روزالينا ابنة خليفة بغرام ابنة بيير و جعلناهما يلتقيان من جديد، نحن من اختطفناهم جميعاً و حاولنا قتلهم... أجل قمنا بحرقهم جميعاً بسم قاتل، لكنهم نجو من حسن حظهم و حظنا، نحن من حررنا خليل من السجن و قمنا بتبريئه، نحن قمنا بكل هذا، لكن أمي تمادت في انتقامها و قررت أن تقتل خليفة بدلا عن الخطة التي اتفقت فيها معها، لقد فهمت حجم خطيئتي بفضل شافعة و قررت أن موته لن يحقق العدالة التي ناشدناها طوال تلك السنين، العدالة تحققها العدالة، لذلك اتفقت معهم أن نرح به في السجن و نتهي عذابنا، لكنها غيرا الخطة دون علمي وقررا قتله، قررا قتله دون أن يعلم أن حياتها ستنتهي بموته، و انتهت حياة والدي دون أن تكفر عن خطيئتها لذلك أريد فعل ذلك بدلا عنها و أن أخفف عنها حجم الألم الذي عانته...قالت شافعة يومها: " هناك من بينكم من هو ميت لكن باستطاعته العودة إلى الحياة و إحياء الروح بداخله إن أراد ذلك " و أنا أريد إحياء الروح الميتة بداخلي، أريد أن أعود إلى الحياة التي كنت أتوق إليها و لو كنت سأعيشها داخل السجن، الأهم أنني حية !

الفصل ١٤ :

بعد أربع أيام...

ترك مراد غرفته في المشفى بعد أن تلقى العلاج الاستعجالي إثر الحادث المفاجئ و الذي خلف لديه **كسرا على مستوى كتفه**، الكسر الذي تطلب من الأطباء ساعات عديدة لجراحته، و ها هو الآن على قيد الحياة متجه إلى حبيبته التي تمكن منها الحادث و لم يترك لها المجال لشفاء آلامها رفقته و دخلت في غيبوبة منذ دخولها المشفى.

اقرب من غرفة الإنعاش بعدما طلب الإذن من أحد زملائه السابقين و وافق من فوره فدخل إليها و وجدها على سرير برداء أبيض و العديد من الأجهزة تبقيها مخدرة و تبقي على تنفسها بعدما أصابها ارتجاج في دماغها... كانت يده اليمنى معلقة بواسطة

حزام أبيض متين يساعد على التئام عظمه و سترة سوداء تغطي جسده القوي،
السترة التي أهداها له أحد زملائه خلال فترة مكوثه داخل المشفى و هو نفسه
الذي كان ينقل إليه أخبار غرام لأن طبيبه منعه من الحركة الكثيرة خلال الأيام
الأولى من بعد عملياته.

كان وقع خبر غيبوتها قويا عليه، لم يستطع تحمله أول الأمر خاصة و أنها كانت على
أهبة الاستعداد لتودع والدتها، الأمر الذي لم يعد ممكنا بعد الحادث المدبر.

رسالة من روزالينا :

"كنت رفقتها حتى عندما نويت قتلها، هي التي قتلت أمي وكان يجب أن تموت لوحدها، لكنك أحببتها و
وجب عليك أن تدفع ثمن حبك لها، أنتما الآن ميتين وأنا هنا لوحدي..."

كانت ترسل إلى هاتفه عدة رسائل بعدما أيقنت أنها قتلتها، الرسائل التي تهدى نار
الغضب و الألم في قلبها، الرسائل التي تواسي بها نفسها و تطلب منه العفو بشكل
غير مباشر.

أعاد الهاتف إلى جيب سترته و أمسك يد غرام الدافئة و تحدث إليها :

- كنت أتوق إلى رؤيتك مجدداً،...عندما رأيتك تبتعدين عني داخل المشفى
خفت كثيراً أن أفقدك و تكون آخر مرة أراك فيها هي على ذلك السرير
الأبيض الرهيب و الدماء تسيل من أنفك، كنت خائفاً أن أفقدك و أفقد
نفسي،...مرت أيام و أنا أتألم لأني لم أستطع أن أكون بجانبك، لم أستطع
شخص أن يواسيني و أنت بعيدة عني، كيف يستطيع شخص أن يواسي فراق
عك، لا أحد يستطيع ذلك، أنا الآن بجانبك و لن أفارقك مهما كانت

الظروف، ارجعي يا غرام، ارجعي لي، أريد تلك الفتاة الجامحة القوية التي
أحببتها و أحببت قوتها و تكبرها، أجل أحببته بشدة، أريدك أن تعودتي
أقوى مما كنت عليه و سأكون كما أردتني أن أكون، ذلك الشاب المتمرّد الغيور
الذي كنت تتمادين في الحب و العشق معه، سأعود ذلك القوي الذي أحببته
و وهبت نفسك و حياتك له، لن أخذك يا حبيبتي، فقط ارجعي
لي...سنمحو خطايانا معا، سننسى الآمنا و قسوة قلوبنا و نمضي في الحياة
معا.

كانت تترقد في غيبوبتها و هي تنقل موجات كلامه لها، هي التي تعبت من كثرة الآمها
و قوة آثامها، هي التي انهارت قواها التي أحبها فيها مراد، انهارت من توالي خيبتها و
صراعاتها ضد قدرها، هي التي أحببت غفوتها هذه و وجدتها مريحة من عبء ما
ينتظرها من آلام و آثام يجب التكفير عنها، لم تقوى على التغلب عن هذا الحادث
الذي أوقف حياتها، من أجل ذلك اختارت أن تهرب لوهلة من الزمن و هي تسرح
في أحلامها في الوقت الذي يجب أن تستيقظ و تواجه للمرة الأخيرة آثامها
العسيرة...و هو يترقد بجانبها منك هو الآخر من عثرات حياته التي حرمتها من
استقراره الكاذب، و التي حرمتها من خطاياها التي كان يتعنى بها و يقذف بشرارتها
إلى من هب و دب، هو الذي كان يظن أنه يمسك زمام قدره و يلعب به كما
يشاء، إلى أن أمسك به القدر و أجهض قواه المميّنة و أجهز عليه ليقذف به إلى
سافل الأنحاء...ليجد نفسه دون أهل و دون قوة ليبحت عن عائلته الأصلية، دون
عمل، و مواجهها لعتبات تقف طريقا أمام حبه و عودته لأهله و عمله...العتبات التي
يبدو و أنها بدأت تنكسر.

رسالة من روزالينا :

" لم أكن أتخيل يوماً أنني سأفقدك و أعيش حياتي بدونك، لقد تصورت و بنيت أحلامي و أنت فيها، و أنت الآن ميت، من سيعيش معي تلك الحياة التي بنيتها...من؟! "

دخل زميل مراد السابق حاملاً إليه بريداً من المغرب و هو يتمنى له الشفاء العاجل هو و مريضته.

أمسك مراد البريد و أمعن النظر إلى هوية مرسله.

" أنا أنتظر قدومك يا مراد من أجل موضوع عاجل، الأمر يتعلق بوالدتك ! والدتك التي أنجبتك،...أنا هنا، ستجد عنواني ظهر هذا الظرف.

فخر الدين "

عنوان المرسل : السجن المحلي، طنجة. المغرب

سقطت الرسالة من يده بكثرة الحيرة و الرعشة التي سرت إليه و أمسكها مجدداً ليتمعن في محتواها و يتذكر يوم قام فخر الدين باختطافه هو و عهد، اليوم الذي لن يمحي من ذاكرته، و هو يتساءل الآن :

- ما الذي يهدي به هذا الآن، بعد مرور كل هذه المدة، ما الذي يعرفه بشأن والدتي !

أثار استغراب زميله ثم قال ليزيل حيرته.

- أظن أنني في استعجال من أمري، يجب أن أغادر البلاد الآن من أجل شيء ضروري، اسمع يا جون، سأترك غرام ليوم واحد في عنايتك، سأذهب ليوم واحد و أعود.

جون : لا تقلق، إنها مريضتي الآن و سأحرص على الاعتناء بها كما يمليه علي
واجبي، اذهب و عد سريعا !

مراد : سأعود إليك غدا يا حبيبتي و أتمنى أن أرى بريق عينيك الذي اشتقت له،
أتمنى أن أعود بخبر يفرحنا معا ! إلى اللقاء.

مرت أيام عديدة على مراسيم دفن جليلة و التحاق سعادة بمنزلها مجددا بعد غياب
دام لأشهر...عادت إلى منزلها برفقة وائل و شافعة التي لم ترد أن تتركها مجددا...ظل
الثلاثة تحت سقف واحد و الدفء ينعم عليهم بحنينة رغم أن سعادة في حيرة من
أمرها بعد أن تلقت خبر حادث مراد منه هو بشخصه بعدما هاتفها وطمأنها عن
حالته و حالة غرام...

كانت تحتضن دفة ووالديها أحمد و ياسمين و هي تتذكر كل أيامها معهم لتعود
آخر ذكراها القاسية إلى جلستها و تهيئها مبتعدة عن الغرفة و تلتحق بالآخرين في
الطابق الأرضي...لتجد وائل جالسا يتمعن في مجموعة صور العائلة المعلقة على الحائط
و التي أعادتها شافعة عندما كانت ترمم البيت و تصلح ما أحرق منه.

سعادة : كيف وجدت عائلتي الصغيرة !؟

التفت إليها بعدما كان سارحا في خياله و أجابها :

- لقد كنت نحيفة مثل الجثة !

ضحكت شافعة التي كانت ترقد على كنبات البهو ترتشف كأسا من الشاي و قالت:

- لم يكذب عليك فعلا !

سعادة : لقد قمت بوضع هاته الصور عنوة ليراها أليس كذلك !

شافعة : لا.

ضحك الجميع و قالت سعادة :

- قل لي يا وائل، لماذا آثرت أن تأتي معي إلى هنا و تترك عملك و حياتك

الخاصة، قل لي لماذا !؟

اقترب منها وائل و قال :

- أجل، تخليت عن عملي و حياتي هناك، الحياة التي أسستها لنفسي لأعيشها و حدي رغما عني، و حدي دون عائلة، أسست حياة لا تمت لي بصلة، فعلا أحببتها لفترة، أحببت عملي و انغمست فيه، لكن كان دائما ينقصني شيء، كان ينقصني دفء العائلة، حنان الأم و الأب الذين تخلو عني منذ ولادتي، كنت دائما أحتاج إلى ذلك الدفء الذي يحيط بالعائلة و السعادة التي تنمو بشكل سريع بينهم... لك أن تتخيلي أنني تمنيت أن أعيش لحظات تظهر أنها بسيطة لأي شخص و لا فائدة منها، لكنني كنت في حاجة إليها، كنت أتمنى أن أعيش يوما متعبا في عملي و عند خروجي أجد أمطارا غزيرة تحيط بي و أسرع إلى سيارتي و ألتحق بالمنزل لأجد والداي مشغولان بتحضير العشاء معا، و أخواي يشاهدان فيلما أو برنامجا معا، و تستقبلني أمي بجرارة ثم نجتمع معا على طاولة واحدة نحكي عن يومنا و عن خططنا لليوم الآخر،...أترین يبدو هذا بسيطا، لكنه يعني لي الشيء القيم، أريد أن أعيش هذا،...

كان يتحدث بنشاط و حيوية و هو يعبر عن رغبته، ليكمل :

- أتقبلين بي يا سعادة أن أكون ضمن عائلتك الصغيرة !

دمعت عينها و زارها الحنين لقوله ثم اقتربت منه و مسحت دمعة بريئة من وجنته فقبلته و قالت :

- لا تحتاج إلى الإذن لتنظم إلى عائلتك أيها الأب له، نحن أهلك و أنا أمك، أسمع، نحن عائلة و سنظل كذلك إلى أن تفرق بيننا الموت...سأجد ابني و سيكون بمثابة الأخ لك يا وائل، سنعيش معا إلى الأبد.

- أتمنى أن يجتمع شملكما عما قريب، أريد أن أقاتل أخي أيضاً !

شافعة : يا لها من أمنيات ! سعادة، أتمنى أن يكون ابنك ألطف من وائل هذا !
سعادة : أتمنى أيضاً !

وائل : و أنا أتمنى العكس.

السجن المحلي، طنجة، المغرب

وصل مراد إلى مقر السجن حيث يمكث فخر الدين و دخل إليه بعد أن تأكد هذا الأخير من موعد السماح بزيارة السجناء و أرسل إليه في الوقت المتاح...ليدخل مراد إلى غرفة الزيارة التي تعج بالزوار و السجناء و يجلس حيث أشار إليه الحارس منتظرا دخول فخر الدين الذي قدم بعد خمس دقائق من وصوله و التحق به.

كان مرتديا قميصا أبيض و بنطال أسود و شعره الأسود تملؤه بعض الشعيرات البيضاء و نفس الشيء في لحيته القصيرة.

مراد : ماذا تريد مني مجدداً، المرة الأولى التي التقينا فيها كنت تنوي الانتقام من
مهجة بنا أنا و عهد ! ماذا تريد الآن ؟

وصلت رسالة مجدداً إلى هاتفه و ألقى نظرة إلى المرسل و وجده روز ليبعد الهاتف
عنه مرة أخرى.

فخر الدين : أعلم أنني يومها تماديت في فعلتي، لقد كنت مخطئاً في حقكما، لا شيء
يبرر أسفي أنا أعلم ذلك، لكن ربما تكون لدي فرصة،...

مراد : اسمع، ليس لدي اليوم بأكمله، لدي طائفة ألحق بها، ماذا تريد قوله من تلك
الرسالة !؟

فخر الدين : تذكر ذلك اليوم، سمعت حديثكما أنت و عهد، سمعت أن مهجة ليست
والدتك و أن عهد ليست أختك !

مراد : أجل كان ذلك ما حصل، و ماذا بعد !؟

فخر الدين : خلال فترة مكوثي هنا، فكرت في السبب الذي قد يجعل مهجة تأخذ
ابنا ليس لها و تربيته على ذلك الأساس، ما فائدة هذا الفعل ؟ و بعدها بفترة قليلة
علمت أن بيني و بين سعادة هناك ابن نجهل كلينا هويته، و نتيجة لكل هذا و
الانتقام الذي بدأته مهجة، **ذلك الابن لا يمكن أن يكون إلا أنت !**

اندهش مراد من كلامه و تزعزع قلبه ليقول له :

- لديك أنت و سعادة ابن، و تشك أنني يمكن أن أكون ابنك، ابن سعادة !
- أجل، أنت الشخص الذي يمكن أن تدمر به مهجة علاقتنا نحن الاثنين، لقد لعبت
جيذا و علمت حمل سعادة بك و من تم أخذتك من بين يديها، لا شك لي في

ذلك، أجل يمكن أن تكون أنت ابني، أنت ابن سعادة الذي تبحث عنه، رغم أنها حاولت إخفاء الأمر عني إلا أنني فهمت الوضع، إنها مصرة على انتقامها و لا تريد أن أعلم بوجودك و أتفهم تصرفها،...الآن يجب أن تثبت هذا بدليل قاطع !

تأثر مراد كثيرا بكلام فخر الدين و قال :

- إذن من الممكن أن تكون أنت أبي، و أن تكون سعادة، سعادة التي...من الممكن أن تكون أمي !

- أجل، خذ شعرة مني و اطلب التحاليل اللازمة لذلك، أنا مستعد لفعل أي شيء يتطلبه الأمر !

أمسك **بخصلة من شعره و نزعها بقوة** ثم وضعها بين أيدي مراد قائلاً :

- أثبت ذلك و اجث عن والدتك، اذهب إلى والدتك يا مراد، إنها تعيش عذابا قاسيا بدونك، أثبت ذلك و عد إليها.

أمسك مراد بالشعرة و ترك السجن دون أن يوجه كلمة إلى فخر الدين الذي ظل منتظرا أي خبر منه.



أرسل مراد عينة من شعره و شعر "والده" إلى باريس ليتلقاها جون و يعمل على تسريع البحث من أجل صديقه فظهرت نتيجة التحليل بعد ست ساعات من الانتظار ليرسل مضمونها إلى مراد و يقرأ محتواها.

• تطابق بنسبة % 99.99 بين عينة مراد و فخر الدين •

ليتأكد مراد أن فخر الدين هو والده و بالتالي تكون والدته هي سعادة...الشيء الذي هز قلبه و جعله يرتجف بشدة سالت دموعه على إثرها و لم يستطع كبح جماحها فأطلق لها العنان...إن والدته التي لم تسنح له الفرصة للبحث عنها و التي سلب من يديها، هي سعادة، التي جمعت بينهما الأقدار بعدما فرق بينهما طغيان الخطايا بعد مرور سنين عديدة، أصبح بعدها يمتلك أبا و أما و عائلة حقيقية.

المغرب، 5:00 صباحا ؛ وصلت روزالينا إلى الميناء بعدما أقنعت صاحب باخرة بتحريرها من باريس إلى المغرب و إخفاءها داخل العلب الضخمة للسلع التي يقلها عليه، فوافق مقابل مبلغ مهم من مالها.

وصلت و دخلت المدينة صباحا و اتجهت إلى منزل سعادة الذي عرفت عنوانه من الجرائد التي كانت تنشر أخبارها منذ الحريق الذي شب منزلها، و لم يستصعب عليها الأمر و سارت مدة ساعة كاملة إلى أن وجدت المنزل الفخم و دخلته من بوابته الخلفية بعدما كسرت القفل.

كان كل ما يوجهها هو قوة غضبها و فتيلة الانتقام التي أشعلتها سعادة منذ أن قدمت شهادة دمرت حياتها و تسببت في وفاة والدها كما كانت تظن.

دخلت إلى منزلها و اتجهت إلى الصالون حيث كان يرقد الثلاثة مجتمعين بعد ليلة هادئة، لتقترب من سعادة و تشعر بها و تفرع من رؤيتها.

روز : لا أريد أن أسمع حرفا،...إن صرخت سأقتلك الآن و أقتل من يجثم حولك.

تحدثت روز بهمس إلى سعادة و هي تحمل سكيننا بعدما أخذته من المطبخ في طريقها إليها لتقول سعادة بهدوء :

- ماذا تريد مني؟!؟

- ستأتين معي دون أن تنطقي بكلمة! هيا تحركي الآن.

شعرت سعادة بخطورة تهديدها و الخطر المحدق على عائلتها فأثرت أن تذهب معها دون أن تفكر في العواقب.

" قررت أن أذهب معها و أحمي الأشخاص الذين احتموا في حضني، لم أستطع ترك الخطر يحيط بهم، إنهم عائلتي الوحيدة، عائلتي التي تمنيت أن أعود إليها بعد الذي حصل معي."

مع شروق شمس يوم الأحد، وصلت روزالينا برفقة سعادة إلى جرف يطل على المحيط، جرف عالي اختارت روز أن تنفذ فيه انتقامها.

{

- ماذا تريد مني أن تفعل بي؟!؟

- ها نحن لوحدنا الآن يا سعادة،...ظننت أنك ستفلتين بما فعلته بي، لقد أمنتك على سري و فعلتي و وعدتني ألا تخبري شخصا بما اطلعتك عليه، و ماذا فعلت أنت، ذهبت بسرعة و أخبرت الجميع، أخبرت الشرطة بالسر الذي حكيت لك عنه في وقت ضعفي، أجل لم ترحميني و أسرعت إلى الإيقاع بي، لماذا فعلت ذلك، هل أدركت فيما تسببت لي به، لقد حرمتني من حياتي الهادئة التي كنت أعيش، حرمتني من الجمال الذي تعנית به، حرمتني من حريتي، من والدتي و قتلت والدي بعدما أوقعت به و أدخلته السجن،...من أنت لتفعل كل هذا بي، من أنت أخبريني، ما علاقتك بي، ما العلاقة التي تجمعني بك لتجعلك تحطميني إلى هذا الحد....هيا قولي.

- لقد التقت طرفنا في وقت غير ملائم، إن القدر من جمعي بك و جعلك تعترفين
بجرمتك لشخص لا تعرفينه، القدر الذي جعلك تحبين شخصا لا يجبك هو نفسه
القدر الذي جعلك تعترفين بأبشع خطاياك لتزيلي عبءها عنك، أنت قتلت شخصا من
غير حق، ماذا كنت تنتظرين مني أن أفعل، أن أعطي عن جرمتك !
صرخت روز بجنون :

- و ما شأنك في ذلك، من أنت، أتدرين حجم خطأك، لقد جعلتني أختبي
كالفئران في الوقت الذي كان يجب علي أن أحمي أمي من الأوغاد الذين أودوا
بجياتها، كان يجب أن أقضي معها آخر لحظاتها و أن أسهر على راحتها، لكن
السيدة سعادة التي لا تمت لي بصلة، لها رأي آخر، لماذا تعيش روز السعادة
في الوقت الذي يجب فيه أن تقاسي فراق والدتها و والدها و هي مختبئة مثل
الأندال ! لماذا...

انقضت عليها و أمسكت عنقها محاولة خنقها لتواجهها سعادة و تدافع عن
نفسها،...تعاركت الاثنتين على حافة الجرف و الشمس تشرق على عراكهما في محاولة
من سعادة الإفلات من قبضة روز، لكن هذه الأخيرة انهالت عليها بكامل قواها و
قذفت بجسدها أرضا ليرتطم بقوة و يتدحرج و ينزلق إلى أسفل الجرف.

اهتزت الأرض أسفل روز و هي تعود بخطواتها إلى الخلف مرتعبة و هي تهتت :

- أنت السبب، لم أفعل شيئا،...أنت من دفعتني للقيام بهذا، لا يمكن...لا
يمكن....

الفصل ١٥ :

"أمسك بي ولا تفلت قبضتي! تمسك بي."

كان مراد يحمل هاتفه يتفحص نتيجة تحليله غير مصدقا لوقع الصدمة التي حلت به لتأتيه رسالة أخرى من روزالينا و يتفحصها بعدما نقر عليها صدفة :

لقد قتلتها، قتلت التي قتلت أبي و حرمتني من حريتي، قتلتها، لم أقصد ذلك...لكنها ماتت الآن، لقد قتلتها.

تمعن في رسالتها لعدم فهمه أول الأمر عن تحدث لتومض في عقله مثل صاعقة و يتذكر شهادة سعادة.

فهم أن روز قتلت والدته للتو، لم يستطع إمساك هاتفه من شدة الصدمة و اتصل بالشرطة رغم ذلك ثم أخبرهم بمحتوى الرسالة التي وصلته ليذهب مسرعاً إلى المخفر و يستطيعوا تحديد الموقع الذي أرسلت منه.

وصل فريق الشرطة إلى الجرف و معهم مراد الذي انسل من السيارة في غفلة منهم و بدأ يبحث عن والدته بجنون و يصيح باسمها ليسمع بعض لحظات صراخها القوي و هي تطلب النجدة...فهرع إلى مصدر الصوت الذي ينبعث من أسفل الجرف ليجدها متشبثة بإحدى الصخور الكبيرة الحجم، تلك الصخور ذات اللون الرمادي و الأخضر الذي يجعل منها زلقة...تمسكت بها رغم ذلك لمدة طالت النصف ساعة ليسرع مراد إليها و ينزل عبر الصخور الجافة التي من سوء حظ سعادة لم تستطع أن تقع عليها و تمسك بها بدل الأخرى الزلقة.

وصل إليها بعد أن تجاوز أربع صخور و ألقى بجسده أرضاً و مد يده اليسرى ليمسك بسعادة التي اندهشت فرحاً لرؤيته.

مراد : تشبثي بي، لا تخافي، إن الشرطة معي و سيأتون لنجدتك الآن !

سعادة : أنا خائفة يا مراد، لا أستطيع التحمل أكثر، سأسقط !

مراد : لا لن تسقطي، إنني أمسك بك و ستأتي الشرطة حالا،...سعادة، أنت والدتي !

صعقت عندما سمعت تلك الكلمة التي انتظرتها طول حياتها، غير أنها ليست اللحظة التي تخيلت أن تسمعها فيها، ليست بكل اللحظة التي تمت أن تلاقي فيه ابنها.

- ماذا تقول، ماذا قلت يا مراد !

- أنا ابنك يا سعادة !

اهتز قلبها و شعرت بنبضاته تزداد بسرعة فائقة فتشبث بها مراد و لوهلة من الزمن شعر أن يدها تنزلق منه بحكم ثقلها فأثر أن يمسكها بيده الأخرى ليستطيع جرها إليه، يده المكسورة التي لم يلق لها بالا و أمه في خطر واضح، خطر الموت الذي يحدق بها إن لم يستطع الإمساك بها أمام محاولات الشرطة و فرقة الإنقاذ أن يمسكوا جسدها بواسطة الرافعة التي جلبوها إلى عين المكان.

أجهز مراد بيده المكسورة على قبضة والدته فشعر بألم حاد زاد من خطورة الكسر القوي على كتفه، غير أنه تناسى ألمه أمام الألم الذي سيعيشه إن لم يستطع الإمساك بوالدته قبل أن تسقط و تنتهي حياتها أمام أعينه... و بعض ثوان تحقق منظوره و سقطت بعد أن انزلت يدها من أثر المادة التي تشبثت بها على الصخرة و ابتعد جسدها أمام أعينه ليرتطم بمياه المحيط.

كان ينظر إليها و هي تسقط من يده و تلتها دموع ألمه التي لا فائدة منها بعد الذي حصل.

فشلت جهود فرقة الإنقاذ أيضاً فارتأوا أن يبدأو البحث عنها أو عن جثتها وسط المحيط و إبعاد مراد عن منطقة الخطر التي كان يقبع فيها، غير أنه أبقى الابتعاد و قاومهم بشدة و هو يصرخ باسم والدته، يصرخ بحرقة و ألم، يبكي و ينتحب.

أبعدته الشرطة بعدما كان كل تركيزهم هو تركه يتشبث بها لعلهم يستطيعون انتشالها من بين يديه، غير أن تلك الخطة لم تكن صائبة، فأمسك مراد الرباط الذي كان يسند يده و ألقى به بكل غضبه و ألمه ليسقط كما سقطت والدته، و كأنه يلوم بذلك حالة يده التي منعتة من انتشالها.

وصلت روز بوجه مكشوف إلى المقبرة بعد أن هرعت هاربة من الجرف إلى حضن والدتها...هربت من كل جرائمها و خطاياها و آلامها لتختبئ في حضن أمها، الحضن الذي فارقتة غصبا عنها، و التي هي مجبرة الآن على إيجادها، الحضن الذي بحثت عنه طوال حياتها ها هي الآن تبحث عنه من جديد.

كان شعرها أشعث و الفستان الرمادي القصير الذي كانت ترتديه و الذي لا يوافق حرمة المقبرة لم يمنعها من الاختباء و تظليل الحارس و التفتيش كالمجنونة عن قبر والدتها وسط القبور العديدة، الأمر الذي زاد من حرقتها و ألمها و هي تتبعثر وسط القبور لتشعر بعقب والدتها الذي التقطته خلال الأيام القليلة التي احتضنتها فيها. كلما لامست قبر أحدهم التمسّت أن يكون لوالدتها، فتشت العشرات و لم تشعر بشيء، فسقطت أمام قبر حديث و انتحبت بحرقه بعدما تعبت من التفتيش و الترقب فارتأت أن تستسلم لألمها و قوة قدرها، و أن تعيش ما كتب عليها...سقطت أمام قدرها و بكت بشدة منتظرة أن يحن عليها و يلمها إلى حنين والدتها غير أنها لم تستطع الحراك عندما رأت الشرطة قادمة إليها بعد أن تعقبوا حركات هاتفها بعد الرسالة التي بعثتها إلى مراد.

قدموا إليها و هي تجثم أرضا مستسلمة أمامهم فأمسكوا بها و قيدوا يديها ليقتادوها بعيداً عن المقبرة و عن أمل اللقاء بوالدتها.

عند الجرف تواصلت جهود فرقة الإنقاذ وسط المحيط دون جدوى بعدما تجاوزت الساعة الثانية مساءً لتصل شافعة و وائل بعدما هاتفها إحدى رجال الشرطة لإعلامهم بالحادث و للبقاء رفقة مراد.

وصلت شافعة و وائل إلى عين المكان و وجدا مراد يقبع هادئا ينظر إلى المحيط و هو ينتظر أن ينبعث جسد والدته من بين أعماقه.

الفصل ١٦ :

Amour éternel 3 عطر أمي

مر يوم بأكمله على حادثة الجرف و عاد كل من شافعة و وائل إلى المنزل بعدما حضرت الشرطة وجودهم هناك، ليجبر مراد على العودة معها منتظرا خبرا من الشرطة.

كان الجو كئيبا يوما بعد أن عم الحزن في القلوب بعد الفراق المحتمل...عند صباح اليوم الموالي بعد أن لم يتمكن النوم من أحدهم اتجه وائل إلى حيث يقبع مراد عند باب المنزل، و التحق به ليلفح البرد القارس جسديهما، وسط الضباب الكثيف الذي ينذر بهطول محتمل للأمطار... اقترب منه و قال مراد بجدة قبل أن ينطق وائل بكلمة :

- أمي لم تمت، و أنا لست في حاجة إلى مواساة أحد ! أنا لم افقد والدتي.

قال وائل بغضب :

- و من جاء ليواسيك أو يخبرك بوفاتها، أنا هنا فقط لأستنشق هذا البرد القارس.

تجاهل كل من منهما الآخر لثوان معدودة و للحظة انقض مراد عليه و عانقه بشدة سالت دموعه بغزارة من كثرة ألمه و حزنه، الشيء الذي لامس وائل هو الآخر فظل الاثنان ينتحبان أمام الأمطار التي أطلقت العنان لنفسها أخيرا.

- لا أريد أن أفقدها يا وائل، أريد أن تعود إلي و نعيش سوياً، لا أستطيع تحمل خبر وفاتها، لا أستطيع رؤية جسدها مزرقا و باردا، لا أستطيع فقدان أمي، لا يمكنني العيش بذلك الحزن، لا أقوى عليه.

تمسك به وائل و شد عناقه عليه فقال له و عيونه الزرقاء تبرق عندما يخسف البرق أمام منزل سعادة المنكوب :

- لن نفقدها يا أخي، ستعود إلينا سليمة و قوية، ثق بي، لن تواجه ذلك الألم...
- أنا خائف جدا أن اعيشه !

قدمت شافعة نحوهما بعدما أيقضها صوت الرعد القوي و اتجهت إليهما لتجدهما في منظر كانت سعادة من تتوق إلى رؤيته.

بعد لحظات قال وائل :

- مراد يجب أن تطمئن عن حالة غرام، إنها لوحدها في ذلك البلد، لوحدها تصارع الحياة.

- لا أستطيع ترك والدتي هنا،...و لا أستطيع ترك غرام لوحدها أيضاً، لا أتحمّل أن أفارق والدتي و أنا لا أعلم شيئاً عن الذي حصل بها، لا أستطيع !

اقتربت شافعة و قالت :

- نحن هنا يا مراد، سننتظر خبراً من الشرطة و ندعو الله أن يتم إنقاذ ابنتي سعادة، اذهب و لا تترك غرام لوحدها أرجوك، لا فائدة من الانتظار هنا، لن نغير شيئاً من قدرنا، اذهب و اعتن بها و سنخبرك بأي شيء تعلمنا به الشرطة مهما كانت النتيجة.

- اذهب و عد بسرعة !

توجه إلى محطة التاكسي على أمل أن يجد أحدهم متاحاً ليوصله إلى المطار بسرعة بعد أن حجز الرحلة التي ستنتقل بعد ساعتين من الآن بحيث لم يرد أن يظل هنا لوقت أطول في الانتظار...انتظر لأكثر من ربع ساعة دون قدوم أحد، فاشتات غضبه و زجر كأن الأرض التي يقف عليها تحرق قدمه و تسرع من رحيله إلى البلاد الأخرى غير البلاد التي فقد فيها والدته...انتظر لوقت أطول فمرت حافلة نقل عمومي أمامه فاختر أن يصعدها، هو الذي لم تطأ قدمه يوماً تلك الظاهرة المتواضعة التي تحدث فيها الأعاجيب...وقفت الحافلة عند محطتها و دخل إليها لينعدم الأكسجين داخلها و يغلق الباب من خلفه، ففهم لحظتها و هو ينظر إلى الاكتظاظ القاتل أنه سيعيش أسوء رحلة على مر التاريخ.

كانت الحافلة تضم ثلاثين مقعداً كلها ممتلئة عن آخرها بالعواجز و الحوامل و بعض الشباب الذين أبوا أن يتركوا مكانهم لشخص لا يقوى على الوقوف، و كانت هناك

ثلاث نساء يقفن عند رأس الشاب منتظرات أن يتزحزح من مكانه و يترك إحداهن تجلس بدلا عنه، إلا أنه أبقى، أما مراد فأمسك بالعمود الحديدي الذي وجده شاغرا أمامه و هو يشاهد تلك المناظر المثيرة للقلق، طالبا من الله أن تصل الحافلة في أسرع وقت قبل أن يفقد أعصابه.

كان الاكتظاظ واضحا و البشر ملتصقون ببعضهم لدرجة أن رجلا اعتصر جسده وسطهم و استطاع الخروج و التصق بجسد مراد، كان ذلك الرجل بدينا و رائحة العرق تنبعث بقوة من جسده، حاول مراد تملك نفسه أول الأمر إلا أن الأمر ازداد حدة و واجه البدين قائلا :

- هل يمكنك أن تتعد قليلا أرجوك !

خاطبه البدين ببداءة قائلا :

- هل الحافلة ملك أبيك، يمكنني أن أقف أينما شئت !

رد عليه مراد بجدته المعهودة :

- ليست ملك أبي، لكن لا أريدك أن تقبع هنا بجانبني، إنك نش، ابتعد من أمامي !

زاد غضبه و انهال على عنق قميصه صارخا :

- من هذا الذي تنعته بالنتن أيها المتكبر الأناني !

أحكم قبضته عليه بينما حاول مراد الإفلات منه و بعد تدخل الركاب الذين فكوا النزاع بينهم ابتعد مراد غاضبا و هو يقول :

- انظر إلى حالتك، اهتم بنفسك و لا تصعد شيئاً مجدداً إن لم تغتسل، تحدثت معك بأدب أول الأمر لكنك جشع، أنت من بدأ بالشجار، ليس أنا.

تهامس الركاب فيما بينهم بحيث هناك من أيد كلامه و هناك من نعته بالمتكبر و الأناي، بينما بقي ينظر إليه البدين بحقد بعد أن وقفت الحافلة و تركها عند وصوله إلى وجهته، و عند وقوفها صعد المراقب و تأكد من تذاكر الجميع واحداً بواحد و هو يمر وسط الزحام ليجد راكبا دون تذكرة فحاول الفرار من قبضته و سقط على أربعة ركاب تدحرج بعدها كل من هم ورائه و بما فيهم مراد الذي اشتاط غضبه و أمسك بالهارب و هو يصرخ عالياً :

- هل أنت مجنون أم ماذا، أ لم ترى هذا الكم الهائل الذي أسقطته، أيها السارق، لقد دحرجتنا جميعاً وسط هذه الحافلة الممتوهة، أ لم يكفيك أننا تندحرج منذ نصف ساعة بسبب تلك السياقة اللائقة لذلك السائق، اغرب عن وجهي !

قذف بجسده ليمسك به المراقب و يغادر الحافلة معه، و يرد السائق على مراد :

- ماذا تريد أنت، ألا تريد أن تصمت قليلاً، اثبت مكانك و خفف عنا هذا الاكتظاظ !

- و تقول ذلك كأنتي أنا من تسبب به، إنك أنت من تحمل أكثر مما يجب عليك !

- و الله لم تكذب، ما كان علي الوقوف في تلك المحطة عند رؤيتك، ما كان علي.

أسرع السائق من شدة غضبه بينما عاد مراد إلى مقبضه الحديدي و هو ينظر إلى الركاب...ينظر إلى امرأة ترضع طفلها أمام الملاء، رجل يأكل سندويش مليء بالبيض

و الفلفل الحار، ينظر إلى الشاب الذي التصق بمقعده و الثلاثة نساء على رأسه،
ينظر إلى العجوز الذي يصرخ ألم معدته من قوة رائحة السندويش الذي تعج داخل
الحافلة، ينظر إلى الفتاة التي تعدل مكياجها و الشاب الذي ينظر إليها مفتتنا بها،
إلى الطفل المشاكس الملتصق بالنافذة التي تنبعث منها نسمة الهواء القليلة التي عاش
بها كل هؤلاء الركاب خلال تلك الرحلة...و بعد لحظات وقفت الحافلة بشكل
مفاجئ بعد أن كاد سائقها يرتطم بسيارة تسير في الاتجاه المعاكس، ليستقط من
جديد كل الركاب الواقفين واحدا فوق جسد الآخر و تصرخ المرأة العجوز :

- ظهري يا إلهي، هل تريد قتلنا أم ماذا، أيها السائق !

وسط صراخ الركاب استنشق مراد نفس العطر الذي كانت تضعه والدته سعادة،
العطر الذي كان يزعجه، استنشقه الآن و هو منحصر بين أربعة أجساد من فوقه و
ثلاثة من أسفله، ليجهض من بينهم بصعوبة باحثا عن صاحبة العطر،...بدأ يشتم
كل امرأة بجنون متفاديا كل ضربة تأتيه في المقابل، استنشق عبق كل النساء اللواتي
سقطن عليه إلى أن وجد صاحبة العطر.

- أرجوك أخبريني، ما اسم عطرك، أين يمكن أن أجده ؟!

استغربت المرأة منه بشدة و قالت :

- ما حاجتك بعطري، ما شأنك به ؟!

فهم أنه بالغ في طلبه و ردة فعله فسالت دمعة من عينه بعد أن توقف الجميع عن
الحركة و هم ينظرون إليه في دهشة ثم قال :

- إنه عطر أمي، لقد فقدتها للتو،...أتمنى ألا أكون فقدتها، إنه العطر الذي كنت دائماً أتمرد من وضعها له، وها أنا الآن أبحث عنه كالمجنون، أريد أن أشتمه طوال حياتي، أريد أن تعود إلي و أظل في حضنها إلى الأبد،...أرجوك أخبريني اسمه أو قومي ببيعه لي، سأعطيك الثمن الذي أردت !

قالت المرأة بعد أن لامس شيئاً في قلبها :

- لست في حاجة إلى ذلك !

ثم مدت يدها إلى حقيبتها و أخرجت العطر، عطر الأميرة، و وضعته بين يدي مراد الذي سالت دموعه بغزارة و هو يمسكه بيده، ثم للحظة قام بنثر القليل منه على الهواء و استنشقه ليتذكر به سعادة و الأوقات التي قضاها معها، نظر إليه الطفل المعلق بالنافذة و ضحك بشكل هستيري بعد أن رأى كيف نثر مراد العطر الى الهواء بينما قال أحد الركاب :

- لا أعرف كيف كرهت هذا العطر ! لا أعرف.

وصلت الحافلة قرب المطار و استرجل مراد منها بعد أن طلب السماح من السائق و ودع الركاب ليلتحق بمدخل المطار و ينتظر هناك ساعة أخرى قبل موعد الإقلاع إلى باريس، ليصل الموعد في الوقت المحدد و تطلع الطائرة إلى وجهتها.

وصل مراد بعدما غادر مطار باريس إلى مشفى المدينة حيث ترك غرام هناك، و أسرع إليها لعلها تستعيد وعيها و هو بجانبها، غير أنه عندما دخل غرفتها في مصلحة الإنعاش وجد أنها قد عادت من غيبوتها و عادت إلى وعيها.

دخل إليها بقلب مكسور و هي تنظر إليه بعطف بعد أن شعرت من خلال ملامح وجهه المنكسرة أن مكروها ما أصابه.

- حمدا لله أنك عدت إلي يا حبيبتي...

- ما الذي حل بك يا مراد، ماذا هناك، أخبرني! اقرب إلي.

اقرب منها و الدموع تنهمر من أعينه ليمسك بيدها بقوة و تبعثه إلى حضنها ليقول لها بعد حين :

- لقد فقدت والدتي يا غرام، فقدتها بعد أن أخفقت في الإمساك بها، لقد أخفقت!

- ماذا تقول يا مراد، من والدتك!

استغربت من قوله فاستدرك حديثه ؛

- لقد فقدت والدتي سعادة!؟

- ماذا!!

- أجل إنها والدتي، أمي التي أنجبتني و حرمتنا من بعضنا الآخر، و أظن أن هذا الحرمان سيكون إلى الأبد.

- كيف حصل ذلك!؟

حكى لها عن حادث الجرف بعد تركه لباريس و انتقام روزالينا منهم جميعاً لتقول له :

- اسمع يا مراد، هناك أمل أن تكون سعادة على قيد الحياة، لدي شعور قوي أنه

من الممكن أنها لا تزال حية، تشبث بذلك الأمل و لو كان مستحيلا!

- أجل، إنني متشبث به، و منه أخذت القوة لآتي إليك!

- ستعيش !

- إنني لا أستطيع العيش من دونها، إنها أمي يا غرام، أمي !

طال عناقهما و مواساة غرام له ليخبرها بعد قليل بالقرار الذي اتخذه المجلس التأديبي للمشفى الذي كان يعمل به و الذي اطلعوه عليه خلال رحلته عبر الطائرة.

- هناك شيء آخر، أود إخبارك به،...لقد اتصلوا بي من المشفى و أخبروني

أنهم سيقرون في عودتي إلى عملي بعد أن تبين لهم أنني لست مذنباً

فعلياً...من الممكن أن أعود إلى مهنتي التي حرمت منها أيضاً.

فرحت غرام بخبره و قالت :

- هذا خبر جيد، اذهب و لا تنتظر شيئاً و أثبت بقوة موقفك و براءتك، أنت لم

تفعل شيئاً،...

- لكن، لا أستطيع تركك وحدك مجدداً ! و أنا كنت سأموت قهراً على حالك.

- أنا لست لوحدي، اذهب و استرجع عملك، اذهب يا مراد، هل نسيت أنك

أنت دائماً بجانبني، إنك بقلبي و لا يمكن لبعذك عني أن يشعرني بالوحدة ابداً،

اذهب !

- أحبك !

قبل يدها ثم ترك المشفى متجهاً إلى مقر مشفى المدينة حيث كان يعمل، خرج من

البنية و اتجه إلى الشارع الرئيسي عبر العديد من المنشآت التاريخية للمدينة دون أن

يعيرها انتباهاً و هو يتذكر كيف ترك والدته تنفلت من يده...تلك الذكرى الأليمة التي

لا تفارق أيامه،...إنه يلوم كسر يده الذي لم يكثر له رغم شدة الألم التي تنبعث منه، لم ينوي أن يرمم جرحه بينما جرح قلبه لا يجد سبيلا إلى مداواته.
عبر ربع المسافة إلى المشفى و هنا تلقى اتصالا من وائل.
ارتجف قلبه عند رؤية اسمه على شاشة الهاتف، لأنه كان ينتظر ذلك الاتصال بشدة، انتظار غير مرغوب به، غير أنه كان مجبرا عليه،...أمسك الهاتف و رد على المتصل به.

- نعم يا وائل !

جحضت عيناه و ارتجف جسده إلى أن سقط الهاتف من يده بعد أن شلت أطرافه، و هو ينطق كلمة واحدة :

أي !!

النهاية

الفصل ١٧ :

بعدها حطت به الطائرة في مطار طنجة المدينة، أسرع مراد إلى سيارة التاكسي و اتجه إلى منزل والدته و الرجفة لا تفارق جسده بعدما سمع الخبر المنتظر عبر الهاتف،...وصل إلى المنزل و هرع إلى الداخل يصرخ والدته متجها إلى غرفة نومها ليجد شافعة و وائل يقفان أمام بابها بوجه متجههم.
وقف مكانه و نبضات قلبه تتسارع عندما رأى منظرهما على تلك الهيئة عكس ما توقعه عندما اتصل به وائل.

- أين هي؟! أين والدتي!

نظرت شافعة إلى وائل قبل أن تقول له :

- إنها هنا! إنها على قيد الحياة.

- أنا أعلم، أين هي!

ابتعد الاثنان عن الباب و كان أول ما رآه هو جسد والدته الناعم و هو يرقد فوق الفراش، رأى شعرها البني الطويل يرقد بجانبها و ملامحها الصارخة باتت هادئة و جميلة، كانت ترتدي فستانا أبيضاً دافئاً و مغطاة برداء من حرير...لتنترك كل هذا و تسرع إلى طفلها، إلى ابنها الذي احترق قلبها لسنوات ليلقاه الآن بعد عناء طويل...أسرعت إليه و عانقته بجمرة دامت طويلاً، تدفق الحب بينهما بعد أن فقده

الاثنين، عاشا تلك اللحظة المنتظرة و التي كانت على شفير الموت، اللحظة التي بحثت عنها سعادة طوال عمرها و هي تتحرق إليها و تندب سوء قدرها، اللحظة التي ما كان لمراد أن يتخيل عيشها، اللحظة التي تمنى أن يعيشها بعد أن فارق والدته، اللحظة التي لم تكن له في الحسبان بعد أن أمضى جل عمره في أحضان امرأة أخرى كانت ترعرعه و تحضره لتتقض عليه و ترمي به أسفل الهاوية رفقة من أشعلت قنديل الحب و الحنان في قلبه الآن، لكن القدر لم يشأ أن ينهي حياة سعادة و قلبها ما زال محترقا، بل أعطاه حياة أخرى مليئة بالحب و الدفء رفقة ابنها و أسرته تحيط بها، لقد أهديت حياة أخرى، فرصة لا يمكن لأي شخص آخر أن يستحقها لأنه يعلم أنها تسير في الطريق المنشود لتتقضي على خطيئتها التي دمرت حياتها الأولى و أنهت آمالها قبل أن تسقط من الجرف.

عانق والدته عناق الأمل و حب الحياة، عندما عانقها و تأكد من حقيقة ما قاله وائل عبر الهاتف، رأى حياة مليئة بالسعادة و الحب تنتظره، رأى كيف أن الطريق سيزدهر أمامه، رأى الحلم الذي أسقطه من يده يعود إليه بمعجزة و يقول له :
حققتي أنا بين يديك، أنا ملك لك إلى الأبد.

مراد : لقد ظننت أنني لن أراك مجددا ! لقد خفت كثيراً ألا أستطيع معانقتك مجددا، خفت ألا أشتم عطرك المزجج الذي أصبحت أحبه و أصابني الجنون لأعثر عليه و أتبعثر في أحضانه...

ضحكت سعادة ضحكة بريئة و قالت :

- كنت دائماً تشتم عطري و الآن تبحث عنه لتشتمه ! قلت لك أن تهدي من طغيانك !

- سأهدئ منه منذ اليوم طالما عدت إلي يا حبيبتى !

انتحب الاثنين و عانقا بعضهما مجددا لتصل مشاعرهما إلى الآخرين و شعرا بدفء اللقاء بينهما...ليلتحق وائل بسعادة و يعانقها هو الآخر و تربت شافعة عليهم بحبها.

سعادة : عندما سقطت من على الجرف، حاولت أن أضاهي قوة التيار و جذفت بأقصى جهدي لكنه جرفني بعيداً عن موقع سقوطي، بعيداً عنكم، طوال ذلك المسار حاولت أن أبقي متماسكة، حاولت ألا يغرقني التيار، جذفت بيدي و قدمي و أنا لا أرى أين لاح بي الموج، قاومته بشدة طوال مساره و هو يحاول أن يغرقني، لكن شيئاً ما جعلني أُنشَب بالنجاة، شيئاً واحداً، إنه الكلمة التي سمعتها من فمك، كلمة **أمي** ! تلك الكلمة التي انتظرت سماعها منك منذ أن وضعتك إلى هذا العالم، الكلمة التي حُرِمَت من سماعها، الكلمة التي تسمعها جل الأمهات بشكل عادي، اشتقت إليها، هي التي جعلتني أصمد ضد التيار و أواجهه بكل قوتي إلا أن الأمر صعب علي عندما اقتربت من الشاطئ و خرت قواي فاستسلمت لقوة القدر التي كانت جبارة ضدي فأبيت أن أقاومها أكثر، غير أنني لم أكن أعلم أنه يقودني في الطريق الصحيح،...عندما استرجعت وعيي وجدت نفسي في كوخ خشبي صغير و المياه تغمر جسدي بأكمله، لقد رأيت بعض الفتية أثناء سباحتهم و أخذوني إلى كوئهم ذاك، هكذا تم إنقاذي و عدت إلى الحياة.

شافعة : نحمد الله على إنقاذك يا سعادة، نحمد الله على القوة التي تمسكت بها حينها و جعلتك تنقذين نفسك إلى آخر نفس، حمداً لله أنك معنا يا ابنتي !

وائل : تخيلي الأمر إن كنت فاشلة في السباحة أيضاً مثلما أنت فاشلة في اختيار العطور !

شافعة : أقسم لك أن هذا الولد سيسبب لك جلطة حادة بكلامه الفارغ !
ضحك الجميع و قالت سعادة : اتركه يا شافعة إنه ابني اللبق، أتما ولداي الآن،
سنعيش جميعاً الحياة التي حرمتنا منها، كل منا سيحظى بكل ما تمناه، أنا واثقة !
مراد : أنا واثق !

وائل : أنا أيضاً واثق !

شافعة : أنا لست واثقة !

تفاجأ الجميع من كلامها هي التي نطقت به بعد أن رأت رجال الشرطة يسرون قرب
المنزل لتدرك أنه وقت الوداع.

سعادة : ماذا تفعل الشرطة هنا !؟

وائل : ربما أتوا من أجلك، من أجل الحادث !

نطقت شافعة بعد أن أصدرت تهيدة عميقة :

- لا يا سعادة، ليسوا هنا بسبب ما حصل معك ! إنهم هنا من أجلي.

استغربوا من حديثها فاستدركت :

- أجل، لقد قمت بشيء شنيع و أستحق عقابي هذا !

سألها الجميع عن فعلتها فقالت :

- لقد حاولت أن أقوم بشيء جيد من أجلكم جميعاً، لكنني أخطأت في الوسيلة

إلى ذلك، تذكرون يا سعادة يوم تواجدت بمنزل نورسين، يوم الحلم المدبر،

اليوم الذي كسرت فيه كل الحدود و تجاوزت حياة الجميع، اليوم...

قطع كلامها صوت رجال الشرطة و هم يطرقون الباب بقوة ليهرع إليهم مراد ليهدئ من روع المكان.

دخل المحقق بعد أن ترك الجميع الغرفة و التحقت شافعة به ليحدثها قائلاً :

- لقد حان الوقت سيدة شافعة، أمهلناك يوماً كاملاً !

سعادة : شخص ما يشرح لي الذي يحصل !

مراد : أجل، لماذا تعتقلون شافعة !

شافعة: لأنني قمت بتهريب فخر الدين من السجن !

صعق الجميع مما قالته دون أن ينطق أي منهم بكلمة فقالت شافعة :

- هذا الذي حصل، لقد تباديت في الفكرة التي نويت أن أطبقها دون أن أدري

العواقب، كنت أظن أن كل شيء يسهل حله بالحديث و المواجهة، لذلك

وضعتكم في ذلك الموقف ليواجه كل منكم خطيئته في حق الآخر، ليعترف

كل شخص منكم بما اقترفه من ذنب، ليكفر كل واحد منكم عن خطيئته، و

التكفير يكون أولاً بالاعتراف و المواجهة، هذه قاعدة الحياة، لكن لم يكن من

المقدر أن يتم لقاءكم جميعاً صدفة، كان يجب على شخص أن يقوم بذلك و

كنت أنا الوحيدة المختارة، كنتم فريسة سهلة كما يقال، كنتم تقريباً في نفس

المكان مما سهل الأمر علي و حاولت إنقاذكم !

سعادة : لقد أنقذتنا بالفعل، أنقذتنا من موت محقق، أنقذتنا من الهاوية التي قادتنا

إليها خطايانا، ما فعلته يا شافعة سيشفع لك كل ما ظننته سوءاً بداخلك، اطمئني.

اقتربت سعادة من شافعة فعانقتها و الدمع يسيل بغزارة، إنه وقت الفراق، المرأة التي حاولت جعلهم ينتهون عن خطاياهم وقعت هي الأخرى في فخها و أصبحت مخطئة بدورها غير أنها فهمت لوحدها حقيقة ذنبها و فعلتها المتهورة و فهمت أنه عليها الاعتراف و المواجهة، و كان ذلك ما فعلته ليلتها، حيث سلمت نفسها إلى قبضة الشرطة و طلبت منهم ليلة واحدة تنتظر فيها أن تجتمع ابنتها سعادة بولديها و من تم يمكنهم أخذها و كان هذا ما حصل.

سعادة : سأشتاق إليك كثيراً يا حبيبتي، لا يمكنني تحمل بعدك عني أكثر مما عشته بعيدة عنك، سيكون الأمر صعباً علي.

شافعة : لم أسلم نفسي إلا بعد أن اطمأنت أنك بخير و بجانب ولدك، الآن أستطيع أن أبقى مرتاحة و أن أدفع ثمن فعلتي كما قدر علي، سأشتاق إليك أيضاً. أعلن المحقق وقت الرحيل فوضع الأصفاد بيد شافعة و اقتادها بعيداً عن مرأى سعادة التي ظلت رفقة مراد و وائل ينظران إليها بحزن و ألم بينما ذهبت شافعة إلى مالها الأخير.

داخل السجن قدم محامي شركة بيبير للبناء و دخل إلى غرفة الزيارة حيث كان على موعد مع داليا هناك.

محامي : مرحباً آنسة داليا، يسرني رؤيتك في حال جيد.

قال ذلك بعدما رأى البهجة على وجهها و الاطمئنان باديا على محياها، فأجابت :

- مسرورة برؤيتك و تلبيتك لطبي خاصة بعد الحادث المؤلم الذي حصل !

- أجل، لقد كان كارثياً !
- و من أجل ذلك طلبت في قدومك.
- كلي آذان صاغية.
- اسمع، أريد أن تبيع الشركة.
- استغرب من قرارها ثم فهم بعد لحظة ما تنوي فعله، عندما طلبت منه أوراق الملكية و أوراق البيع فقالت له :
- يجب أن تبيع الشركة في أسرع وقت، سأوقع لك هذه الأوراق بحكم أنني الرئيسة الوحيدة المتبقية بعد...
- أجل لقد فهمت، واصلي.
- قم ببيعها و سدد بئنها خسائر ضحايا حادث الجسر الذي تسبب به ببير، لا تترك شخصاً دون تعويض، فهمت، قم ببيع الكل و تكلف بمصاريف العملاء أيضاً، سأوكل إليك هذه المهمة و أنا على كامل الثقة بك.
- لا تقلقي، سيكون كل شيء كما أردت، لقد قمت بالفعل الصحيح، أنت نعم الرئيسة و المديرة !
- هل أنت متأكد من كلامك هذا، في هذا المكان !؟
- أجل أنا أعني وقع كلماتي و لن يستطيع شخص فعل ما قمت به الآن، لقد ضحيت بكل ما بنيتته خلال هذه السنوات لتكفري عن خطيئة شخص آخر !
- أجل لأن هؤلاء الناس دمرت ممتلكاتهم بسبب شركتنا...لا نستطيع إحياء من فقدوهم، لذلك أقل شيء يمكن فعله هو إبعاد سبب ضياعهم، لا يجب أن يبقى

للشركة وجود، بعد أن تلطخ اسمها بدماء الأبرياء، لا يجب!...انتظر قبل أن تذهب، لدي طلب أخير.

- تفضلي.

قدمت إليه بروش فرح المحترق و قالت له :

- سأطلب منك شيئاً ربما تجده غريباً، لكنه مهم بالنسبة لي، ارم هذه القطعة إلى البحر و لا تترك شخصاً يأخذها، اكدف بها إلى البحر.

داخل جناح السجناء توجهت سعادة بخطى واثقة إلى غرفة الزيارة بدورها منتظرة قدوم سجينها... إلى أن أتى مقتاداً من طرف الحراس و تجهم وجهه عندما رآها، غير متوقع لقدموها... بحيث كانت تلك المرة الأولى التي يراها بعدما عاد إلى السجن بعد أن أنقذها من خطر الدخول إليه.

وقفت سعادة أمامه و لم يستطع الاثنان الجلوس فبقيا يحدقان في بعضهما البعض إلى أن قالت سعادة :

- أنت من أعدت إلي ابني.

ابتسم رغماً عنه مجيباً :

- إذن فمراد ابننا حقا !

- مراد ابني.

شعر بجدة الوضع فقال :

- لا يمكن القول أنني أعدته إليك، أنا فقط ربطت الأحداث ببعضها و فهمت أنه سيكون ابنك الذي سلب منك !

ظلت تنظر إليه في صمت مطبق و نظر حاد لتقول :

- أ لم تفكر يوماً لماذا لم أنتقم منك، لماذا لم أقتلك و أحقق ما كنت أنوي فعله منذ زمن؟! ألم تسأل نفسك لماذا تركت الفرص تضيع مني بعد أن جاءت إلي أكثر من مرة!؟

- لقد سألت نفسي مرارا عن السبب، تأكل دماغني و أنا أحاوره منتظرا جوابا واحدا يقطع تفكيره و ينهي عذابه... لكنني لم أجد !

- لقد كنت بين يدي يومها و كان من الممكن أن أقوم بقتلك أمام الشرطة و أرمي بنفسي هنا و أحل مكانك، هل ظننت أنني خفت من اعتقالي، لقد كنت قريبا مني لدرجة يمكنني قتلك بسهولة يوم طعنك مراد و تركك للموت، كان بإمكانني قتلك و أريح الضمير الذي كان يعذبني، لكنني لم أفعل، أتدري لماذا!؟

- أخبريني !

- لأتني أحبك، أحبيتك منذ زمن و لا زلت أحبك و سأظل أحبك و أدفع ثمن حبي لك !

دمعت عينه و تزعزع قلبه إلى أن سمع نبضاته و شعر كأنه سيغادر جسده من شدة صدمته من تلك الكلمة الجبارة، لتقترب منه أكثر و تقول :

- لم أستطع قتلك يومها لأنني أدركت كم أنتي أحبك و كم أنتي متيمة بك... لم أستطع حرمان نفسي منك، لذلك آثرت أن أطيع قدرني و أعيش ذلك الحب، سأدفع ثمن

حبي لك بتركك على قيد هذه الحياة التي لا قوة لي في تملكها، سأعيش عذاب
والداي بحبي لك، سأندم على حبي لك كل يوم و كل ثانية، سأندم على هذه
المشاعر التي لم أستطع إزالتها و التكفير عنها كما كفرت عن جل خطاياي،...أجل لم
أستطع أن أكفر عن حبي لك، لم أستطع،...

- إذن اخترت أخيراً أن يكون عقابي هو الحب الذي جمع بيننا، ستعاقبيني بحبي
لك !

- أجل، أنت اخترت أن تحبني و اخترت أن تقتل والداي، إذن ادفع ثمن هذه
الخطايا و عش على هذا النحو، عقاب جريمته هو السجن، و عقاب حبك لي هو
سجنك الأبدي في هذا القلب الذي أحبك رغماً عن خطيئتك، أجل إنني أحبك رغم
ما فعلته و أكرهك لما فعلته، عاقبت نفسي لأتني أحبتك و تكفيري عن خطيئتي
سيتحقق بذلك...أنت ستحاسب نفسك يوماً بعد يوم، ستعاقب نفسك ايضاً لأنك
أحبتني.

- سأقبل بأي شيء تقررينه يا سعادة، أريدك فقط أن تعيشي في راحة دائمة رفقة
ابنك...

- أعيش في راحة رفقة ابني بدون والداي، إنها لراحة عظيمة.

توقفت نبضات قلبه بعد كلماتها القاسية ثم قال بعد أن شعر أن الوقت ينفذ منها :

- سأظل أحبك إلى آخر نفس من حياتي، سيكون آخر شيء أفكر به هو
أنت و هذه الأعين التي تلهب نار قلبي...

أبعدت أنظارها عنه و اتجهت نحو الباب مغادرة للغرفة قبل أن يباغتها مناديا :

- سعادة، زوريني من حين لآخر، لا تتركيني بمفردي لوقت أطول، أرجوك... لا
تغيبي عني، أنا وحيد هنا...وحيد من دونك.

اهتز قلبها على كلماته و تزعزعت مشاعرها قبل أن تفيض دموعها و تهرب منه
مسرعة قبل أن تفضحها تلك المشاعر التي لا تلقي بالا لما مضى أو الذي من الممكن
أن يحدث.

مرقابة الشهر على حادث مراد و غرام المفتعل و اعتقال روز، و بعدها حان
موعد الحفل الأول الذي من الواجب على السوبرانو أن تقيمه بعد تتويجها.
تقرر أن يقام الحفل في مسرح باريس البلدي و تم دعوة أزيد من خمسمائة
شخص...بينهم مراد، سعادة، وائل، حيث ظهر الجميع بحلة مبهرة منتظرين قدوم غرام
لتؤدي على المسرح، بحيث ارتدى مراد و وائل بدلتين رسميتين باللون الأسود، أما
سعادة فارتدت فستاناً قصيراً لامعاً و صفت شعرها بتسريحة راقية زينتها
ببروش على شكل فراشة ملامعة باللون الأبيض.

وائل : قل لي يا مراد، متى ستقيم أول عملية لك !؟

مراد : لماذا هذا السؤال الآن، نحن في حفل يا معتوه.

ضحكت سعادة فقال وائل مجددا :

- فقط أريد أن أكون بجانبك يومها و أريد أن أن تحقق أن لا شيء لدي لفعله !

مراد : و هل كنت تنوي ألا تكون معي يا أخي الحبيب ! رغما عنك ستفرغ أيامك
من أجلي، إنه يوم مهم بالنسبة لي.

كان مراد على موعد بعد عشر أيام مع عملية الأولى التي سيجريها بالمجان للمحتاجين و كان قراره ذاك بعد أن علم أن المال الذي أخذته مهجة عنوة من والدته هو نفسه الذي دفعت به تكاليف دراسته... لذلك قرر أن يتبرع بالمال الذي وفره من عمله و يجري به العديد من العمليات الجراحية للمحتاجين و ذلك بتعاون مع زملائه بعد أن قررت اللجنة براءته و سمحت له بممارسة الطب من جديد...

قطعت الموسيقى حديثها مع دخول غرام و تصفيقات الجمهور العالية.

اعتلت المنصة مرتدية فستانا ورديا طويلا يصل نصفه إلى أسفل الخشبة بينما كان شعرها مموجا بشكل لافت و واضح... اقتربت من الميكرو و بدأت الفرقة تعزف ألحان أغنية شبح الأوبرا. الأغنية الشهيرة التي أدتها مهجة في بداياتها و كانت أمنية عهد أن تؤديها بدورها عندما تتوج بلقب السوبرانو... لذلك كانت اختيار غرام لأول حفل لها، غير أن الأمور لم تسر على النحو المنتظر. أمسكت الميكرو الذهبي اللامع بين يديها و نطقت :

- لن أؤدي على هذا المسرح، لا اليوم و لا يوم آخر.

استغرب الجمهور و اندهش من كلماتها فقالت :

- أنا لا أستحق لقب السوبرانو، أتدرون لماذا ؟ لأنتي قمت بسلبه، لم

أستحقه، لقد أخذته عنوة من أحدهم... أجل... لقد ارتكبت العديد من الأخطاء التي لا تُغتفر، سأحكي لكم اليوم كل شيء، سأعترف بكل شيء...

كان مراد يحدق إليها و يشير بأصابعه إليها ألا تنطق بشيء إلا أنها أبت الاستماع إليه و أكملت ما بدأته في قرارها.

- أول ما قمت به، الكل يعرفه هنا، اقتلعت رحمي من أصله لأعاقب والدي و عائلة زوجي، و كان ثمن غلطتي هو والدي التي ضحيت بنفسها و زرعت رحمها داخلي و كان ذلك سببا في موتها، أنا السبب في موتها، أنا، لو لم أقم بخطيئتي تلك و أنساق إلى غضبي لكانت والدي بينكم اليوم، لكن كله انتهى،...تذكرون يوم قتل معتر زوجته عائشة و تم اتهام خليفة بخيائته، كنت يومها السبب في ذلك أيضاً، أنا من دبرت تلك الخطة و أوقعتهم لتتبت خيائتهم، أجل أنا من فعلت ذلك، أ تدرن الآن حجم خطاياي...ليس هذا كل ما في الأمر، كان ما فعلته بصديقة عمري أسوء و أقدر شيء قمت به في حياتي، أجل، إنه يعذبني للآن و لن أسلم منه ما دمت لم أعترف به،... كنت وحدي من يعلم حجم خطيئتي و الآن سيعلم بها جميعكم...يوم المسابقة عندما غابت عهد كنت أنا من اختطفتها، أنا من أغلقت عليها في غرفة مظلمة و ضيقة لكي لا تستطيع النفاذ بنفسها،...لم أفعل ذلك لأفوز بالسوبرانو لنفسي، بل فعلت ذلك لأعاقبها و أحرمها من حلمها الذي عاشت من أجله، فعلت ذلك تبعاً لغضبي عليها لاقترابها من مراد و أنا التي لم أحكم دماغي يومها، كان يجب علي أن أسأل نفسي لماذا يقبل أخ أخته بتلك الطريقة، إنهم أخوان، لماذا فعلت ذلك يا مراد، رأيت الاثنين و اشتعلت نار الغيرة و الغضب في قلبي لتحرق حبي لهما و تحرق الرحمة التي كانت بداخله، صرت وحشا و دمرت الجميع، لقد دمرت صديقة عمري و حبيبتي، بسببي ماتت يوم الحفل، ليس بسبب روز، قدمت إلى الحفل لتعرف سبب خطفي لها و حرمانها من حلمها، جاءت لتعرف السبب فوجدت النهاية الأليمة التي كانت مخبأة لها، ماتت يوم الحفل، الحفل الذي تقيمه اليوم ليس لي، بل هو

من أجل عهد و الأخذ بثأرها، أنا اليوم أعترف بجريمتي و أكرم صديقتي،
سوبرانو الأيام، سوبرانو الأوبرا، ليس شبح الأوبرا، إنها السوبرانو عهد، و أنا
أقدر من أن أكون على منصتها، ليس لي الحق في التواجد هنا... انظروا، إنه
القناع الذي شهد وفاتها و هي تقع على التمثال و تنتهي حياتها، إنه الشاهد
الوحيد على وفاتها و على فعلتي...

أشارت إلى القناع الكبير الحجم الذي تواجد يوم الحفل ثم تركت المنصة و أزاحت
فستانها الطويل من طريقها و همت بالخروج من المسرح رافعة رأسها بعد أن أزال
ثقل الخطايا التي تحملتها مدة فاقت قوتها، لتتركها على المسرح الآن أمام جمهورها
العريض الذي ظل صامتا أمام حجم أخطائها..

صعدت درج المسرح و هي ضاربة عرض الحائط كل العوائق و الأفكار التي منعتها
من تلك الخطوة اليوم.

ترك الحاضرين قاعة المسرح و أصبحت خالية من الحياة و أطفأت الأضواء على
الخشبة ليظل على المقاعد فقط مراد و سعادة و وائل من أصل خمسمائة شخص.

سعادة : مراد، اذهب إلى غرام و ابحث عنها قبل أن تبتعد أكثر، عد بها إلينا.

وائل : أجل يا مراد، أسرع إليها.

نهض مراد من مقعده بعد أن جمد جسده عليه بفعل الصدمة التي لم يكن يتوقع أن
يعلمها يوما خاصة من غرام، لكنه واجه تلك الحقيقة و أسرع ليبحث عنها.

خرج من المسرح و بدأ يجوب الشوارع الباردة و الظلام الدامس يخيم عليها صارخا باسمها دون جدوى، ليتوقف بعد لحظات و يستجمع نفسه، ثم للحظة سمع شهقات بكاءها قرب أحد المنازل، ليقترب منها و يتأكد من أنها هي.

وقف أمامها و سالت دموعه بغزارة أمامها بعد أن انتحب قلبه من شدة الألم الذي اعتصره و يقول :

- إذن كنا نحن الاثنين السبب في موتها،...لكن أنا كنت السبب الرئيسي، لا تلومي نفسك يا غرام، كل منا مخطئ و كل منا سيجد السبيل ليكفر عما فعله.

رفعت رأسها إليه و قالت :

- أنا لا أريد أن أكفر عن ذنبي، أريد أن أعيش به، لأنني كنت قاسية في حقها و حق نفسي و في حق كل من أحببت.

- لا تقولي ذلك، نحن فقط في حاجة إلى الوقت لنعالج جراحنا، إنه فقط الألم الذي يجعلك تتحدثين هكذا، سنعالج هذا الجرح معا، إن عهد رحمة و ستسامحنا على ما اقترفناه بها...

- أنا بحاجة إلى الوقت يا مراد، لأسامح نفسي على ما فعلته بعهد، و بنفسني و بوالدي، و آباء خليل،...

- لدينا الوقت الكثير يا حبيبتني، سنكون معا، و لن أتركك تعيشين هذا الألم يوماً، هيا، أمسكي بي لنلتحق بحياتنا السعيدة التي تنتظرنا هناك، أمسكي بيدي يا غرام و لا تتركني لوحدي، لقد بدأنا هذه القصة معا و سننهيها معا...هيا.

أمسكت بيده بقوة و انتشلها من قعر الأحزان الذي لبثت به...ليعود الاثنان إلى المسرح و يلتحقان بوائل و سعادة عند بوابته.

سعادة : اقتربي يا غرام، لقد جعلتنا نقلق عليك !

اقتربت غرام منها بفستانها الطويل و قالت :

- أنا...هل أنا أستحق فعلا قلقك علي يا سعادة !

وائل : قولي لها خالتي !

ضحكا معا و قالت سعادة :

- أنت بمثابة ابنتي يا غرام، أسمعين، أنت ابنتي، و أنا من واجبي أن أقف إلى جانبك عندما تخطئين و أقودك إلى الطريق الصحيح، رغم أنك تسيرين فيه الآن...

وائل : ستقودك فقط إلى غرفة مراد.

أماء بحركة من حاجبه فاستحق ضربة من سعادة استطاعت أن تعيد الضحكة إلى وجه غرام و مراد الذي انقض عليه و بدأ يعصر جسده.

مراد : يا لك من معتوه.

سعادة : كفانا مزاحا، اسمعي يا غرام، سنعيش في سعادة نحن جميعاً، في منزل واحد يجمعنا و يستر عيوبنا، ستكونين أجمل زوجة لابني !

وائل : أ لم أقل لك ذلك !

غرام : لم أدري ما الذي يجب علي قوله الآن، سوى أنني أحبك.

وائل : كفانا حنانا و حبا، نريد أن نعلم متى ستقيمان حفل زفافكما !

غرام : لا أنوي أن أقيمه الآن، أماننا الكثير لفعله !

مراد : أجل يا وائل، أماننا بعض الخطوات لنهي قصتنا و نحقق رغبتك.

وائل : لا أريد انتظار هذه الخطوات، سأحتفل بزفاف والدتي.

- ماذا !

اندهش الجميع عند قوله...

مراد : أي زفاف ؟!

سعادة : أي زفاف ؟!

غرام : ماذا تقول أنت ؟! أي زفاف !

وائل : لماذا استغربتم جميعاً، زفاف سعادة و فخر الدين !

اتسعت عينا سعادة و استغرب مراد لتفهم غرام ما يؤول إليه كلام وائل ليقول :

- هل تريدان أن يعود ابنك مراد إلى اسمك، إذن يجب أن تتزوجي والده و

تنظمي أوراقك يا والدتي الحبيبة !

سعادة : يا إلهي من هذا الولد و من حديثه اللبق و الطويل، يا إلهي من ويملك و

ويل أفكارك، كنت تفكر في كل هذا و تخطط وراء براءتك هذه...أنا لا أنوي

الزواج الآن، أريد أن أكمل دراستي و أعود إلى كليتي.

وائل : و ماذا كنت تنتظرين، هل ستركيه مجهول الهوية هكذا.

ضحك مراد و اقترب منه قائلاً :

- أنا لست مجهول الهوية أيها البارستا ! معه حق يا سعادة، يجب أن نقوم بذلك أيضاً، لا أدري كيف يستطيع إقناعنا هذا الشقي.

- احترم البارستا أيها المجهول !

ضحك الجميع أمام بوابة المسرح و كأنهم تركوا جميع أحزانهم داخله ليشهد عليها القناع مجدداً، و شهادة القناع باطلة، القناع الذي شهد اليوم مجد عهد و حرية غرام، الحرية المنشودة منذ أول خطيئة...غير أنه لا زال لديها شيء يجب عليها إنهاؤه.

وصلت غرام إلى مركز معالجة الأمراض النفسية و توغلت بين غرفه العديدة حاملة حقيبة كبيرة الحجم، ليوجهها الممرض الرئيسي إلى غرفة مريضتها روزالينا.

فتحت باب الغرفة بعد أن أخبرها الطبيب الذي طلبت في قدومه عن حالتها :

- إنها هنا بعد أن نقلت إلينا من السجن إثر تصرفاتها العدوانية أمام كل من تجراً عليها، لأنها دخلت في حالة صدمة نفسية بعد موت والدتها و عدم تمكنها من زيارة قبرها، هذا ما كانت تهلوس به عند اعتقالها، الآن ستجدين أنها هادئة تماماً، و هذا بعد مفعول الدواء الذي نتابعه في حالتها، هكذا كانت داخل السجن و رغم ذلك تجرأت عليها بعض السجينات، لذلك ستمكث هنا بعض الوقت حتى تتجاوز صدمتها، أتمنى لها الشفاء.

قامت بشكره و دخلت الغرفة لتجد روزالينا تنظر عبر النافذة و هدوء مميت يطبع ملامحها...كان شعرها الطويل منسدلاً على كتفيها و فستان أحمر متواضع يغطي جسدها الهزيل... لتقترب منها غرام و تمسك يدها دون أي ردة فعل منها و تقول :

- لقد جئت إليك و جلبت معي شيئاً مهما يخصك، أظن أنك ستحبينه !

لم تجيها روز كما توقعت فحملت حقيبتها و أخرجت الدمية التي اشتريتها لها والدتها قبل وفاتها، الدمية التي اشترت مثلها لغرام...لتمسك روز بالدمية ذات الرأس الضخم و الشعر الأسود الطويل فتداعب شعرها بحنان و الدمع يسيل بغزارة على خديها لتفطر قلب غرام بمنظرها ذاك و تتذكر كيف أنها تبعثرت وسط القبور يومها دون أن تجد خاصة والدتها و تلقي بنفسها بين أحضانها ؛

- اسمعي يا روز، سنذهب معا لنزور والدتنا، سأفعل المستحيل لأصطحبك إلى هناك و لو تطلب الأمر أن أهربك من هنا، سأحقق رغبتك و أعالج هذا الألم داخلك، سأكون دوما بجانبك يا روز، دوما.

ظلت روز تداعب شعر الدمية و هي تعانقها بينما لم تلق بالا للدموع التي تحرق عينيها و تحرق قلب غرام، كيف تلق لها بالا و هي التي عانت الكثير بسبب أخطائها !

لم تستطع غرام أن تتألم أكثر لمنظر روز فغادرت الغرفة مسرعة و تفاجئ الممرض الذي كان ينتظر عند بابها...أسرعت خارج المركز و التحقت بمراد الذي كان ينتظرها هناك، فهرعت إليه و ألقت بنفسها بين أحضانه تنتحب على الذي قُدر على روز أن تعيشه.

مراد : اهديي يا حبيبتى، ما الذي يحصل !؟

أطلعته على كل الذي رأته بالداخل فقال لها :

-لا تقلقي عليها يا غرام، ستتعالج و تعود إلى رشدها، لا تنسي ما قلته لك، سنعالج جراحنا معا.



الإمام طه

يوم الجمعة، و مع موعد خطبتها صعد الإمام طه المنصة و كان موضوع خطبته :
الموبقات السبع.

- سأحكي لكم اليوم عن السيد خليفة، الذي قدم إلي بعد أن فر هاربا من خطاياها، أجل كان قد ارتكب أبشع الخطايا، نحن نسميها موبقات، لكن هناك تصنيف آخر لسبع خطايا في الديانات الأخرى و التي تسمى بالذنوب الكاردينالية و هي تصنيف لمعظم الشرور التي استخدمت لتوعية وتوجيه أتباعها منذ بداية المسيحية مرات عديدة لكل ما هو " غير أخلاقي " وما قد يدفع بالإنسان للوقوع في الخطيئة، الخطيئة التي يمكن أن تغفر لمذنبها من خلال سر الاعتراف، أو عن طريق الندم التام من قبل التائب، و هذا ما جاءني به خليفة يومها ناويا أن يتوب و يكفر عن خطيئته، الشهوة التي قادته إلى أن يلقي بنفسه إلى الهاوية، ليست الهاوية التي مات بسببها الآن، بل هاوية الحياة التي تترك الإنسان يعيش عيشة ضنكا و هو يتلذذ بها دون أن يعلم أنها تقوده إلى نهايته...لكن خليفة علم حجم خطأه و تاب عنه، لقد مكث معي مدة كانت كفيلة بأن تهدب نفسه و تعيد النور إلى قلبه، لقد حصل على الطمأنينة التي جاء يبحث عنها، و هناك سيدة أخرى، أخطأت بدورها

خطيئة أكبر منه، كانت أقوى و أجسم، لم تترك له الفرصة للبحث عن السلام الأخير، بل لم تترك لي أيضا الفرصة في الإمساك بيده و قيادته إلى الطريق المنير، إلا أنني نجوت بدوري و ماتت هي، ماتت على خطيئتها دون أن تبحث عن الطريق المنير، فضلت المكوث في الظلام، و فازت به في الأخير، كان ذلك اختيارها و كل منا مسؤول عن اختياراته، ما أريد قوله هنا و إيصاله لكم جميعاً هو أننا جميعاً لسنا معصومين من الأخطاء، لكن إن فكرتم يوماً أن تتلذذوا بها ففكروا أيضاً كيف ستنقدون أنفسكم إن أردتم النجاة إلى الأبد.



بعد أن تركت غرام لقب السوبرانو و مجال الغناء بدأت رفقة مراد و أسرته في تجميع الأفكار و الخطط لعملها الجديد، فارتأت أن تؤسس ماركة ملابس خاصة بها مستوحاة من آخر تصميم لوالدتها، **الحذاء المفقود...** و بعد شهرين قررت أن تؤسس جمعية بشراكة مع سعادة التي بدأت دراسة القانون من جديد و التي اقترضت المال من شافعة مجدداً، لإنشاء الشركة التي تقرر أن يكون هدفها هو مساعدة دور العجزة و الآباء المتخلى عنهم... ليكون أول يوم لهم ينظمون فيه قافلة طبية يقودها مراد إلى المناطق النائية للعناية بكبار السن و قاطني دور العجزة.

مرت حالات عديدة أمامهم مختلف تشخيصها إلا أن غرام كانت تسترق لحظات لنفسها و تتبادل أطراف الحديث مع المرضى الزائرين و تأخذ قصصهم لتزِيل ثقلها عليهم و تحملها بدورها.



السيد أحمد : أنا يا ابنتي، كنت شرطياً نزيهاً في عملي، أملك عائلة ضخمة و أسرة صغيرة، عيبي الوحيد هو أنني كنت أسرف في الإنفاق، أسرف في الأكل، كنت وحشاً شرهاً، و ماذا أصابني، لقد أفلست، أجل أفلست و ابتعد عني الجميع، الكل تخلى عني، حتى عائلتي و أسرتي، كلهم تركوني و لم أجد إلا هذا المأوى لأظل فيه و أتوب من خطيئتي، و هنا وجدت أناساً مثلي و حكايات أكبر و أتعس من حكايتي.



السيد ياسر : ماذا تريدون أن تعلمي عن قصتي، تريدون أن تعلمي السبب الذي جعلني أختبئ في هذه الحفرة، لك ذلك، لقد اختبأت هنا خوفاً من جريمة، خوفاً من أن أرتكبها، لقد علمت سر شهوتي القوية منذ شبابي و قاومتها دوماً، قاومت لذة المعصية، إلى أن أصابني الغرور ذات يوم و كنت على وشك الاستسلام لتلك اللذة، و عندما وقعت في ذلك المأزق، هربت و تركت مدينتي بما فيها، لا تقلقي، لا عائلة لدي، لا أولاد، لا إخوة و لا أحد، فقط أنا لوحدي أواجه قوة خطيئتي الجبارة، لكن كنت أقوى منها و هدأتها بقدمي إلى هنا، إلى هذا الدير برفقة العديد من الأشخاص الذين عانوا مرارة الحياة و لم يستطيعوا تجاوز أقدارهم... أنا سعيد هنا.



السيدة حسناء : قصتي أنا أشبه بالفراغ، دوماً ما كنت أفكر في السبب الذي جعلني أظل هنا و أمكث بين هؤلاء الناس، و عندما تذكرت كل ما عشته و

ما قمت به، ندمت فعلا على تركي لكل عائلتي، ندمت على غروري و كبريائي اللذان حرمانني من لذة العائلة، كنت دوما ما أريد الشيء الأفضل و الأجل بين الكل، كنت أفضل أن أمتلك الشيء المبهر لي وحدي، امتلاك الناس لي وحدي، قيادتهم و التحكم بهم، لدرجة أنني سئمت تعامل عائلتي و نفرتهم لدرجة أنهم كرهوني فتركوني هنا، هنا فهمت ما اخطأت في فعله، هنا فهمت حجم غروري و الكبرياء الزائد الذي دمر حياتي، أنا أنتظر هنا أن يعفو عني أحدهم، لكنني مرتاحة و لو لم يعد شخص منهم، أنا مرتاحة لأنني كفرت عن ذنبي و فهمت حجم خطيئتي.



السيد قادر : لقد سمعت حديثك يا آنسة غرام مع هؤلاء الناس و دردشتك معهم، أظن أنني فهمت لماذا تسألين عن حالهم و مآلهم هذا، ربما كنت مثلهم مذنبة أو ربما تريدن فقط سماع قصصهم للاستئناس بها، إذا كنت كذلك فقصصنا هنا ليست للاستئناس، إنها عصارة من المخاطر و المشاعر المتضاربة، بيننا هنا من تعارك مع نفسه و من واجه قدره و من استسلم لقسوة الزمن، و آخرون خاطروا بكل شيء لإنقاذ أنفسهم و العيش كما أرادوا.

غرام : و بماذا خاطرت أنت ؟!

- لقد خاطرت بأعز أصدقائي، خاطرت بحياته لأعيش أفضل منه، لأعيش الحياة التي تمنيت أن أكون فيها...

- ماذا فعلت ؟!

- لقد حاولت قتله ! حاولت قتله لأحصل على ممتلكاته،...كنا رفيقين منذ الصغر، كان دائماً ما يتفوق علي في كل أمر، إلى أن كبر حجم الأمور و وصل إلى مراتب عليا في عمله و صرت أنا عميلاً لديه، عندها تملكنتني الخطيئة و حاولت قتله، كانت قوتي و عزيمتي أضعف منها فلم أستطع أن أقتله و دخلت السجن و انتهت حياتي بأكملها، فقدت عائلتي، فقدت عملي، فقدت ذاتي، خسرت كل شيء، مر جل عمري داخل السجن و عندما نلت حريتي لم أجد شخصاً بجانبني و لا من يزورني فجئت إلى هنا و آويت نفسي إلى أن التفت حولي عائلة أخرى، لم أحاول أن أعود إلى عائلتي يوماً، عاقبت نفسي أكثر من العقاب الذي طُبق علي، لأكفر عن ذنبي الجسيم الذي لم يترك لي وجوداً في حياة أحدهم، لذا وجدت نفسي هنا بين أناس عاشوا ما مررت به، هم فقط الذين استطعت أن أظهر وجهي و خطاياي أمامهم... انظري إلى هذا الجسم، لقد أهدانيه أحد السجناء، إنه **طائر الفلامنجو**، أتدريين إلى ماذا يرمز، إنه يدل على التوازن و الاستقرار، إلى التعايش وفق الظروف و مساندة الحياة، الشيء الذي لم أستطع أنا فعله، لكن عندما أمسكه بين يدي أتذكر تلك الجملة التي قالها لي صاحبه : " لا تترك حياتك على الهاوية بينما يمكنك أن تعيشها و تتمسك بها و أنت ترقص على نغماتها "، عيشي حياتك وفق ما تريد و اتركي القدر يقوم بعمله،...سأترك لك هذا الطائر لتتذكرني كلامي هذا !



اسمي سعادة و أظن أن الحياة فهمت أنه من واجبي أن أعيش حقيقة
اسمي.

NO ONE CAN RUIN US



NOS PARENTS

BY BADR IMAD FAKHRI

